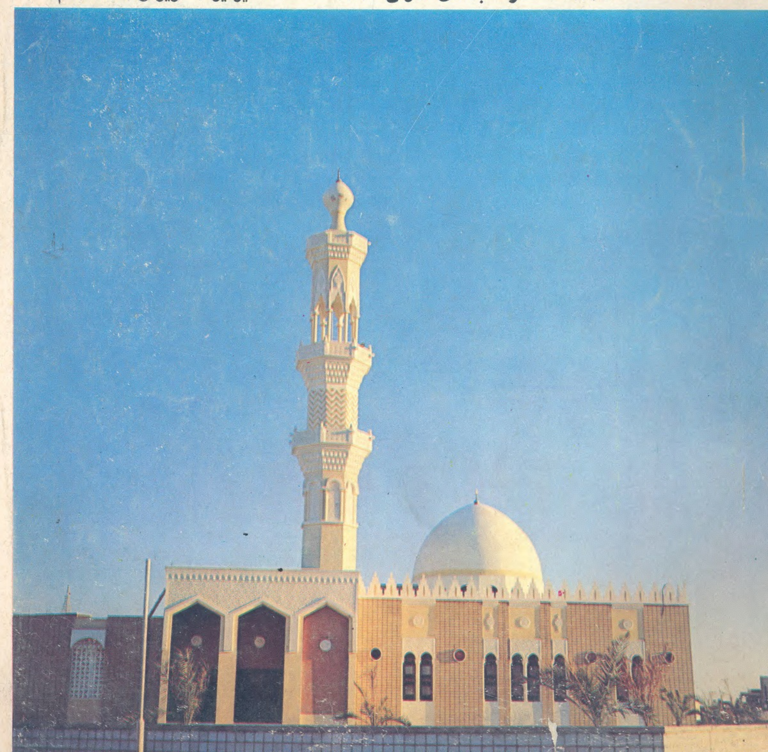
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة ـ العدد ٨٩ ـ غـرة جمادى الأولى ١٣٩٢ هـ ـ ١٢ يونيو (حزيران) ١٩٧٢ م

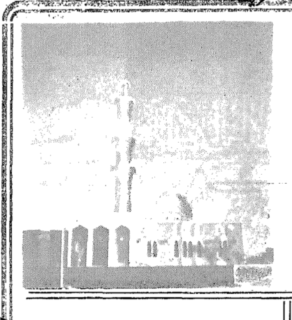




تفضــــل حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم والقائد الاعلى للجيش والقوات المسلحة ، فشمل برعايته السامية حفل تخريج الدفعة الثالثة من الطلاب الضباط فى الكلية العسكرية ، ويبدو سموه وهو يسلم شــــهادة التخـــرج لأحـــد الخريجين .



... رئيس ... ن الوزراء وسعادة
الاحتفـ... لمسئولين أثنـــاء



مسجد الجابرى بضاحية عبد الله السالم بالكويت ــ شيدته الشيخة مريم الجابر الصباح وافتتح فى سنة ١٣٩١ هـ .

تصوير كاظم الناصر

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد التاسع والثمانون

غرة جمادى الأولى ١٣٩٢ هـ

١٢ يونيو (حزيران) ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

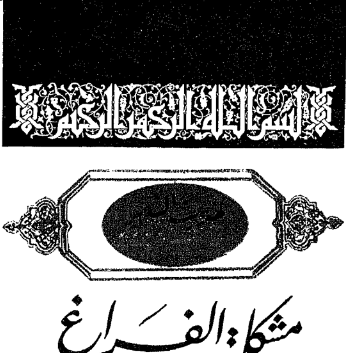
الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف ٨٨٨٠ ، ٤٨٢٢ كويت





مشكلة الفراغ

الفراغ : بمعنى خلو اليد من العمل الجاد ، وخلو العقل من الفكر الباحث هو الضياع الذى ليس بعده ضياع ، والفراغ : بمعنى الاعتماد على الغير فى كل عمل يحتاج اليه مع القـدرة على الاستقلال به ، أو المشاركة فى انجازه هو طفولة هزيلة ، ونفسيـة مهزوزة .

الفراغ : بمعنى تعطيل المواهب ، وقبر القدرات اكتفاء بمواهب الناس وقدراتهم ، هو الداء العياء والمرض العضال .

الفراغ : بمعنى الوقوف عند حـد من الكسب ، أو حد من الخبـرة مع الفسحة فى العمر والقدرة علـى المزيد والتجديد ، هو الزهد الكاذب والنقص الكبير .

الفراغ : بمعنى انقضاء العمـــر يوما فيوما وعاما فعاما دون سعى الى تحصيل علم ، أو اكتســاب خبـرة استنادا الـى حسب أو نسـب ، أو اكتفاء بمال موروث هو التســول الحقيقى والفقر المشين .

والانسان الفارغ المكفى الطاعم الكاسى كيف يستطيب الحياة أو يجد لها طعما ، وهو لا يبذل جهدا ولا يغبر قدما ولا يكد ذهنا .

كيف يكسب احترام الناس وثقتهم من يعيش عالة على سواه يأتيه رزقه رغدا من كل مكان لا لكفاية نادرة ، ولا لموهبة خلاقة ، ولكنه لأنه الحسيـب النسيب ابن الاصول والاسياد .

ان العربى القديم بفطرته الصافية وطبيعته السوية ، وتقديره الصحيح لقيمة الوقت أبى أن يمنح الفارغ المكفى احترامه وتقديره ، بل أسقطه من حسابه ، ولم يعده فى عداد الرجال ، ولم يعول عليه فى النهوض لكريهة أو تحصيل مكرمة أو الدفاع عن حمى بل امتهنه وشهر به فى شعره السائر .

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

هذا الفراغ الذى يعيشه الفارغون بلا قيود ولا حدود أخطر ما يكون على حياة أصحابه وحياة المجتمع الذى يضمهم ويؤويهم لأنه يسوقهم الى الانحراف والفساد واشباع النزوات ، وبهذا الانحراف والفساد يخربون بيوتهم بأيديهم ، ويدمرون حياتهم ويقتلون أنفسهم بانفسهم .

ان الشباب والفراغ والجده
مفسدة للمرء أى مفسدة

وما يقبل انسان حر يحس بوجوده ويشعر بشخصيته ، ويتفهم رسالته فى الحياة أن يعيش واهن العزم منحل الارادة ، خائر القوى يكفيه من دنياه أن يطعم أطيب الطعام ، ويلبس أرفه الثياب ويركب أفره المراكب ينتقل من الظل الى الشمس شتاء ، ويتحول عن الشمس الى الظل صيفا ، ويظل يدور حياته كلها فى هذا المدار البهيمى ما يقبل انسان أن يكون فى وضع المرأة الحمقاء المتاثة التى ندد القرآن بها لأنها تقضى حياتها فيما لا غناء فيه ((ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا)) .

الا ان هذه العقول الفارغة والنفوس المغلقة والحواس المعطلة والمواهب المطموسة ، أوعية للتأخر والجمود والهوان ، وما شقيت أمة من الأمم شقاءها بهؤلاء الذين لا يعيشون الا على طريقة الشاعر الذى يقول .

سألت الله أن يجمعنى بليلى ...
...... الخ .

ولندع هؤلاء الذين منحوا أنفسهم اجازة تفرغ للراحة طول الحياة فهم فارغون دائما لا يستريحون الا من عناء الراحة ، لندعهم وشأنهم وكان الله فى عونهم وعون أمتهم ، الى فريق آخر يعمل ولكنه لا يعمل طول وقت العمل ولا نصفه ، أو أنقص منه قليلا ، وينتج ولكنك لو حسبت ما ينتجه من العمل ، وما يصرف من الوقت لراعك مقدار الزمن التالف والوقت الضائع .

وايا كان السبب فى هذا : التضخم الوظيفى بلغة دواوين الموظفين ومجالس التخطيط وأدارات الاحصاء واسناد عمل الواحد الى الثلاثة أو الاربعة أو عدم كفاءة الموظف للعمل لأنه وضع فى المكان غير المناسب أو حالته النفسية واحساسه بالغبن الواقع عليه لعدم تقديره وانصافه ، أو الاستخفاف بالمسئولية وعدم المبالاة والامان من الحساب والمجازاة لأنه مسنود محسوب ... أيا كان السبب فيوجد فراغ كبير لا يملؤه عمل ولا يسده انتاج ، هناك طاقات ضخمة مهملة وقوى كبيرة ضائعة ، وثروة طائلة مبددة ومصالح كثيرة معطلة .

أرقب الموظفين فى مكاتبهم ومواقع عملهم تجد مظاهر هذا الفراغ كثيرة ومتنوعة ، تجد الكثير والكثير ليس لديه عمل يشغل وقته ولهذا يبحث عن الاساليب والوسائل المختلفة لتزجية هذا الفراغ تجده يضيع وقت العمل فى طعام خفيف يتناوله وقهوة أو

شاى يشربه وصحيفة أو مجلة يقلب صفحاتها وفى استقبال صديق يقضى معه الساعات الطوال فى حديث ، أو فى محادثة تليفونية لا تمت لمصلحة العمل بصلة ، فاذا استنفد هذه الوسائل والاساليب انتقل الى مكتب رئيسه يتملقه ويتزلف اليه ويشكو له كذبا من كثرة العمل أو عرج على زميل له يشغله عن عمله وليس هذا قاصرا على حملة الاقلام وأصحاب المكاتب ، بل لو راقبت قاطع الاشجار فى طريق من الطرق لوجدت أنه يقطع فى الساعات الطوال ما يستطيع أن يقطعه فى ساعة واحدة وبقية الوقت فراغ فى فراغ وضياع فى ضياع .

وبجانب هؤلاء طبقة عالية من موظفين كبار سابقين لهم كفايتهم ولهم خبرتهم ولكنهم لا يعملون ، ولا ينتجون ، ولا يشغلون أنفسهم بعمل ما فى انتظار تحول الاحوال وتغير الاوضاع وانتهاز الفرص لتحقيق الحلم اللذيذ والعودة الى المنصب المرموق .

ولو تجاوزنا وقت العمل الرسمى الى بقية اليوم وحسبنا كم يمضى من الوقت فى الجلوس على المقاهى والتردد على الاندية والسهر فى المسارح والسينما واللف والدوران على الملاهى والمراقص ، لو فكرنا فى هذا الوقت الضائع لوجدنا فراغا كبيرا لا يستفيد منه الفارغون فى عقلهم أو جسمهم ولا تستفيد منه الأمة عملا نافعا يزيد من انتاجها ويضاعف من قوتها ... مئات الآلاف من الساعات تضيع من عمر الأمة فى يوم واحد ، ليس فيها عمل لا للدنيا ولا للآخرة وليس فيها رياضة بدنية ، ولا رياضة عقلية .

ويجىء فصل الصيف بشمسه الموقدة ورياحه اللافحة ، وجوه الملتهب ، وعرقه المتصبب وللصيف فى المناطق الحارة آثاره الواضحة على الحيوان والنبات والجماد والشاعر العربى الذى عاش فى هذه البيئة لم يعد الحقيقة كثيرا حين صور تلك الآثار فى هذه الابيات :

فى زمان يشوى الوجوه بحر
ويذيب الجسوم لو كن صخرا
لا تطير النسور فيه اذا ما
وقفت شمسه وقارب ظهرا
ويود الغصن النضير به لو
أنه من لحائه يتعرى

ومع الصيف يحس العاملون بحاجتهم الماسة الى الراحة من العمل والتخفف من المسئوليات ، والترويح عن النفس فيصيفون فى الاماكن التى يلطف جوها ويطيب هواؤها ويهرعون اليها يقضون فيها فترة الحر ومدة الصيف .

ومع الصيف تغلق المدارس والمعاهد والجامعات أبوابها ، ويفرغ الاساتذة والطلاب من الدراسة وتحصيل العلم ويطوون الكتب ويدعون الكراسات والاقلام ويرتحلون مع أهليهم وذويهم الى شواطىء البحار وأماكن الاصطياف وتستغرق فترة الفراغ فى الصيف ثلاثة أشهر وتزيد أو تنقص قليلا فكيف تقضى هذه الفترة التى تقرب من ربع العام من حقهم أن يفرغوا من العمل ، ومن حقهم أن يروحوا عن أنفسهم ، ولكن ليس من حقهم ولا من صالحهم أن يقضوها فى فراغ مهمل أو لهو مفسد .

هناك ألوان كثيرة من اللهو ، وفنون من الرياضة أقرها الاسلام

ترويحا عن النفس وتجديدا لنشاطها وترويحاً عن القلوب وجلاء لهمومها ، هناك السباحة والرماية والفروسية ومن مأثورات عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ((علموا أولادكم السباحه والرماية ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثبا) وقال عليه الصلاه والسلام (عليكم بالرمى فانه ليس من اللهو) وقال ((كل شىء ليس من ذكر الله فهو لهو الا أربع خصال : مشى الرجل بين الغرضين (للرمى) وتأديبه فرسه وملاعبته أهله وتعليمه السباحة)) .... وهناك الصيد وهو رياضة ومتعة وكسب : صيد البر بالنبال والرماح والجوارح كالكلاب المعلمة والصقور ، وصيد البحر ، وما أجملها من جلسة على الشاطىء تؤخذ فيها النفس بزرقة المياه وتموجها وحركتها ، وهناك الرحلة بين السهول الفسيحة والوديان الجميلة والينابيع الساحرة والجبال ذات الالوان البديعة وهناك القراءة ، والكتاب هو المسامر الذى لا يمل والجليس الانيس والصديق المخلص ومصاحبة الكتب تملأ النفوس بهجة والعقول معرفة والقلوب نورا .

هم جلساء ما تمل حديثهم

مأمونون غيبا ومشهدا

اذا ما خلونا كان خير حديثهم

معينا على نفى الهموم مؤيدا

يفيدننا من علمهم علم ما مضى

وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا

وهناك معسكرات العمل ونشاطات الجوالة ، وقبل كل شىء هناك معسكرات التدريب التى يجب أن تقام فى كل مكان فى البلاد العربية لتدريب كل قادر على حمل السلاح .

هذه وأمثالها فنون الرياضة والراحة واللهو التى يشغل فيها وقت الفراغ ... أما موائد القمار ومجالس الشراب والليالى الحمراء فانها تقتل الوقت وتقتل النفس ...

الفراغ عندنا فى الشرق كبير وطويل ، ومشاكله متعددة : مشاكل اقتصادية ، ومشاكل ثقافية ، ومشاكل أخلاقية .

الاراضى الخصبة المترامية مهملة ومعطلة ، وفى حاجة الى مشروعات وأيد تعمرها وتستنبتها .

الثروات الطبيعية المخبوءة فى باطن الارض ضخمة وفى حاجة الى عقول وجهود لاستخراجها .

الأمية والجهالة نسبتها مرتفعة وفى حاجة الى كتائب لمحوها وازالتها .

التخلف العلمى والصناعى والثقافى فى حاجة الى من يتصدى لانقاذنا منه .

نحن فى أشد الحاجة الى عقل واع وضمير يقظ مفعم بالايمان .. الايمان الذى علمنا من جهالة وغنانا من عيلة .. الايمان الذى أيقظنا من همود ، وحركنا من خمود ، وجعلنا رواد العلم وملوك العالمين ..

نحن فى حاجة الى كل عقل وكل يد . فى حاجة الى كل ثانية وكل دقيقة ، ولن يتحقق ذلك الا اذا عملنا وشغلنا فراغنا وكان شعار كل فرد منا ماذا عملت فى وقت عملك ، وماذا ربحت فى وقت فراغك ..

مدير ادارة الدعوة والارشاد

رضوان البيلى



من أخطائنا

دكتور على عبد المنعم عبد الحميد

عن شداد بن أوس رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :

((سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربى ، لا اله الا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء بنعمتك علىّ ، وأبوء بذنبى ، اغفر لى ، فانه لا يغفر الذنوب الا أنت))(١) .

(رواه البخارى)

١ ــ ثلاث مقالات ظهرت فى كبريات مجلات الكويت ، بل انها تعتبر طليعة مجلات العالم الاسلامى والعربى ، دعت تلك الاحاديث المثالية فى عصرنا ، المعبرة باخلاص عن اخطائنا ، الداعية بصدق الى تلافى نقصنا ، ومحاولة بذل الجهد للقول الجاد ، والدعوة المثمرة ، فى حقل لا يضار فيه أحد ، ولا يهدف الى ما يروم الناس من عرض زائل ، وانما هى فى اعتقادى دعوة للعقل المستنير المستطيع أن يعمل ، مقتديا بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يتأثر بما يصادفه فى الحياة العملية من عقبات ، أو ما يضاده من أفكار ، أو ما يلاحقه من تعويق ..

أولى الثلاث التى اشرت اليها ، لمست بلطف وعفة قلم ما وقع فيه فضلاء المسلمين من تأويل بعض الاحاديث النبوية الشريفة بما لا يتفق وروح النص . ولا يليق بمجتمع يقيم عمده على اسس الشريعة الواقعية العملية الداعية الى الحق ، واعمار الارض ، والاعداد للحفاظ على كيان الدعوة والارض التى تعيش عليها ، وتكوين أجيال تتفاعل مع أزماتها ساعية الى قيادة عالمية فاضلة فى كل ميدان ، فى الخلق ، فى الصناعة ، فى الاقتصاد ، فى الحكم ، فى السياسة ، فى كل مناحى الوجود ، دون استعمال (الا) أو احدى أخواتها .. وقد ضرب الكاتب العلامة لذلك الامثال بما اتسع له المقام .

والثانية : كانت مسطورة فى نفس العدد ، وهى مداعبة بين عالمين متكافئين علما وعملا فيما أرى ، ويعلم الناس ، وفضل الله عليهما (حين أتاح لهما العلم الواسع ، والعقل الناضج ، ويسر لهما السبيل لخدمة الشريعة فى مؤلفات سارت بها الركبان) لا ينكر ، وأسميها مداعبة ، ذلك لأن مداعبات العلماء بعضهم لبعض طالما دافعت عن حق ورد الى صواب ، وكبحت من جماح ، والذى لا ينكر من بوادر عصرنا ، هو أن فتاوى كثيرة صدرت من شخصيات علمية لها وزنها لدى العامة والخاصة ، ما زالت تيسر وتيسر حتى وصلت الى درجة لو تابعناها فى السلوك لانتهينا الى تمييع كامل للشريعة ، واضاعة تامة لحدود الله ، والقينا بالناس فى بيداء مجهل لا يعلم ما وراءها الا بارىء السموات والارض ، والحلال بين والحرام بين ، فمن أراد الدين الخالص فليسلك طريقه ، ومن رام غير ذلك ونكص فانما ينكص على نفسه ، ولهذا فأنا (ولا أقصد الا وجه الله وحده) مع العلامة الشيخ أبو زهرة فيما سجل تحت عنوان : (الطلاق) وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر !!

والثالثة : حملتها زعيمة مجلات العرب فى العصر ، وجرّها يراع مقول مرموق ، وخطيب مفوه ، نرجو له السلامة والعافية ، جاء فيها : « .. ما أحوج أمتنا اليوم الى متدينين مستنيرين ينظرون الى المرأة ، لا على أنها آفة من آفات المجتمع ، بل على أنها نعمة من نعم الله فيه .. » .. وهذا قول جيد وطيب الأثر ، وحديث تتفتح له آذان المسلمين العقلاء ليتدبروه على ضوء أصول الشريعة ، وسلوك رسولها الامين ، ولكن هل لى أن أسر الى السيد المفضال وهو شيخ العارفين ، أو أعلن على ملأ من الناس ، أن الأسلوب الذى عيب على الشرق فى أقسى درجات نظرته الى المرأة قد كان فى الغرب ما يزيد عليه فظاظة وفظاعة ، وهل درى المتحاملون على الشرقيين أن الزمن الذى حفظ فيه الاسلام حقوق المرأة كاملة ، وصانها عن الابتذال ، ووضعها فى مكانها اللائق بها فى المجتمع ، كانت أختها فى الغرب تعيش فى أتعس حالة تسف اليها قسوة الجهالة ، حيث كان يصنع لها غطاء من حديد يوضع على موطن العفة منها وله مفتاح يحمله الزوج الكريم أو الأب الرحيم المسافر جنديا فى الحروب وقد لا يعود ، صورة لم استطع أن أصدقها الا عندما رأيت رأى العين الغطاء ومفتاحه فى أحد متاحف باريس ، وقرأته خبرا مقتضبا فى قاموس (روبير) وأخذ الحياء السيد (لاروس) فلم يشر اليه فى قاموسه الشهير !! ماذا أريد أن اقول ؟!

سؤال يردده القارىء البصير ، والجواب : لقد ثارت المرأة فى الغرب لترفع القيد ، ثورة صامتة فى ظاهرها ، ولكنها تحمل وقود الاشتعال السريع فى باطنها ، وظهر لها أنصار يدعون الى حريتها ، ولكنهم حين أزاحوا الغطاء الحديدى ، طووا معه كل أرديتها وتركوها مجردة كيوم ولدتها أمها ، فلم تكن

حرية ولكن ابتذالا لها وتناسيا لكرامتها ، وقتلا لأنوثتها ، وبعداً بها عن موطن سعادتها .. وكانت بدايتهم معها أن سخروا الفنانين وخاصة الرســـامين والنحاتين ، فأعمل كل ريشته ومعوله في ابراز مفاتن الطبيعة في الحيوان أولا (كإرهاص لما سيكون) وليست للحيوان الأعجم عورة مستورة ، وقد يقال إنها مستورة بما لا يبعد عن لون الهيكل البادي للعيان ، واذا برزت في صورة ما اشمأز العقلاء من منظرها مجردة من سترها ، ومع هذا قال الفنـــانون : إنها الطبيعة وهذا شيء مع الاعتياد لا يخدش الحياء ، ولا يثلم المروءة ، ولو أطيل النظر اليه ، ثم انتقلوا الى الانسان وأي انسان ؟! اقلب أولى صفحات كتاب (ميكائيل لانج) المنشور في مجلدين عظيمين بالالوان الطبيعية ، تجد صورا متفرقة يظهر فيها السيد المسيح (وهو في عقيدة ـــ ميكائيل ـــ سليل الاله ووحيده) في صور عارية تماما وعورته بادية دون أي ستار ، في ابتذال وقح مثير .. وبعد هذا .. فلا ضير أن يظهر الفنان المتدين (كما كانوا ينعتـــونه) عورات غير المسيح من البشر العظماء في نظره ، وعمرت تلك التماثيل الميادين ، ورآها الناشئة وأفهموا أن هذه هي فلسفة الحياة ، شيء طبيعي لا غبار عليه ، وما زالوا يقلدون في واقعهم تلك التماثيل حتى تجردوا من ثيابهم ، ثم وقعوا فيما يعف عنـــه بعض الحيـــوان الأعجم ، وهكذا كانت الطـــامة الخلقيـــة ، والاجتماعية ، وصار من المعتاد أن تشاهد فتاة في عمر الزهور لم تتجـــاوز الخامسة عشرة ولها وليد يجري وراءها من سفاح تحميه الحـــكومة وترعاه الدولة ، وكأنها تناجيها : انسلي ولا ضير عليك ، وليس هذا من الأسرار التي تخشى اذاعتها ، وانمـــا هي من الأمور التي يجب أن تعـــلم عنـــد القوم ليقتدي اللاحق بالسابق .. والى أين المسير .. الله أعلم بالمصير ..

٢ ــ هنا في بلاد المســـــلمين يجب أن نقول : ان لله حدودا يجب أن لا تتعدى ، وأن لا نتهادى بالتهوين من شأنها في مجالسنا العامة أو الخاصة ، فالمرأة في الاسلام لها شأن عظيم لا ينكر ، ووضع كريم لا يطاول ، ووظيفة أو وظائف جديرة بها ، ولم يكن الاسلام هو الذي رسم خطة قصور الســـــلاطين ولا حريم اســـتامبول ، وانما الذي فعل ذلك شيء آخر كالذي حمل أروبى العصور الوسطى على أن يغطي موضع العفة من زوجته أو بنته بقفل ورتاج من حديد ، والذي أخشى هو أن نتمادى مع الغرب فنقول : ان الاختلاط سهل وهين ، وان العري جميل ، وان الجلوس في المقاهي حرية ، وان الاســـفار لا غبار عليها ، حتى يجيء اليوم الذي وصل اليه الغرب حيث لا تعرف الأسرة رباطا ، ولا يدري المولود من والده ، ولا يصدق الرجل أن هذا المخلوق الجديد من نسله ، وهكذا يتفرق المجتمع أيدي سبا ، ويتلاشى الجميع في تيار الحيـــاة التقليدية دون وازع من ضمير ، أو حماية من عقل ، أو رادع من حكم ..

وبعـــد :

فمن يستطيع أن يقول ان المرأة آفة من آفات المجتمع ، هل صدر هذا القول فعلا ؟! هل له في الحقيقة واقع ..؟!

ما أظن أن مجنونا بله العاقلين يستطيع أن يقول هذا ، وانما الذي تجري عليه سنة الحياة ولن تجد لسنة الله تبديلا ، هو أن المرأة زمام الاسرة ، وعافية العقل ، وراعية الخلق ، وداعية العمل الجاد ، هي ركن ركين في الحياة ان ضاعت ضاع الوجود كله ، وهي دعامة لو فقدت لاختفت كل الفضائل ، انها الأم والاخت والبنت ورفيقة الحياة ، فمن ذا يقول ان الاسلام ضيق عليهـــا

الخناق ، انه لم يضارها أبدا لا فى واقعة الحق ، ولا فى تشريعاته الاصيلة ، وتعالوا الى الحرية التى يتمتع بها صنوها الرجل أية حرية يملك ذلك المسكين ؟! انه عبد للأسرة ، وخادم للمجتمع ، وقِنُ قوته ، وطوع أمر رئيسه ، ان الرجل رقيق فى الحياة ، فما الحرية الحقيقية بمعنى الانطلاق الواسع الذى لا يحده حاجز ولا يعوقه قيد ، ان هى الا خيال الشعراء وحلم الفلاسفة ، وان شئت فقل : ربما تتحقق لدى المتدينين كأمل يوم القيامة ، أما فى وجودنا هنا على ظهر الارض فلا حرية مطلقة أبدا ، وانما لكل نافذة تطل على الحرية باب يستر وراءه عدة قيود وسدود ..

وتعالوا : ننظر الى التدرج الغربى فى حرية المرأة والنتيجة التى وصل اليها : قفل ورتاج من حديد على المرأة ومفتاح بيد الرجل ، ثم حرية فى ابراز العورات على الحجارة الصماء ، والالواح البكماء ، ثم تقصير للثياب ، ثم ترك الجسد عاريا ، وهنا حامت الكلاب حول الرمم ، وتداعى الفراش الى النار ، وأحب السائم المرعى ، وعيث الماجن بالجسد دون رقيب ، وحصل على طلبته فى يسر ، وجاء نتاج لا يعرف أبا ، ولا ترعاه أسرة ، فلنأخذ أمورنا نحن برفق ولا نغالى ولا نبالغ فى التعبيرات ، فان الحرب أولها كلام ..

والخلاصة : أن أعمالنا جميعا (وأبدأ بالمتصدين لتفسير الإسلام وشرح قواعده) تحتاج الى مزيد من الاستغفار ، فالاستغفار فى عقيدتى لا يصدر الا من عارف بربه ، ومن عرف ربه هداه سواء السبيل ، ولنبدأ الطريق بازالة الغبار عن الاحاديث الشريفة ، وتجليتها فى صورتها الصادقة الاصيلة كما أرادها قائلها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وفى النهاية أقول : ان المرأة ليست مشكلة ، وحاشا لله أن تكون آفة مجتمع ، وانما المرأة الآن عالمة ومتعلمة ، ومنهن من لا ترضى عن الأوضاع التى يراد لها أن تسود أبدا بل ترى فيها كل الضياع للمرأة ولكرامتها ..

ونعود الى الحديث الشريف فى صحبة عالم جليل من شراحه الأكرمين الذين سبقونا باحسان طيب الله ثراه فنعيد مقالته رضى الله عنه « قد جمع هذا الحديث الشريف من بديع المعانى ، وحسن الالفاظ ما يحق أن يسمى سيد الاستغفار ، ففيه الاقرار لله وحده بالألوهية والعبودية ، والاعتراف بأنه الخالق ، والاقرار بالعهد الذى أخذه على عباده ، والرجاء لما وعدهم به ، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه ، وفيه اضافة النعماء الى خالقها ، واضافة الذنب الى العبد ، ورغبة فى المغفرة ، واعتراف بأنه لا يقدر على ذلك الا رب العالمين سبحانه » .. فاللهم انى أستغفرك وأتوب اليك ، غفرانك ربنا واليك المصير .

---

(١) شرح مفردات الحديث الشريف :

أ) سيد الاستغفار : أفضله ، وصيغ الاستغفار كثيرة ، ومنها ما فضله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على غيره ، لمزية خاصة ، أو حالة مفردة ، أو لمعنى يراد .

ب) وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت : المراد : الايمان بك ، واخلاص الطاعة لك ، فلا أشرك بك غيرك ، ولا ألوذ بحمى سواك ، وفى قوله : ما استطعت : اعتراف من العبد بالتقصير والعجز عن القيام بحق الشكر كما ينبغى ، فهذا شىء لا يمكن الوصول اليه مهما حاول العبد وعمل من طاعات فنعم الله لا تحصى ، ان عدّت .

جـ) أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبى : أى أعترف وأقر ، ففضلك فى الحالين غير مجحود ، ففى الأولى : تفضل ومنة ، وفى الثانية : غفران ورحمة .



للشيخ محمد حسين الذهبى

آراء الغــلات والمتطرفين :

تتبع العلامة المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى آيات القرآن الكريم فلاحظ : أن الآيات التى تتعلق بالعلوم الكونية سبعمائة وخمســـون آية صريحة ، وأن الآيات التى تتعلق بالفقه الاسلامى لا تزيد عن مائة وخمسين آية صريحة .. وانطلق من خلال هذه النتيجة يبدى الأسف والعجب لكثرة ما ألفه علماء المسلمين فى الفقه ، وقلة ما ألفــوه فى علوم الكائنات ، وكان الأولى بهم أن يبرعوا أكثر وأكثر فى عـــلوم الكائنات التى أعطاها الله حظا أوفر من كتابه (١) ولسنا ننكر على الشيخ طنطاوى — اذا تغاضينا عن منحاه فى التفسير العلمى للقرآن — ما أبداه من أسف وعجب ، فمبلغ علمنا وتعليلنا لزيادة الآيات المتعلقة بالعلوم الكونية على الآيات المتعلقة بالعلوم الفقهية ، تجعله على حق فيما ذهب اليه ، ذلك لأن العلوم الكونية لها تعلق قوى بالعقيدة الاسلامية، فالنظر فيها طريق الى معرفة الله ، وكلما ازداد الانسان علما بأسرار الكون كلما ازداد علما بخالقه ومكونه ، هذا علاوة على ما يترتب على

العلم بالكون وأسراره من تقدم ، ورقى ، وازدهار مادى ، لا يقل فى نظر الدين عن الجانب الدينى أو الروحى ، أما العلوم الفقهية أو علوم التشريع . فهى — على أهميتها — تأتى فى المرتبة الثانية بعد العقيدة ، فالعقيدة أساس تقوم عليه الشريعة ، ولا يمكن أن يكون لها كيان بدونه .

والحقيقة التى لا يمارى فيها أحد : أن القرآن الكريم حوى من علوم الدين والدنيا ما فيه خير البشرية وسعادتها فى الدنيا والآخرة .

ولكن هذه الحقيقة تنازعها فريقان من المسلمين على مدى تاريخ القرآن الطويل : فريق غالى وبالغ فقال : ان القرآن حوى كل علوم الدنيا والدين ، ما كان منها وما يكون الىيوم القيامة .

وفريق اعتدل والتزم أمرا وسطا فقال : ان القرآن حوى الكثير من علوم الدنيا والدين ، بعضها صريح ، وبعضها بتلميح ، ونبه الى أن الكون ملىء بعلوم كثيرة حث على استنباطها من خلال كتاب الكون المفتوح أمام أبصارنا وبصائرنا ، لتفتح لنا الطريق الى الله ، ثم الى حياة زاهرة ، آمنة ، مستقرة .

ولقد كان من ابرز العلماء القدامى الذين تبنوا القول الاول وجهروا به وروجوا له فى الأوساط العلمية حجة الاسلام الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ، فقد نقل فى كتابه « احياء علوم الدين » (٢) عن بعض العلماء: « أن القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم ، اذ كل كلمة علم ، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف ، اذ لكل كلمة ظهر ، وبطن ، وحد ، ومطلع » .

ثم يروى عن ابن مسعود — رضى الله عنه أنه قال : « من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن » . ثم يقول بعد ذلك كله : « وبالجملة فالعلوم كلها داخلة فى أفعال الله عز وجل وصفاته ، وفى القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته ، وهذه العلوم لا نهاية لها ، وفى القرآن اشارة الى مجامعها » .. ثم يزيد على ذلك فيقول : « بل كل ما أشكل فهمه على النظار ، واختلف فيه الخلائق فى النظريات والمعقولات ، فى القرآن اليه رموز ودلالات عليه ، يختص أهل الفهم بدركها » .

ثم يمضى الغزالى — فى كتابه « جواهر القرآن » الذى ألفه فيما يبدو بعد كتابه الاحياء — فيقرر هذا الرأى الذى قرره فى الاحياء ، ويزيده بيانا وتفصيلا ، وذلك حيث يعقد الفصل الخامس منه لكيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن ، فيذكر علم الطب ، والنجوم ، وهيئة العالم ، وهيئة بدن الحيوان ، وتشريح أعضائه ، وعلم السحر وعلم الطلسمات .. وغير ذلك ثم يقول : « ووراء ما عددته علوم أخرى يعلم

تراجمها ، ولا يخلو العالم عمن يعرفها ، ولا حاجة الى ذكرها ، بل أقول : ظهر لنا بالبصيرة الواضحة التى لا يتمارى فيها : أن فى الامكان والقوة أصنافا من العلوم بعد لم تخرج من الوجود ، وان كان فى قوة الآدمى الوصول اليها ، وعلوم كانت قد خرجت من الوجود واندسرت الآن .. وعلوم أخر ليس فى قوة البشر ادراكها والاحاطة بها ، ثم هذه العلوم ما عددناها وما لم نعددها — ليست أوائلها خارجة من القرآن ، فان جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله وهو بحر الأفعال ، وقد ذكرنا : أنه بحر لا ساحل له ، وأن البحر لو كان مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد :

فمن أفعال الله تعالى وهو بحر الأفعال — مثلا — الشفاء والمرض كما قال تعالى حكاية عن ابراهيم : « واذا مرضت فهو يشفين » ، وهذا الفعل الواحد لا يعرفه الا من عرف الطب بكماله ، اذ لا معنى للطب الا معرفة المرض بكماله وعلاماته ، ومعرفة الشفاء وأسبابه .

ومن أفعاله تقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان ، وقد قال تعالى : « الشمس والقمر بحسبان » وقال : « وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » وقال : وخسف القمر وجمع الشمس والقمر » وقال : يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » وقال : والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » ولا يعرف حقيقة سير الشمس بحسبان ، وخسوفهما ، وولوج الليل فى النهار ، وكيفية تكور أحدهما على الآخر الا من عرف هيئات تركيب السموات والارض ، وهو علم برأسه .

ولا يعرف كمال معنى قوله : « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ما شاء ركبك » الا من عرف تشريح الاعضاء من الانسان ظاهرا وباطنا ، وعددها ، وأنواعها ، وحكمتها ، ومنافعها ، وقد أشار فى القرآن — فى مواضع — اليها ، وهى من علوم الأولين والآخرين ، وفى القرآن مجامع علم الأولين والآخرين .

وكذلك لا يعرف معنى قوله : « سويته ونفخت فيه من روحى » ما لم يعلم التسوية ، والنفخ ، والروح ، ووراءها علوم غامضة يغفل عن طلبها أكثر الخلق ، وربما لا يفهمونها ان سمعوها من العالم بها ، ولو ذهبت أفصل ما تد لعليه آيات القرآن من تفاصيل الافعال لطال ، ولا تمكن الاشارة الا الى مجامعها .. فتفكر فى القرآن والتمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علم الاولين والآخرين » (٣) .

ثم يأتى جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ ، ويقرر فى كتابه « الاتقان فى علوم القرآن » وفى كتابه « الاكليل فى استنباط التنزيل » ما قرره الغزالى : من أن القرآن قد حوى كل علوم الأولين

والآخرين ، ويسوق من الأدلة على ذلك قوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » وقوله : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء » ، وقوله صلى الله عليه وسلم فى شأن القرآن ـ كما فى سنن الترمذى ـ « فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم »، وقول ابن مسعود رضى الله عنه ـ كما أخرجه ابن أبى حاتم ـ « أنزل فى القرآن كل علم ، وبين لنا فيه كل شىء ، لكن علمنا يقصر عما بين لنا فى القرآن » (٤) .

ثم يذكر السيوطى عن أبى الفضل المرسى : أنه قال فى تفسيره « جمع القرآن علوم الأولين والآخرين ، بحيث لم يحط بها علما حقيقة الا المتكلم به ، ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى ـ ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم، مثل : الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، حتى قال : « لو ضاع لى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله تعالى » ثم ورث عنهم التابعون باحسان ، ثم تقاصرت الهمم ، وفترت العزائم ، وتضاءل اهل العلم ، وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه » .

ثم تكلم عن العلوم التى تفرعت عن القرآن ، فذكر : علم القراءات، وعلم النحو ، وعلم التفسير ، وعلم الاصول ، وعلم الفقه ، وعلم القصص والتاريخ ، وعلم تأويل الرأى ، وعلم الفرائض ، وعلم البلاغة . . ثم قال « هذه الفنون أخذتها الملة الاسلامية منه (يعنى القرآن) وقد احتوى على علوم أخر من علوم الاوائل ، مثل الطب ، والجدل ، والهيئة ، والهندسة ، والجبر والمقابلة ، والنجامة ، وغير ذلك من العلوم » .

« أما الطب : فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة ، وذلك انما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة ، وقد جمع ذلك فى آية واحدة ، وهى قوله تعالى : « وكان بين ذلك قواما » .

« وعرفنا فيه بما يفيد نظام الصحة بعد اختلاله ، وحدوث الشفاء بعد اعتلاله فى قوله تعالى : « شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » ، ثم زاد على طب الاجسام بطب القلوب : « وشفاء لما فى الصدور » .

« وأما الهيئة : ففى تضاعيف سوره من الآيات التى ذكر فيها ملكوت السموات والارض وما بث فى العالم العلوى والسفلى من المخلوقات » .

« وأما الهندسة . ففى قوله تعالى : « انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب . لا ظليل ولا يغنى من اللهب » فان فيه قاعدة هندسية وهى : أن الشكل المثلث لا ظل له » .

« واما الجدل : فقد حوت آياته من البراهين ، والمقدمات ، والنتائج ، والقول بالموجب ، والمعارضة ، وغير ذلك شيئا كثيرا ، ومناظرة ابراهيم نمرود ، ومحاجته قومه أصل فى ذلك عظيم » .

« وأما الجبر والمقابلة : فقد قيل : ان أوائل السور فيها ذكر مدد ، وأعوام ، وأيام التواريخ لأمم سالفة ، وان فيها بقاء هذه الامة، وتاريخ مدة أيام الدنيا ، وما مضى ، وما بقى ، مضروب بعضها فى بعض » .

« واما النجامه : ففى قوله تعالى : « أو اثارة من علم » فقد فسره بذلك ابن عباس » .

« وفيه أصول الصنائع ، وأسماء الآلات التى تدعو الضرورة اليها، كالخياطة ، فى قوله : « وطفقا يخصفان » والحدادة : « آتونى زبر الحديد » . والبناء : فى آيات ، والنجارة : « واصنع الفلك بأعيننا » والغزل : « نقضت غزلها » — والنسيج : « كمثل العنكبوت اتخذت بيتا » والفلاحة : « أفرأيتم ما تحرثون » الآيات . والصيد . فى آيات . والغوص . « والشياطين كل بناء وغواص » « وتستخرجون منه حلية » .

والصياغة : « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا » والزجاجة : « صرح ممرد من قوارير » « المصباح فى زجاجة » . والفخارة . « فأوقد لى يا هامان على الطين » والملاحة : « أما السفينة » الآية والكتابة « علم بالقلم » . وفى آيات أخر والخبز : « أحمل فوق رأسى خبزا » والطبخ : « بعجل حنيذ » . والقصارة : « وثيابك فطهر » . « قال الحواريون » وهم القصارون . والجزارة « الا ما ذكيتم » . والبيع والشراء: فى آيات . والصبغ « صبغة الله » . « جدد بيض وحمر » . والحجارة : « وتنحتون من الجبال بيوتا » . والكيالة والوزن : فى آيات كثيرة . والرمى : « وما رميت اذ رميت » ، « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

« وفيه من أسماء الآلات ، وضروب المأكولات ، والمشروبات ، والمنكوحات ، وجميع ما وقع ويقع فى الكائنات ما يحقق معنى قوله : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » . قال السيوطى — انتهى كلام المرسى ملخصا مع زيادات » (٥) .. وأخيرا عقب السيوطى على هذا بقوله : « وأنا أقول : قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شىء : أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هى أصل الا وفى القرآن ما يدل عليها ، وفيه عجائب المخلوقات ، وملكوت السموات والارض ، وما فى الأفق الأعلى ، وما تحت الثرى وو .. الى غير ذلك مما يحتاج الى مجلدات » (٦) .

ثم يأتى من المحدثين من يقول بما قال به الغزالى والسيوطى ، وأبو الفضل المرسى ، مع مزيد من المبالغة والتكلف وعلى رأس هؤلاء المحدثين المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى ، فقد حمل كتاب الله كل علوم الدنيا والدين فى كتابه « الجواهر فى تفسير القرآن الكريم » .

ولو أننا تتبعنا سلسلة البحوث التفسيرية للقرآن الكريم فى هذا العصر الحديث وفى وقتنا الحاضر بالذات لوجدنا لأصحاب هذا المنزع العلمى فى فهم القرآن الكريم وتفسيره بحوثا كلها تعسف

وتكلف ، ولوجدنا لهم فى ذلك مؤلفات كثيرة تحمل بعض النصوص القرآنية مالا تحتمل من نظريات علمية مستحدثة !! ..

ونستعرض بعض هذه الكتب فنرى فيها عجبا :

فى كتاب « الجواهر فى تفسير القرآن الكريم » للمرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى ، عند تفسيره لقوله تعالى فى سورة البقرة : « واذ قال موسى لقومه : ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » الآيات ٦٧ وما بعدها الى آخر القصة نراه يقول ما نصه :

« وأما علم تحضير الارواح ، فان من هذه الآيات استخراجه . ان هذه الآيات تتلى ، والمسلمون يؤمنون بها حتى ظهر علم الارواح بأمريكا أولا ، ثم بأوربا ثانيا » ثم يذكر نبذة طويلة عن مبدأ ظهور هذا العلم ، وكيفية أنتشاره ، ومدى فائدته ، ثم يقول :

« ولما كانت السورة التى نحن بصددها قد جاء فيها حياة العزيز بعد موته ، وكذلك حماره ومسألة الطير ، وابراهيم الخليل، ومسألة الذين خرجوا من ديارهم فرارا من الطاعون فماتوا ثم أحياهم . وعلم الله أننا نعجز عن ذلك ، جعل قبل ذكر تلك الثلاثة فى السورة ما يرمز الى استحضار الارواح فى مسألة البقرة ، كأنه يقول : اذا قرأتم ما جاء عن بنى اسرائيل فى احياء الموتى فى هذه السورة عند آواخرها فلا تيأسوا من ذلك فانى قد بدأت بذكر استحضار الارواح فاستحضروها بطرقها المعروفة ، واسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » (٧) .

وفى كتاب « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » للمرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبى ، نراه يقول فى ص ٢٣ — ٢٥ ما نصه :

« ان العلم كشف فى هذه القرون الاخيرة حقائق وطبائع كثيرة تعزى لكاشفيها ومخترعيها من علماء أوربا وأمريكا ، والمدقق فى القرآن يجد أكثرها ورد التصريح أو التلميح به فى القرآن من ثلاثة عشر قرنا ، وما بقيت مستورة تحت غشاء من الخفاء الا لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن ، شاهدة بأنه كلام رب لا يعلم الغيب سواه — » .

ثم يذكر بعض المكتشفات العلمية التى يقول ان القرآن سبق اليها فيقول :

« وكشفوا أن التغيير فى التركيب الكيمائى ، بل والمعنوى ناشىء عن تخالف نسبة المقادير ، والقرآن يقول : « وكل شىء عنده بمقدار » .

« وكشفوا طريقة امساك الظل ، أى التصوير الشمسى ، والقرآن يقول : « ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا » .

وفى كتاب « الاسلام والطب الحديث » للمرحوم الدكتور عبد العزيز اسماعيل ، نراه يعرض لقوله تعالي في الآية (٢) من سورة

البقرة « وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم » تحت عنوان « الحياة تحت ضوء القرآن » فيقول فى ص ١٣ — ١٥ ما نصه :

« هذه الآية الكريمة معناها — والله أعلم — أن اللحوم والاسماك والالبان .. الخ . أفضل فى التغذية من البقول والقمح والذرة » .

ثم يعقد مقارنة بين الاغذية الحيوانية والاغذية النباتية ، ويخرج بنتيجة تقرر هذه الافضلية ثم يقول : « ان هذه النتيجة التى لخصها القرآن الشريف ، ولم تظهر حقيقة ثابتة الا منذ سنوات قليلة » .

وها نحن — أخيرا — نقرأ لبعض الكاتبين ، ونسمع من بعض المحاضرين نماذج من هذا التفسير العلمى للقرآن الكريم ، وفى كثير منها تكلف ظاهر !! .

يقول بعضهم : ان الصعود الى القمر والنزول على سطحه — وهو أحدث ما وصل اليه العلم فى عصرنا قد ورد فى آيات من القرآن الكريم ، منها :

قوله تعالى : « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان » — يعنى سلطان العلم .

وقوله : « ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير » . وها هو ذا سائل يسأل المرحوم الاستاذ العقاد فيقول :

قوله تعالى : « فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا : هذا عارض ممطرنا ، بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم . تدمر كل شىء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين » . أليس من الممكن أن تعتبر هذه الآية « يريد الآيتين » اشارة مبكرة من القرآن الكريم الى القذيفة الذرية **ودليلا قاطعا** على سبق القرآن العلمى الذى أمكن اثباته فى مواضع كثيرة ؟ ..

.. هذه بعض الأقوال والآراء لجماعة من الغلاة المتطرفين !! ..

---

(١) انظر الجواهر فى تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوى جوهرى ص ٢٥ ص ٥٣ — ط : الحلبى سنة ١٣٤٠ — ١٣٥١ هـ .
(٢) جـ ٣ ص ١٣٥ — ط لجنة نشر الثقافة الاسلامية .
(٣) جواهر القرآن ص ٣٢ — ٣٤ ط : كروستان العلمية سنة ١٣٢٩ .
(٤) الاكليل ص ٢ ، والاتقان جـ ٢ ص ١٢٦ .
(٥) الاكليل ص ٢ — ٥ ، والاتقان جـ ٢ ص ١٢٦ — ١٢٨ هـ .
(٦) الاتقان جـ ٢ ص ١٢٩ — ١٣٠ .
(٧) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم ص ٧١ — ٧٢ .



للاستاذ : نديم الجسر

الذين يهمني اقتناعهم ، من قراء هذه المجلة الواسعة الانتشار ، هم الشبان المسلمون المثقفون ، الذين فتحوا عيونهم على النكبة وليس في أيديهم من الأمر شيء ، وسوف يكون في أيديهم ، وحدهم ، عما قريب ، كل شيء . . .

والكلام مع هؤلاء من اصعب الصعاب ، واهون الهينات :

اما السهولة فهي من جهة ان المتحدث اليهم يجد نفسه مستغنيا عن الاسهاب بالايجاز ، وعن التصريح بالتلميح ، واما الصعوبة فهي من جهة انهم لا يؤخذون بالسفسطات والاغاليط والمبالغات ،

فلا بد للكلام ، معهم ، ان يعتمد على المنطق الصارم . وبهذا المنطق الصارم ساحدثهم عن بعض جوانب النكبة ، وعن اسرائيل ، بلا غرور ، ولا غلو ولا أوهام ، ولا احلام .

اعرفوا اقداركم :

من جوامع الكلم المروية عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قوله (ما هلك امرؤ عرف قدره) ومما اشتهر على ألسنة الحكماء ، من عهد الاغريق ، قولهم (اعرف نفسك) .

ولكن أكثر الناس يحملون هاتين الكلمتين الجامعتين على وجه واحد من النصيحة : وهوان يعرف الانسان جوانب ضعفه ، ونواحي عجزه . وقل ان يتبادر منهما الى الاذهان ذلك المعنى الاعم الاوسع الذي نحن اليوم ، أحوج اليه .

ان غفلة الانسان عن معرفة نفسه ، في حقيقة ضعفها وعجزها ليست أكثر ضررا من غفلته عن عرفان نفسه ، في حقيقة قوتها وقدرتها . . . ويزداد هذا الضرر ، ضراوة واستشراء ، اذا كانت هذه الغفلة في أمر يتعلق بالجماعة أو الأمة للخور والتهلك واليأس عند صعقة البلية وبغتة النازلة ، عدوى سارية طاغية تنتقل من الضعفاء الى الاقوياء بل من السخفاء الى الحكماء . . . ولولا ذلك لما تهلكنا ، كلنا ، امام المعركة المباغتة ، حيارى ، معولين ، يائسين ، قانطين . . .

الكبوة ليست نكبة الأبد :

ان نكبة (أحد) ، التى جرح بها النبى القائد الاعلى ، فى قلب معقله هى كبوة . وليست نكبة الابد ...
وفتح الافرنسج لبلاد الشام ، واستيلاؤهم عليها ، مدة قرنين لم يكونا نكبة الابد ...
وفتح بغداد وتخريبها من قبل (هولاكو) لم يكن نكبة الأبد على شعب استطاع أن يصنع معركة (حطين) ، ثم استطاع أن يبيد ، جيوش المغول المتحالفة مع الافرنجة فى (عين جالوت) ...
وهزيمة دمياط التى كانت تحمل كل عناصر النكبة : بخيانة القائد ، وموت الملك (الصالح) ، ووضع الخلافة الاسلامية ، لأول مرة فى التاريخ فى حضن الجارية (الصالحية) لم تكن نكبة الأبد ، على شعب استطاع أن يأسر ملك فرنسا العظيم ويضعه فى دار القاضى لقمان (غير الحكيم) ..
واسر لويس التاسع هذا فى (المنصورة) لم يكن نكبة الأبد ، كما أن اسر (فرنسوا الأول) فى معركة (بافيه) ، لم يكن نكبة الأبد على الشعب الافرنسى ، الذى استطاع بعد ذلك بامد غير طويل أن يخلق (لويس الرابع عشر) الذى تحكم ، فترة من الزمن بمقدرات اوروبا ...
واحتلال نابليون الأول لالمانيا كلها ، لم يكن نكبة الأبد ، على شعب استطاع ، بعد ذلك بامد قصير ،أن يخلق (بسمارك) ويصنع معركة (سدان) ، ويأسر نابليون الثالث .
واحتلال الالمان لباريس ،لم يكن نكبة الأبد ، على شعب استطاع أن يخلق (ديغول) ، الذى بدأ طريدا شريدا ، وانتهى ، بأن يتحكم بمقدرات اوروبا ...
واحتلال الاستعمار فى القرن الماضى ، للهند ، واندونيسيا ، ومصر والسودان ، والجزائر ، وتونس ، والمغرب الاقصى ، وليبيا ، وسوريا ولبنان وفلسطين ، والعراق ، اى للعالم العربى والاسلامى كله تقريبا لم يكن نكبة الأبد ، بدليل أن هذه الاقطار كلها تتمتع اليوم بالاستقلال وتقعد مع تلك الدول المستعمرة على مائدة واحدة فى الامم المتحدة ...
واحتلال الحلفاء فى سنة ١٩١٨ لاستانبول ، لم يكن نكبة الأبد على شعب استطاع أن يحطم قيوده ثم ينتهى الى أن يرى الحلفاء الذين اذلوه يركعون امامه مستجدين منه أن يدخل معهم فى حلف الاطلسى

عناصر البقاء

فى معركة (المصير الأبدى) للامم عناصر ثلاثة اساسية ضرورية يقوم عليها بقاء الأمة :

١ ــ الأرض الكافية الوافية للبقاء
٢ ــ العدد الكافى للبقاء .
٣ ــ الوحدة الفكرية الكافية لجمع القلوب .

وكل نقص ، فى غير هذه العناصر الثلاثة ، من علم ، وتصنيع ، وتسليح يمكن تلافيه مع الزمن .
فان قيل لك ، ايها الشاب المسلم أن امة على وجه الأرض بل فى تاريخ الأرض ، قد اجتمعت لها هذه العناصر الاساسية الثلاثة ، **اكثر مما اجتمع للأمة الاسلامية ، فلا تصدق .**
ومهما قيل لك عن ذهاب ريح المسلمين الى الأبد ، بسبب ضعفهم وتنازعهم ، فلا تصدق .
ولا يخدعن المستعمرين اننا ، بمكائدهم ، نختلف ونتنازع ، واحيانا نتقاتل ، فان هذه الخلافات مؤقتة وسطحية : فما من مسلم ، مهما وهن ايمانه ، الا ويخشع قلبه لقول الله

تعالى (انما المؤمنون اخوة) ولقول النبي صلى الله عليه وسلم (اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النـــار) ومن اثر الحديث كانت الحروب التى جرت بين المسلمين قليلة ومحدودة اذا قيست بالحروب الدائمة الضارية الهائلـــة التى لا تنقطع بين دول اوروبا ...

وان امة تبلغ ثلث ســـكان الارض وتملك فى سرة الدنيـــا ، اكبر واغنى رقعة متواصلة غير متفاصلة تمتد من اقصى المغرب الى اقصى المشـــرق ، وتمتلك ثلثى ساحل (البحر المتوسط) وتتسلط على معابره الثلاثة ، وتمتلك البحر الاحمر بكامله ،وتنام على بحر من البترول ويشد قلوب ابنائها كتاب واحد ، نحو ايمان واحد ، بآله واحد واخوة واحدة ، ليســت بالأمة التى تغلب وتقهر الى الأبد .

ما وجدت لتبقى

اما اسرائل فلن يكتب لها البقاء . لانه لم يكتب لها البقاء ...

يقول الذين خلقوها انهـــا (وجـــدت لتبقى) ... وانا اقول : انها وجدت لتزول ... لا اقولهـــا مغرورا ، ولا موتورا ، ولكنى اقولها عالما بنواميس الاجتماع التى يبنى عليها وجود الأمم وبقاؤها ، وزوالها بامر الله ، وحتمية التاريخ .

نعم نعم . أن دولة اســـرائل هذه ، وفى فلسطين بالذات ، لن تبقى ، ولو اجتمع يهود العالم بملايينهم العشرة المتفرقين فى أطراف الارض وجاءوا كلهم الى فلســـطين ، وحمل كل واحد منهم مدفعا فى سيارة وصاروخا فى طيارة ...

وقبل أن اقول لماذا لن تبقى ، امهد بكلمة عن دولة اسرائيل فى التاريخ وعن دورها ونصيبها من البقاء ، فى صراع ناموس تنازع البقاء :

ما هى دولة شاوول وداود وسليمان عليهمـــا الســـلام اللذين نقرا عن امجادهما فى تاريخ الدين صفحات ذهبية تكاد توهمنا انها دولة عظيمة ؟ انهـــا دويلة ، بل اصغر من دويلة ، لا تتعدى حدود رقعة صغيرة من قطر فلسطين الصغير القاحل ،الضيق ، المحصـــور بين الامبراطـــوريـــات : الفرعونية والكـــلدانية والآشـــورية والفارسية والرومانية ، المتطاحنة فى حروب لا نهاية لها ، للســـيطرة على العالم القديم ... فهى كدولة (وبقطع النظر عن الرسالة الســـماوية التى كانت ملقاة بامر الله على عاتقها) لا تكفى بارضها وسكانها وهيكلها الذهبى ان تكـــون لقمـــة فى اشـــداق تلك الامبراطوريـــات هذا من بديهيـــات النـــاموس الالهى الاجتمـــاعى الذى يســـمى ناموس تنازع البقاء وبقاء الانسب : ولكن دولة شاوول وداود وسليمان قد وجدت بتدبير الله لغاية عظيمة ، استنفذت اغراضها :

انها وجدت لحمل رسالة فى سبيل غاية سامية يريدها الله وهى حماية الشعب الوحيد الباقى (بعد ابراهيم ونســـله) على عبادة الله الحق من مظالم الوثنيات الفرعونية والكلدانية والآشورية والفينيقية .

وقـــامت هذه الدولـــة الصغيرة وازدهرت فى عهد داود وســـليمان على اساس مبادىء الحق والخير . ثم فسد الشعب ، فخرج عن مبادىء الحق والخير ، بظلمه وترفه وقتله الانبياء فخسرت الدولة ســـند بقائها الالهى الاوحد ، وخسرت الديـــانة مقومات صلاحها ، فارسل الله السيد المسيح عليه السلام بالانجيل والدين الحق ليحل محل الديانة التى افسدها اهلها ... وسلط الله على الفاسدة من زلزلها ، وعلى الشعب الظالم من مزقه وفرقه وشرده تشريدا لم يعرف

التاريخ له نظيرا في اى شعب من شعوب العالم : فكان الاجلاء الاول الى بابل على يد (بختنصر) ، ثم كان التشتيت الأبدى على يد (تيطوس)

وهكذا انتهت الديانة اليهودية المنسوخة بالمسيحية ، فلم يبق مبرر لوجودها الهيا . وانتهت الدولة اليهودية لانه لم يبق لوجودها مبرر وهو حماية الدين الحق ... وانتهى الشعب اليهودى (كوحدة سياسية) لانه لم يبق لوجوده ، اى مبرر او سند اجتماعى بحكم قلته وضعفه وبحكم تنازع البقاء ، فتمزق فى الأرض ابادید بعد هذا التمهيد التاريخى ارجع لاكرر القول : إن اسرائيل الدولة الحالية المصنوعة فى فلسطين ما صنعت لتبقى اولا — لان كيان الدولة الاسرائيلية فقد مبررات وجوده الدينية والاجتماعية فاعطاها لغيره .

ثانيا — لان دولة اسرائيل الجديدة الاصطناعية غير الطبيعية التى فقدت مبررات وجودها هى بذاتها ، وبقطع النظر عن النظرة الدينية غير صالحة للبقاء بحكم ناموس القوة فى تنازع البقاء : لانها تفتقر الى العنصرين الاساسيين من عناصر البقاء : وهما الارض الكافية ، والعدد العديد الكافى كما سبق البيان فى صدر الكلام .

ثالثا — لان الفلاسفة الذين وضعوا نواتها قد وقعوا فى سوء اختيار البقعة الصالحة لتكوين دولة يمكن ان يكتب لها البقاء ، بل وقعوا فى الفخ الذى نصبه لهم الاستعمار حين وافقهم على اختيار بقعة فلسطين بالذات لتأسيس الدولة الاسرائيلية الجديدة. فالاستعمار اراد ان يجعل اسرائيل شوكة فى حلق الامة العربية من غير أن يبالى بالمصيبة على من تقع من الطرفين (فبأيهما جاءت فبالعدو) .
ولو قدر للفلاسفة اليهود الذين وضعوا نواة الفكرة لاعادة دولة اسرائيل ان يختاروا بقعة أخرى فى احدى بلاد الوثنية الافريقية مثلا لكان من الممكن أن تتكون لهم دولة اسرائيلية قابلة للحياة والبقاء ولكن فلاسفة اليهود خدعوا أنفسهم حين ركزوا أنظارهم على جاذبية الدعاية الدينية ، التى يتأثر بها كل يهودى ساذج يقال لهائك سوف تحي دولة داود وسليمان في نفس هيكل داود وسليمان . فيا لغباء الفلاسفة ما أغربه ...
انهم فكروا فى جاذبية الدعاية الدينية وغفلوا عن رد الفعل للدعاية الدينية نفسها عند المسلمين ، الذين يدخل فى صميم عقيدتهم تقديس المسجد الاقصى وما حوله ، والذين بذلوا فى الحروب الصليبية دماء غزيرة حتى استردوها ، والذين مضى على استقرارهم التاريخى فيها اربعة عشر قرنا ، حتى رأت الدول المسيحية العظمى ، التى هى أقدر على انتزاعها من أيدى المسلمين ، ان تحترم ذلك الاستقرار التاريخى المزمن فتركتها لهم .

من كل هذا يظهر بوضوح ، ليس بعده وضوح ، ان خلق دولة اسرائيل فى أرض فلسطين الضيقة القاحلة التى لا تكفى بمساحتها وثروتها الطبيعية لتكوين دولة ، ومن شعب لا يكفى بعدده لو اجتمع كله للصمود ، وفى وسط بحر من الامتداد العربى الاسلامى الهائل الذى وصفناه ، وفى أتون من نار الغيرة الدينية الاسلامية والمسيحية ، ومع التجاهل لأثر الحق الناتج من الاستقرار التاريخى ، كان خلقا اصطناعيا يحمل فى صدره عناصر زواله لأنه لا يعتمد على أى مبرر للوجود والبقاء من المبررات الدينية والاجتماعية والتاريخية أو الارضية أو البشرية أو الاقتصادية وان قيل لكم أيها الشباب ان هذا

الكيان الاصطناعى تحميه الـــدول الغربية الى الابد فلا تصدقوا لأنه لا مبرر طبيعى وأساسى لحماية هــذا الكيان الى الابد .

فالحماية أما أن تكون للعاطفــة . وأما أن تكون للمصلحة :

أما العاطفة فلا عاطفة . . . وتاريخ الاوربيين مع اليهود هو سلسلة من القتل ، والذبح ، والخنق ، والحرق كما تعلمون .

وتبقى المساعدة للمصلحة . وهذا هو الواقع . فالدول الاستعماريــة التى خلقت دولة اسرائيل لتكـــون شوكة فى صدر الأمة العربية ، انما خلقتها لمصلحة سياستها الاستعمارية والبترولية ، ولم تخلقها للعاطفــة . وستظل تحميها ما دامت لها مصلحة فى حمايتها . . . فاذا قيل لكم أنهـــا سوف تحميها الى الابد فلا تصدقـــوا فما فى سياسة المصلحة شىء ثابــت الى الابد .

هذه حقيقة يؤيــــدها المنطــق . ويؤيدها التاريخ :

فالمصلحة السياسية والاقتصادية تكاد تكون وحدها المنطلق الاساسى الرئيسى لاستعمار البلاد العربيـــة والاســـــلامية ... ، والمصلحـــة السياسية والاقتصادية هى وحدهـــا المنطلق للتخلى عن البلاد العربيـــة والاسلامية واعطائها استقلالها .

وعلى ضوء هذا الوضـــوح اطرح هذين السؤالين :

هل التخلى عن تونس والجزائـــر والمغرب أعظم واوجع فى ميـــزان المصلحة الاستعمارية الفرنسية من التخلى عن مساعدة اسرائيل ؟

وهل التخلى عن الهند الدرة فـــى التاج البريطانى ، اعظم واوجع فى ميزان المصلحـــة الاستعماريـــة الانكليزية من التخلى عن مساعـــدة اسرائيل ؟

الجواب واضح وبديهى .

ناموس التدافع

ومع ذلك فان ســـياسة المصلحة السياســـية الدولية العامة اجبرت فرنســـا وانـــكلترا على ترك هذه المستعمرات العزيزة الغالية .

هذه السياسة الدولية العليا التى تتفاعل على الارض فترغم الجبابرة على أن يتخلوا عن جبروتهم وطغيانهــــم بحكم تدافعهم هى الناموس الاجتماعى الذى عبر عنه القرآن بقوله **(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض)** . وبقوة هذا الناموس يقوم التوازن الدولى بين الغرب والشرق اليوم . . . وبقوة هذا الناموس أرغمت فرنسا وانكلترا وهولانده وايطاليـــا على ترك أعز واعظم مستعمراتها .

وبقوة هذا الناموس دفن الانكليز والافرنسيون أربعين الف عسكرى من شبابهم أمام حصون سيفاستابـــول ليردوا روسيا المسيحية عن تركيـــا المسلمة . . .

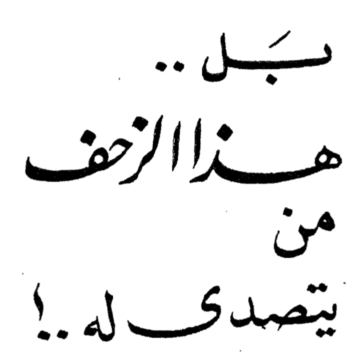
وها هو الناموس الآلهى نفســـه يعود ليتجلى من جديد فى سياســــة الدولتين الاوروبيتين اللتين هاجمتـــا بور سعيد بالاشتراك مع اسرائيل من عهد قريب .

وتبقى أميركا . وسوف يأتى دورها وتنقشع الغشاوة الصهيونية عـــن عيون الشعب الاميركى الذى لا يخلو من عقول نيرة ترتفع أحيانا فـــوق الدعايات وفوق الرواسب :

وليس ببعيد ذلك اليوم الذى سيقول به الشعب الاميركى ياويلنا من الخطر الاصفر . . .

وليس ببعيد ذلك اليوم الذى تقف به امريكا المسيحية تستجدى مســـاندة المدار الاسلامى المؤمن فى حربها مع الوثنية الصفراء .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . . .



بل .. هذا الزحف من يتصدى له ..!

بقلم: الاستاذ محمد احمد العـــزب

حين كتبت مقالي (هذا الزحف من يتصدى له ؟) في عدد شوال ١٣٩١ هـ ١٩ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧١ م على صفحات مجلـــة الوعى الاسلامى ، محاولا من خلاله أن اعبىء لثورة عقائدية في الفن تصالب ثورة الالحاد فى الفن على كل العقائد والموروث الدينى هنا وهناك ، كنت أطمح الى اشتجار جـــدل حقيقى حول هـــذه الدعوة الى التعبئة ، وليس الى تثاؤب مرضى يســـحب عليه غطاءه وينام !!

وفى عدد (صفر) ١٣٩٢ هـ من الوعى الاسلامى قرأت أول أصداء هـــذه الدعوة . بحثا بحجم ثقافة عصرية واعية ، كتبه الصديق الفنان الشاعر الاستاذ يوسف حسن نوفل المدرس بالكــويت تحت عنوان (هؤلاء المتصـــــدون من يدعمهم ؟) !!

وبدءا .. نحن لم نختلف حول محاور الدعوة الصميمية ، وإن كنا قد اختلفنا بعض الشىء فى منظوراتنا حول تطبيقية المقولات .. اننى لا اكتب الآن ردا على الصديق الباحث الشاعر الفنان ، ولكنى أكتب استدراكا ، أو قل إننى أرفـــع يدى لمجرد الاستفسار عن أشياء !!

وقبل أن أستطرد .. فقد يكون من المفيد أن أوجز رؤيتى للقضية ، وأن أوجز كذلك رؤيـــة الصديق للقضية ، ثم أرفع فى نهاية الرحلة يدى متسائلا . وللصديق أن يمنح جوعى الحقيقى قرى إجاباته على كل ما أثير من تساؤلات :

قلت وأقول : إننا على مستوى العالم الاسلامى ــ نواجه كل القضـــايا

الصميمية بمزيد من لزوجة الصمت ومزيد من لزوجة اللامبالاة ، فى نفس اللحظة التى يتحرك فيها الآخرون بمزيد من بنادق الوعى ، ومزيد من رايات الاستبصار !!

وقلت واقول : إن فننا العقائدى يتكىء فى تحركه — إن تحرك — على فرضيتين : اولاهما أن العقائديات ليست فى حاجة الى من يناضل عنها ... وثانيتهما أن هذه العقائديات تملك من قدراتها الذاتية على الاشعاع والتوصيل ما يغنيها عن معاناة الدعاة وكدح الراشدين !! وهذه فيما يخيل إلىّ مقولات باهظة غبية تطفىء احداق الدعوة واحداق الدعاة على السواء !!

وقلت واقول : إننى لا اصادر الفكر النقيض ، ولا يمكن ان ادعو الى مصادرته ، لأن معنى ذلك إذا حدث اننى انفى نفسى من العصر الذى احياه من جهة ، واننى اصادر رافد الخصب الحقيقى — وإن كان نقيضا لا يهم — فى حقول فكرنا العقائدى وفننا العقائدى جميعا من جهة أخرى ، وتلك جريمة لا يتصدى للعمل فى رهجها إلا المهرجون !!

وقلت واقول : إن ما يقرؤه شبابنا فى هذه المرحلة لا يعدو ان يكون واحدا من اثنين :

(١) فكر بلا فن ، وفن بلا فكر ، هذا على الشاطىء العقائدى !!

(٢) فكر مبطن بالفن ، وفن مائج بحركة الفكر ، هذا على الشاطىء اللا عقائدى !!

وحتى لا اتهم بتسطيح قضية من أخطر قضايا فكرنا المعاصر بلا تحفظ حددت لنفسى محاور من خلالها قلت ما قلت . قلت إن فى المسرح الغربى ، والرواية الغربية ، والشعر الغربى ، نزوعا الى مصادرة مقولة (الله) ربما تبدأ بخلخلة الجذور ، وربما تنتهى الى اقتلاع الشجرة مرورا بالاكباب على بتر شروشها مرة ، وعلى إجهاض ثمارها مرة أخرى ، هكذا بلا توقف وبلا مبالاة !! وقلت — من خلال إحصاء مقارب استشهادى — إن نمطا من انماط هذا الابداع الفنى المكرس لهذه الغاية وهو (المسرح) قد ضرب فى هذا الصدد ضرباته الناجعة ، مؤسسا كل خطوة من خطواته على اقتدار فنى ، وعلى استبصار ثقافى بطبيعة المرحلة ، وطبيعة العصر ، وطبيعة الشخوص الذين تتعامل معهم هذه الكلمات !! وقد حاولت أن استكنه ملامح هذه الحركة الفنية القاصدة الى خلخلة ايماننا بكل شىء ، مستنهضا ملكات واقلام ادبائنا وفنانينا ونقادنا جميعا على طريق التصدى لهذا الزحف المسلح بكل إمكانيات عصره الخلاق !!

وقلت واقول : إن مسرحنا العربى فى مواجهة هذا الزحف — واحزن معى إن شئت — ما يزال قطاع منه يتلهى بالتسكع الفاشل على ضفاف فكرة الزمن ، وقطاع منه يتغنى بانتصاراتنا الوهمية التى اجهضها الواقع الضاغط فى أول لقاءاته معها ، وقطاع منه يتلكأ على صدر مومس عجوز تبيع الحب فى طرقات المدينة ، وقطاع منه يتهاوى تحت معاول عجزه الذاتى فلا يقوى حتى على مجرد ان يقول !!

هذه محصلة متولاتى التى حملها مقالى الاول ، واعتقد أن لقاء المقال أجدى بكثير من القناعة بمجرد المرور المسطح على حروف هذه المحصلة مهما كانت قدرتها على حمل ملامح هذا المقال . .

وقبل أن أدير نقاشا من أى لون ، فلأغامر بتحديد ملامح مقال الصديق الاستاذ يوسف حسن نوفل (هؤلاء المتصدون من يدعمهم ؟) ، وعذرا من لحظة البداية اذا كبوت على طريق فهمى الجاد لمقولات مقاله الممتع ، وآمل ان تجنبنى المعاناة مرارة العثار على هذا الطريق !!

يقول الصديق الباحث : إن إنسان الثلث الاخير من القرن العشرين قد تعرض لهزات عقائدية فادحة مهد لها التطور الحضارى بإنجازه المادى من جهة ، وببروز عمالقته الملحدين من جهة اخرى ، وبتدفق الحس المأساوى القلق المصاحب لتطور أدوات الحرب من جهة ثالثة . . . وقد زكّى هذا الصدع الفاجع انشطار العالم الى شرق وغرب ، وإيمانه الاعمى بمنطق القوة المغرورة بلا حدود .

ويحيل الصديق الباحث الى هذه الاسباب والدوافع التى أسلف بروز تيارات الالحـــاد المعاصر مرتبا فيما يشـــبه الحتمية هذه النتيجة على هـــذه المقدمات !! ثم يمهد لقضية (الفن العقائدى) ــ التى مـــن اجلها يدور هـــذا الحوار ــ باستعراض آراء (تشارلتون) الذى يرى أن الفن ينبغى أن يكـــون (تصويرا للواقع كما هو) ــ ولا أدرى كيف ؟ ــ (وتولستوى) الذى يرى أن الفن المعبر عن الدين فن جيد ، وما عداه فهو فن ردىء !! ويسوق الصديق نماذج من كتابات أدبائنا ــ فى مجال القصة ــ يستوحون فيها تراثنا العقائدى ، على مستوى الارتباط الميكانيكى مرة ، ثم على مستوى التحرك من خلال إطـــار عام مرة اخرى ، ثم على مستوى الاهتمام بالاولياء وكراماتهم وأحفالهم ومواسمهم وعاداتهم آخر الأمر !!

ويستطرد الصديق الى رصد نتائج اجتماع اليونسكو عام ١٩٦٩ وخروجهم بنتيجة أن الثقافـــة العربية المعاصرة لا تحتل المكـــان اللائق بها فى عالم اليوم !! ثم ينعى فى نهـــاية مقاله الممتع بحق على نقادنا تنطعهم اللا محـــدود فى إنغاض رءوسهم عن كل فن لـــه محتوى عقائدى ، بلا تبرير لهـــذه الحركـــة العدوانية الصـــماء !!!

هذه محصلة المقولات الصميمية التى يمكن أن يكون مقال الصديق الباحث قد دار فى محاورها ربما على وجه اليقين . . . وآمل أن اكـــون قد وفقت فى نشدان هذا القطع اليقينى .

فهل يأذن الصديق لى الآن بأن ارفع يدى فى محاولـــة مخلصة للتساؤل المتشوف الى مزيد من إطلالات ضوء على هذا الطريق ؟؟

كان مقالى صيحة احتجاج على عشوائية الخلق فى فننا المسرحى ، ولم أكن بعد قد خطوت خطواتى على طريق التأمل فى ملامح القضية الروائية والقصصية فى ادبنا العربى ، وهى القضية التى استقطبها مقال الصديق الباحث . . ربما امتدادا وليس معارضة لمقالى الاول ، ولكننا على الرغم من كل ذلك نختلف هنا فى عديد من الأساسيات !!

اولها : انني — ودع الجانب التاريخي في مقال الصديق — لا اوافق على أن نتناول القضية على مستوى فني وعقائدي معا من هذا المنطلق ، فحين تحركت بهذه القضية من مخاضها الفكري الى واقعها الحلولي لم اكن أريد بها هـذا اللون من الوان اللقاء (مصادفة) مع الفكر العقائـدي ، فما أكثر هذه اللقاءات اللقيطـة في أدبنا المعاصر ، وإنما أردت لها أن تكون قضية وجود كوني مقاتل على كل الجبهات في آن ، أعني أنني أردت لهذه القضية أن تستحيل في أدبنا العربي الى ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح (الخلفية الفلسفية) ينزع عنها الفنان نزوعه عن نبضات الوعي في شرايينه ، أعني أن تكون هذه الخلفية العقائدية خبزه وهواءه ، لا يتحرك إلا من خلالها ، ولا يصدر إلا عنها ، ولا يتيح للجـدل الجانبي أن يصرف وجهه عنها بما هي أساسا حركة حلوله الجوّاني في الكون ، وحركة جدله البرّاني مع ظواهر هذا الكون إذا استعرنا بعضا من هـذه المصطلحات !!

إن نجيب محفوظ ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، وعلى احمد باكثير ، وعبد الحميد جودة السحار ، أولئك الذين استشهد بهم الصديق الباحث في مقاله لا يمكن أن يكونوا نموذج هـذا الفنان العقائدي الـذي ينزع عن خلفية فلسفية عقائدية ، وبالتالي لا يمكن حتى أن يكونوا قلعـة صمود على الاقل ، حين لم يستطيعوا أن يكونوا جبهة فتح وانتصار .. إن الوجودية بمضمونها الملحـد عند واحد كجان بول سارتر تشكل خلفية كل أعماله على السواء . الفكرية ، والفنية ، والاكاديمية جميعا ، فهل نستطيع ان نقف واحدا من هؤلاء الادبـاء العرب مع سارتر على هذا المستوى الصميمي ؟ أوشك أن اصرخ : الف لا .. ولا !! فمثلا نستطيع في أدب واحـد كنجيب محفـوظ — على روعته وقيمـة إضافاته — أن نعثر ليس على قضية محور تستقطب أبعاد تحركه الفني في شتي الاتجاهات ، وإنما نعثر بلا تـردد على أمشاج هائلـة من البنى الفكريـة ، والرؤى العقائدية ، والتجاريب الروحية ، وليت كل ذلك كان صميم المجرى الفني للكاتب المبدع يعمقه من مستوى الى مستوى جديد ، إن الواقع الفني لكاتب مثل نجيب محفوظ يؤكد بالضرورة صيرورته المستمرة ، من الكاتب المـلامس للاشياء ، الى الكاتب المتأمل للاشياء ، الى الكـاتب الحائـر في مواجهة كل الاشياء ... إن الموت اللامبرر ، والعشوائي ، والغـاشم ، يطل كواحد من المصائر اللازبة لأبطال هذا الكاتب ، إن الاسئلة الطفلة عن الحب ، والموت ، والله ، لا تجد في مساحات الواقع الفني لروايات الكاتب العربي وقصصه إجابة واحدة مقنعـة ، وهي إن وجـدت إجابـة إيجابية مـرة ، فسوف تواجـه إجابات قلقة غير واحدة من المرات !! فهل نستطيع مع هـذا الكاتب أن نقول : إنه كاتب عقائـدي ؟؟ هل نستطيع مثلا في رواية (أولاد حارتنا) أن نبايع نجيب محفوظ حتى بمجرد الادعاء العقائـدي على النحو الذي ندير من حوله هـذا الحوار !!

ولأضع هنا تحفظا ، فقد يقال إن الفن لا يمكن أن يقدم حلولا أو إجابات ... وانا معكم .. ولكنى أعتقد أنكم معي في قضية أنه يوحي بكل أولئك جميعا !!

إن نجيب محفوظ ثروة قومية وأممية على مستوى فني لا أجادل في ذلك على الاطلاق ، ولكنه على مستوى عقائدي واحد من ملايين الراكضين على سفوح القلق الوجودي بلا قرار ، وربما كان هـذا القلق واحدا من العناصر الهائلـة

التى تعطى إبداعه مذاقه الخاص !! ولكنى لست عن كل أولئك أبحث ـ إننى باحث عن الفنان العقائدى الذى ينزع فى تحركه الفنى عن خلفية فلسفية عقائدية صامدة ، لا أعنى نزوعا جامدا يبـدأ من حيث ينتهى ، وينتهى من حيث يبـدأ بلا ملال .. وإنما أعنى نزوعا متخلقا متناميا متسقا ، يكتشف من خلال تجاريبه ذاته وابعاده ، ويطور من خلال مغامراته رؤيته الصميمية ، لله ـ والكون ـ والانسان .. الشرط التاريخي الوحيد الذى اضعه هنا هو أن يكون مؤمنـا أساسا بهذه العمد الثلاثة : (الله . والكون . والانسان) !! وتستطيع أن تقول فى أدب عبد الحليم عبد الله ، وعلى أحمد باكثير ، وعبد الحميد جودة السحار . وغيرهم وغيرهم .. نحـوا من هـذا الذى قلت فى أدب كاتبنا الرائع نجيب محفوظ !! مع الاحتفاظ لباكثير ببعض حقه علينا فى هذا المجال !!

ثانيها : إننى أرفض أن يكون الوعظ من جهة ، والخرافة من جهـة أخرى ، طريقنا الى محاولة الترشيد العقائدى ، وما اشك فى أن الصديق الباحث يوافقنى على أن مجرد ذكر الاسلام فى قصة أو رواية لا يعنى بالضرورة أن هـذه القصة أو هذه الرواية يمكن أن تكون خَلْقا عقائديا مسلما على الاطلاق ، وما اشك فى أنه يوافقنى كذلك على أن احتواء الخرافة التى تستضرى فى ريفنا العربى حتى وإن كان محورها دينيا لا يعنى على الاطلاق احتواء ظل من الحس العقائدى خاصة على المستوى الاسلامى الـذى يرفض منذ البـدء منطق الخرافة ، ومنطق التدين الأبله الساذج المتسكع فى دروب الهلوسات !!

إن الصديق الباحث ـ وهو بصدد إعداد رسـالـة الدكتوراه عن الفـن القصصى ـ يعلم اكثر مما أعلم أن روائع الأدب العالمى التى عالجت قضية الدين كانت تحمل هموما اكبر من مجرد الوعظ ، وأعمق من مجرد الهروب فى مستودع الخرافة ... إن أعمـالا من أمثال : (الاخوة كـرامازوف. لديستويفسكى) . (والاخوة الاعـداء . لكازانتزاكس) . (والغثيان . لجـان بول سارتر) (والطاعون . لألبير كامى) . (والقصر ، والمحاكمـة . لكافكا) . وعشرات غيرها كثيرة ، لم تتلكأ على أرصفة التناول الهش لقضية من اخطر قضايا الفكر العالمـى ، وإنما واجهت قضيتها ـ رفضا وقبولا ـ بحس المسئولية وهيبة الفن ، فأتاحت بذلك لنفسها خلودا مجذرا فى تربة كل العصور !! فهل نجم فى ادبنا العربى حتى اليوم عمل واحد فنى يسامت واحدا من هذه الاعمال !! إن عينى على العصر الذى نحياه ، على إحباطنا الحضارى ، على وقوعنا فى المضايق ، على الحصـار الوضعى الذى نعانى من كبوله وسيوله !! ولكننى مع كل أولئك لا أستطيع أن أغفـل قضية أننا نتنفس من خلال قرون ومواريث كان من الممكن أن تشكل فى وجداننا الفنى رافـدا متنامى العطاء يقفنا فى النهـاية على مستوى الندية الصميمية لأولئك الاغيار ، وهذا ما لم تلح له إيماضة واحدة، حتى إيماضة واحدة على أفق حياتنا المركوم بظلام الظلام !!!

ثالثها : إن طموحى يمتد الى ملاقاة فنان عقائـدى مثقف بثقافة عصره وكل العصور ، اعنى أن رعيلا هائـلا من فنانينا المبدعين قد يكـون مثقفا بثقافـة العصر ، ولكنه مجدب تماما فى قضية احتوائه للتراث ، تراثه هو ، وهذا واحد من العوامل الصميمية فى حركة عجز هذا الفنان عن استيعاب تجربته العقائدية ، وبالتالى عجزه عن استقطابها فنا رائعـا فى مسيرة إبداعـه الكَمِّىّ والكيفى ،

وأذكر أننى كتبت فى هذا الصدد على صفحات (الوعى الاسلامى) تحت عنوان: (دعوة الى أدب إسلامى) . ومرة أخرى وأخيرة ، آمل أن لا تفهم هـــذه الدعوة على أنهـــا تقوقع داخل جغرافية ثقافية أو حتى روحية مغلقة ، إن معنى ذلك لو حدث أن يستحيل الفكر العقائـــدى ، والفن العقائـــدى جميعا الى استحلاب ذاتى مريض يرفض شمس العالم وهواءه ، ثم ينتحر فى غرفه المغلقة غير تارك وراءه سوى قدر البوار !!

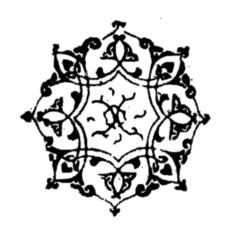
إن نوعية الثقافة التى أدعو الى احتوائها هنا هى (الانسانية) أحجاما واغوارا ، ثم التحرك بهذه الثقافة الانسانية الشاملة فى اتجاه تأصيل عقائـــدى بمنهج (الفن) ومنطقه ، وليس بمنهج الدعاية والخرافة من جهة .. وليس كذلك بلا منهج على الاطلاق !!

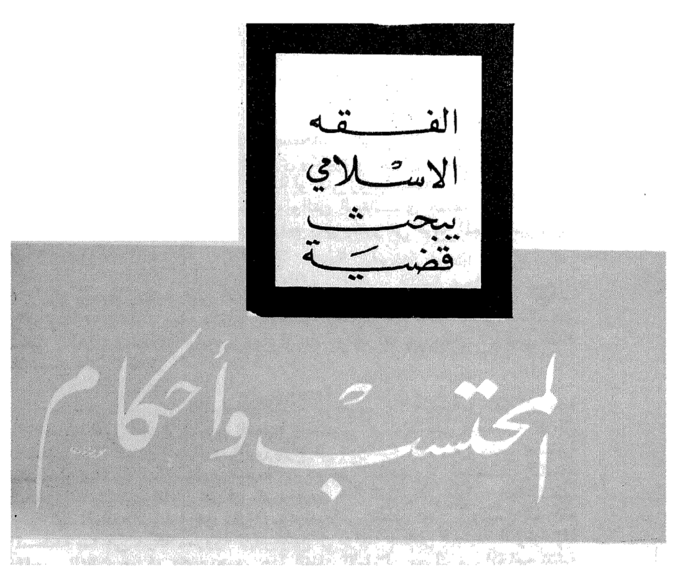
هذه هى المحـــاور الاساسية الثلاثة فى قضيتى بلا هروب من قدر المواجهة .. المحور الاول هو أن منحى القضية الصميمى أن يولد على خريطـــة الوطن الاسلامى هذا الفنان العقائدى الذى ينزع فى تحركـــه الفنى عن خلفية فلسفية مكتملة أو متنامية ، بلا جنوح للتخبط فى دياجير التناقض أو احتطـــاب أمشـاج الحلول !!! والمحور الثانى هو أن يكون طريق هذا الفنان الى إبداعه العقائـــدى ليس الوعظ الدعائى بما هو مقولة مرفوضة فى منطق الفن ، وليس الخرافة المسطحة بما هى حركة ممرورة لا تستطيع أن تواجه شمس الحقيقة الكونية !!! والمحور الثالث هو أن تكون هموم هذا الفنان الأمل أن يحرك فى اتجاهه ثقافة عصره وكل العصور ، قابضا فى حركة إبداعـــه على قيمة وضعيته العقائدية ، غير هارب فى أردية التوافق الجماهيرى من هويته الذاتية التى قد يوصم معها بالجمودية ، والرجعية ، والورائية . الى آخر ما فى جعبة الأغرار من شعارات فارغـــة جوفـــــاء متآكلة الجبين !!

فهل — فى أدبنا العربى المعاصر اليوم — حتى ما يوحى بميلاد مثل هذا الفنان المبدع الخالق ؟؟

وهل — فى ادبنا العربى المعاصر اليوم — حتى ما يومىء الى ميلاد مثل هذا الفن المغامر المدجج القابض على أمل الخلاص ؟؟

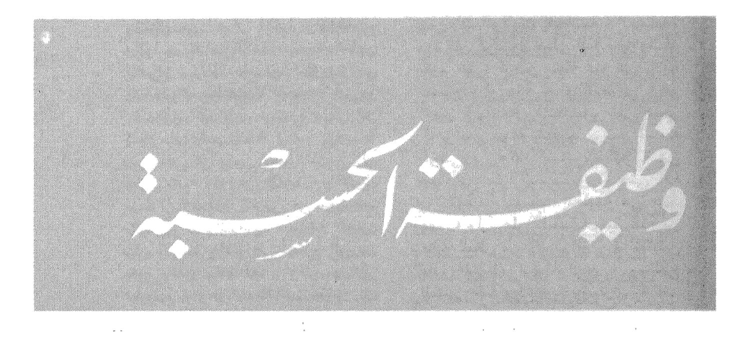
اترك الاجابـــة للذين يستطيعون !!!





□ المحتسب يمنع الاحتكار وارتفاع الأسعار
□ واللباس غير المحتشم من النساء والرجال
□ وينفذ فوراً ولا ينتظر إذناً من القاضي

لعل من نافلة القول الاشارة الى ان معالجات المشاكل ، والقضايا ، فى المجتمع الاسلامى ، أحكام شرعية مصدرها الفقه الاسلامى سيان فى ذلك العبادات ، والمعاملات او مسائل السياسة الداخلية ، والخارجية . والتى تكون فى جزئياتها مستنبطة من أدلة الفقه التفصيلية من الكتاب ، والسنة ، وما دلا عليه ، كالاجماع ، والقياس، ليس الا . وهذا الحصر للاحكام فى الفقه ، وللفقه فى أدلته الاصولية ، هو الذى يضمن تنقية المعالجات ، والقانون ، والدستور لدى المسلمين من أية شائبة ، قد تخلط الاوضاع ، او تفقدها صلتها الاصيلة بالاسلام . كما انه المحك الذى يميزها ، ويحفظ عليها صبغتها الاسلامية . ومن اجل ذلك ، كان على كل من يحاول ان يعرض لبحث اية قضية ، مهما كان لونها ، وأيا كان اتجاهها فى عالمنا الاسلامى ، ان يلتزم الفقه الاسلامى دون سواه . مجالا لبحثه . وليس معنى هذا أن



وظيفة الحسبة

الأستاذ أحمد محمد مصطفى السفارينى

ما سجل من تراث اسلامى للائمة المجتهدين هو وحده الفقه الاسلامى ولكن معناه ان الباحث فى اية مسألة بغض النظر عن انها نالت قسطا من عناية المجتهدين السابقين على اعتبار انها مشكلة قديمة ، عرضت لهم . فاستنبطوا لها حكما شرعيا اضيف الى ثروة الاسلام الفقهية أم أنها جديدة لم تكن على ايامهم ، ولمتعرض لهم ، فهى بحاجة الى اجتهاد ، لبيان حكم الله فيها ، ان على هذا الباحث ان كان يملك آلة الاجتهاد ، واهليته، ان لا يبيح لنفسه الخروج عن ما قرره الاسلام من أصول فقهية . ومسألة الحسبة هى واحدة من المسائل الكثيرة الملحة فى المجتمع الاسلامى، وقد عرض لها الفقهاء الاسبقون ، لانها واجهتهم ، فبينوا حكم الله فيها وفصلوها تفصيلا شافيا ، شأنهم فى كل ما بحثوا ، من مشكلات . واذا كنا نحن فى أيامنا هذه ، نستغرب مثل هذه التعابير لان مجتمعنا . وقاموسنا القانونى ، قد خلتا منذ فترة غير قريبة منها ، واستبدلت بمسميات جديدة ، عن قصد حينا ، وعن جهل حينا آخر ، فان لنا من دقتها ، وشمولها ، وصدق دلالتها على معانيها ، وتصميمنا على العودة الحميدة للحياة الاسلامية الخالصة ، دافعا قويا ، لاستعادتها ، للمجال الفكرى فى العالم الاسلامى .

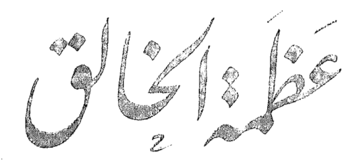
فالحسبة لغة : اسم من الاحتساب . وهو البدار الى طلب الأجر ، وتحصيله ، قال الفيروزباى : حسن الحسبة يعنى : حسن التدبير ، واحتسب عليه . يعنى أنكر . ومنه المحتسب . أما معناها الفقهى : فهو مشارفة السوق ، والنظر فى مكاييله وموازينه . وتحديد الاسعار، ومنع الاحتكار ، والغش والتدليس

ورفع الضرر عن الطريق ، بدفع الحرج عن السابلة الى نحو ذلكمن الاعمال . وقد يدخل فى مضمونها العمل على اقامة الصلاة فى مواقيتها والنظر فى أحوال الائمة والمؤذنين. والزامهم باداء وظائفهم حسب مقتضى الشرع . ولذلك وصفها الماوردى فى الاحكام السلطانية : الحسبة هيأمر بالمعروف اذا ظهر تركه ، ونهى عن المنكر اذا ظهر فعله . أما الغاية منها فهى أن يكون الدين لله ، وأن تكون كلمة الله هى العليا ، والاصل فيها أن انضباط الناس فى مجتمعهم بالتعاون ، والتناصر ، ودفع الضرر وأن الاوامر والنواهى تحتاج الى من يقوم بتنفيذ مقتضاها ، والسهر على تطبيقها ، وهى متعلقات انبثقت عن العقيدة الاسلامية عند المسلمين ، لأنها أساس الدولة ، وأساسالمجتمع فمهما يكن من قوة هذه العقيدة، وتأثيرها على السلوك لدى المسلم ، فلا بد من ملاحظة استمرار الالتزام بها ، لا سيما وأن الدولة تضم الكثيرين من أهل الكتاب ، ومع أن للتقوى عند الفرد المسلم ، قوة لا يستهان بها ، لجعل المقياس لديه الحلال والحرام ، وان التناصح لدى الجماعة بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، قدرة ، تحد من انحراف المنحرفين ، وان فى عدالة التشريع الاسلامى ، الطمأنينة التى لا تلجىء ذا الفطرة السليمة للمخالفة ، الا ان الهيبة من قوة السلطان ، ضرورية، لحياة الجماعة ، وايجاد التناسق فى المجتمع ، وبعث التأثير العملى للنظام . هذا بالاضافة الى أن طبيعة الانسان ، ليست دائما فى نقائها، وصفائها ، وان لهذه الهفوات التى يشهد الواقع بها أحكاما تشكل نظام العقوبات فى الاسلام ، مما يجعل وجود الاشراف عليها ، من الامور التى

لا يجوز اغفالها ، ومن هنا نشأت ادارات الدولة الاسلامية ، وعلىهذا الاساس قامت ، وكانت تعرف بالولايات العامة ، والولايات الخاصة ومن تلك الولايات الخاصة : الحسبة: وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم هو ، أو من ينيبه عنه فى ولاية المدينة ، أو مكة ، او البحرين ، او اليمن ، بأعمال المحتسب علىاعتبار أنه رئيس دولة ينفذ ما يرشد اليه الوحي ، وهكذا استمرت الحالة فى عهد أبى بكر الصديق ، حتى اذا ما تشعبت مهمات الخليفة فى عهد عمر ، ولى على الحسبة عبد الله بن عقبة للنظر فى الاسواق ، والتفتيش على المكاييل ، والموازين ، ومنع الغش فيما يباع وما يشترى ، فقد روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام ، فأدخل يده فيها ، فنالت أصابعه بللا ، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام ؟ فقال : اصابته السماء يا رسول الله ،قال: افلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا .. وهذا الحديث يدل على أعمال الحسبة ، وولاية المحتسب على الاسواق . وروى المسيب بن دارم قال : رايت عمر بن الخطاب رضى اللهعنه، يضرب حمالا ويقول : حملت جملك ما لا يطيق . كما روى أنه علا ابا سفيان بدرته بعد ان أنذره ثلاثة أيام وهو يقول له : قم بابك ابا سفيان . ومن بعد عمر استكملت الحسبة مقوماتها كولاية خاصة يقوم عليها موظف او موظفون من الفقهاء فى كل مدينة . ومن ثم فقد تعرض المجتهدون بكثير من الاسهاب لصلاحيات المحتسب وشرعيةالأعمال التى يقوم بها حتى أن بعضهم افرد لها كتبا خاصة مثل (نهاية الرتبة فى

طلب الحسبة) لعبد الرحمن الشيزري توفي (٥٨٩) هـ ، و (معالم القربة في احكام الحسبة) لمحمد بن محمد القرشي المشهور بابن الاخوة توفي (٧٢٩) و (الحسبة في الاسلام) ، لتقي الدين بن تيمية المتوفى (٧٢٨)هـ كما بحثها ضمن كتاب كل من (الماوردي) ، و (أبي يعلى) في كتابيهما (الاحكام السلطانية) والغزالي (٥٠٥) هـ في كتابه (احياء علوم الدين) وابن خلدون (٨٠٨) هـ في مقدمته، والنويري في نهاية الأرب . ونحن حينما نستعرض دوائر الدولة الاسلامية ، نرى ان الخليفة هو الذي كان يشرف عليها ويقوم بأعمالها في الخلافة الراشدة ، ما استطاع الى ذلك سبيلا ، فاذا ما وجد الحاجة ماسة الى معاونة اشخاص ،اختارهم وانشأ لهم دوائر محددة المسئولية ، والاعمال ، كانشاء بيت المال (الادارة المالية) ثم ادارة الجيش (ادارة الحربية) واحصاء اصحاب الاعطيات وادارة الزكاة ، وادارة القضاء وادارة الحسبة ، وغيرها . أما سلطات هذه الادارات فكانت تتسع، وتضيق حسب الحاجة ، ووفقا لمقتضيات الحال ، « وجميع الولايات الاسلامية انما مقصودها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء في ذلك ولاية الحرب الكبرى ، ونيابة السلطنة ، وولاية الشرطة ، وولاية الحكم ، وولاية المال ، وولاية الدواوين ، وولاية الحسبة ، لكن من المتولين من يكون بمنزلة الشاهد المؤتمن ، ومنهم من يكونون بمنزلة الامين المطاع » ، كما يقول ابن تيمية في كتابه الحسبة في الاسلام ، ثم يضيف : « عموم الولايات ، وخصوصها وما يستفيده المتولي بالولاية ، يتلقى من الالفاظ ،والاحوال والعرف، ليس لذلك حدا في الشرع فقد يدخل في ولاية القضاء في بعض الامكنة والازمنة ، ما يدخل في ولاية الحرب في مكان وزمان غيره . وكذلك الحسبة وولاية المال ، وجميع هذه الولايات هي في الاصل ولاية شرعية ومناصب دينية ، فأي من عدل من هذه الولايات ، فساسها بعلم وعدل، واطاع الله ورسوله بحسب الامكان فهو من الابرار الصالحين ، وأي من ظلم ، وعمل فيها بجهل فهو من الفجار الظالمين . أما المحتسب ، فله الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، مما ليس من خصائص الولاة ، والديوان، والقضاة ، ونحوهم ، وكثير من الامور الدينية هي مشترك بين ولاة الامور ، فمن ادى الواجب وجبت طاعته فيه » ، أما الاعمال التي يقوم بها المحتسب ، وتناط به ، فهي بعامة لا تخرج عن كونها معالجات ، لجرائم وقتية ، واحكامها واضحة كل الوضوح ، لا تحتاج الى كبير جهد في معرفتها ، وتقصيها ، فهو بوليس آداب ، ومفتش صحة ، وموظف بلدية ، مما نعرفه اليوم ، لان الادارة في الدولة الاسلامية تتسم بطابع البساطة ، وسرعة التنفيذ . لان الموظف يقوم بواجبه تجاه الله ربه ، بأذن من السلطان . فموظف الحسبة مسئول عن السوق ، وما يجري فيه من مخالفات ، له السلطة على كل ما يتعلق بالصفقات التجارية اليومية كالغش في البضاعة ، من أن تكون فاسدة ، أو مصنوعة من مواد غير جيدة ، او موضوعة للعرض بشكل لا ينبىء عن حقيقتها كما انه مسئول عن الموازين ، والمكاييل، من أن تكون ناقصة ، أو فيها زيادة عن وزن وكيل السوق . كما انه يفحص العملة الفضية ، او الذهبية ، او الورقية ، من أن تكون مزيفة ، وهو يمنع اية صفقة يتم فيها البيع والشراء ، على

غير ما بين الشرع كالبيوع الربوية، وبيوع الغرر ، وبيع المجهول ، والميسر والنجش وهى أن يزيد فى السلعة من لا يريد شراءها ، وتصرية الدابة اللبون ، وسائر أنواع التدليس . وهذه معاملات يحرمها الشرع ولا يجيزها ؛ فلا يجوز ان يتعامل بهـا المسلمون ، ولا ان يسمح بوجودها فى أسواق المسلمين . ومن المعاملات المنكرة ، تلقى السلع قبـل أن تجيء الى السـوق ، وبيـع من لا يماكس بسعر مرتفع عن السـوق وله أن يمنع الاحتكار ، وارتفـاع الاسعار ، او خفضها بقصـد التغرير . وهو يملك سلطة يمنع بها أهل السوق من الاتفاق على سـعر فيه ضرر على المستهلكين لسلعة هى من ضرورات الجماعة . والمحتسب مسئول عن كل منكر يظهر فى مجتمع المسلمين ، فهو العاسّ الذى يتجول فى أسواق المدينة ليلا ، لمنع أيـة مخالفة شرعية ، كالاجتماعـات المشبوهة لشرب أو لزنا . وبحيث لا يظهر فى المجتمع ما هـو من المخالفات الشرعية ، كالتماثيـل فى ميادين المدن ، واللباس غير المحتشم من النساء والرجال . ومسئول ايضا عن نظافة المدينة ، وازالة كـل ما يعترض سبيل المارة ، ومنع الابنية التى تضيق على السابلة . كما ان المحتسب مسئول عن ائمة المساجد. وصلاة الجمعة، والجماعة، لا يتعدى فى ذلك كله ما أمر بـه الشرع ، والعقوبات التى يطبقها هى التـى لا تصل الى تنفيذ ، أو اقامة حد ، لان تلك ليست من صلاحياته ، ولا تقام الا بأمر يحكم به القاضى بشهود ومجلس قضاء ، ولكنه يتلف الطعام المغشوش ، او الفاسد ، حـالا ، ولا ينتظر من القاضى اذنا بذلك . ويعزر المغرر فى بيعه . أو الـذى ارتكب مخالفة البيع بسـعر فيه غبن فاحش حالا ، ولا يرفع قضيته الى القاضى . هذه هى مسـألة الحسبة . كما حـددها الفقهاء ، وبينوا ما يندرج تحت احـكامها . ولعلها لو طبقت فى أى بلد اسلامى، لخلا من التعقيدات الكثيرة المقيتة ، ولاراح ، واستراح ، وضرب مثـلا سـاميا .



للنابغة الجعدى

الحمدُ للهِ لا شريكَ لَهُ
مَنْ لم يَقُلْها فَنَفْسَهُ ظَلَمَا

المُولِجِ الليلَ فى النهارِ وفى
اللَّيْلِ نهارًا يُفرِّجُ الظُّلَمَا

الخافضِ الرافعِ السماءَ على
الأرضِ ولم يَبْنِ تَحْتَها دِعَمَا

الخالقِ البارئِ المصوِّرِ فى الـ
أرحامِ ماءً حتَّى يَصيرَ دَمَا

مِنْ نُطْفَةٍ قَدَّها مُقَدِّرُها
يَخْلُقُ منها الأبشارَ والنَّسَمَا

ثم عظامًا أقامها عَصَبٌ
ثمَّتَ لحمًا كساه ، فالتأما

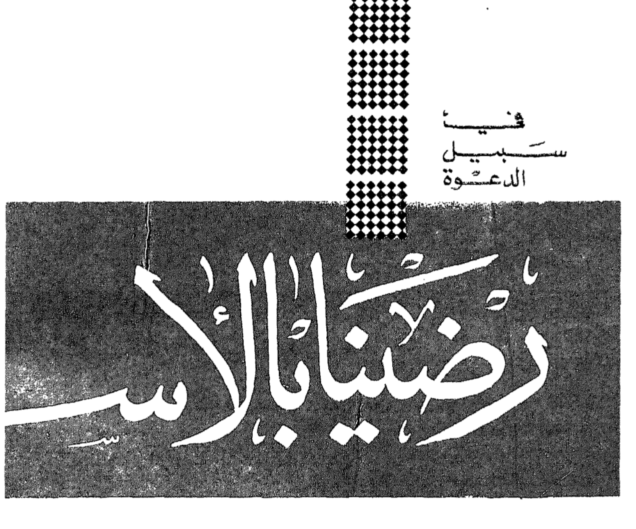
ثم كَسَى الريشَ والعقائقَ أبْـ
شارًا وجِلْدًا تخاله أدَمَا

ثمَّتَ لا بُدَّ أن سيَجْمَعُكُم
واللهِ جهرًا شهادةً قَسَمَا

فائْتَمِروا الآن ما بَدا لكُمُ
واعتصموا إن وَجَدْتُمْ عِصَمَا

فى هذه الأرضِ والسماءِ ولا
عصمةَ مِنْهُ إلاّ لِمَنْ رَحِمَا

في
سبيل
الدعوة

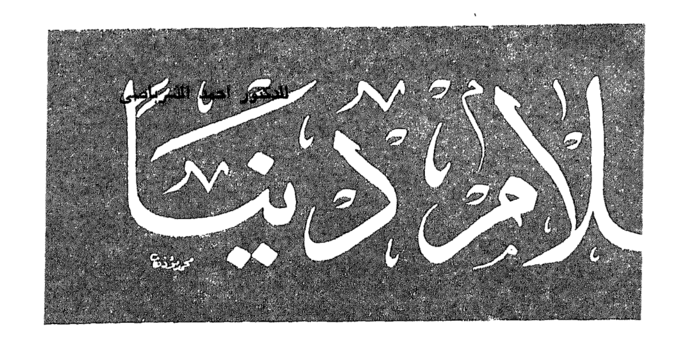


من الحقائق التى لا تحتاج الى تدليل على ثبوتها ــ لأنها ملموسة مشاهدة ــ أن الغرب الصليبى الاستعمارى قد حرص منذ قرون وقرون على مهاجمة الاسلام ، وتشويه صورته ، وتجريح نبيه عليه الصلاة والسلام ، حتى قال ((جون وبستر)) الانجليزى الذى اهتدى الى الاسلام : ((يظهر أن الغرب المسيحى قد تآمر منذ الحروب الصليبية على التزام الصمت تجاه محاسن الاسلام ، وحاول تشويه مبادئه بطريقة متعمدة كلما تحدث عنها)) .

ويقول « السير عبد الله ارشبالد هاملتون » ، الانجليزى الذى اهتدى الى الاسلام : « لا يوجد دين أسىء فهمه ، وكثر الهجوم عليه من الجهلة والمتعصبين مثلما أسىء فهم الاسلام وهوجم » .

ولم يكتف الغرب الصليبى الاستعمارى بتشويه ديننا فى أنظارنا وأنظار سوانا ، بل بذل جهوده الظاهرة والباطنة ، لكى يخرجنا عن هذا الدين ، ويسلكنا فى فلك دينه : « ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

وحاول هذا الغرب الصليبى الاستعمارى أن يفرض علينا مدنيته الحديثة بغثها قبل سمينها ، ومغارمها قبل مغانمها ، وسلك الى ذلك كل سبيل ، سلك طريق التغرير والتخدير تارة ، وطريق المخادعة والمطاوعة تارة ، وطريق الارغام والافحام تارة أخرى ، وأوهمنا هذا العدو الماكر أنه ليس فى الامكان أبدع من حضارته ، ولا أروع من مدنيته .



وحين يقول بعض العقلاء البصراء من الشرقيين : ان المدنية الغربية المادية فيها الكثير من البرق الخادع ، والبهرج الزائف ، الى جوار ما فيها من خير ، يقال من أعدائنا ان ذلك القول منا ناشىء عن عجزنا وقصورنا وتخلفنا .

ولكن ها نحن أولاء نقف أمام اشخاص رتعوا فى حقل المدنية الغربية ، وشبوا بين احضانها ، وبلغوا مراكز عالية ملحوظة بين أهلها ، ومع ذلك ضاقوا بها ، وحملوا عليها ، وفروا منها ومن قيمها حين رأوها تزيد الحس ضراوة وشراسة ، وتزيد الروح فقرا وقلقا ، وتزيد القلب حيرة واضطرابا ، ثم وجدوا أمنهم واطمئنانهم بعد طول البحث والتنقيب فى رحاب الاسلام العظيم .

ولعل من أدق العبارات التى تصور آفة المدنية الغربية تلك العبارة التى جرت على قلم واحد من رجال هذه المدنية ، وهو « اللورد سنل » اذ يقول : « لقد استطعنا بناء هيكل خارجى متكامل الاطراف ، ولكننا أغفلنا العامل الاساسى فى بناء نظام داخلى . لقد وضعنا تصميم الكأس بعناية فائقة ، كما قمنا بزخرفة شكلها الخارجى ، ولكن داخل الكأس ملىء بالفضلات والشوائب ، لقد استعملنا معرفتنا وما نملك من قدرة بالغة لما فيه صالح الجسد ، ولكننا تركنا الروح تشكو الفقر والحرمان » .

ولقد تنكرت المدنية الغربية المادية لروح الدين الحق ، وتنكرت للمسيحية التى تنتسب اليها ، وتستبقى رسومها جسدا بلا روح ، واساءت

استغلال هذه المسيحية لتخفى من ورائها مطامع أهلها وعدوانهم ، فلا هى وفت لعقيدتها ومبادئها ، ولا هى تركت التمسح بالدين جانبا ، وواجهت العالم بنزعتها الاستعمارية الباغية ، وهذا هو « السير عبد الله أرشبالد هاملتون » يردد عبارة صريحة صارخة يقول فيها : « بينما نجد الاسلام يرشد الانسانية الى الحق والصواب فى حياتها اليومية ، نجد المسيحية المعاصرة تعلم متبعيها ــ بطريق غير مباشر من الناحية النظرية ، وبطريق مباشر من الناحية العملية ــ أن يصلوا لله يوم الأحد ، وان يفترسوا عباد الله فى بقية أيام الأسبوع » .

ولقد سعدت سعادة غامرة حين طالعت الكتاب الذى يحمل عنوان : « رضينا بالاسلام دينا » وهو مجموعة فصول لأناس كانوا غير مسلمين ، ثم درسوا الاسلام دراسة موضوعية بصيرة ، فتأثروا به ، واستجابوا له ، ودخلوا فيه ، وأخذوا يدعون الناس اليه .

وقد قام الأستاذ خورشيد احمد بجمع هذه الفصول فى كتاب بالانجليزية ، وقدم لها ، وطبع الكتاب بالانجليزية مرتين ، فى سنتى ١٩٦١ و ١٩٦٧ م . ثم ترجمه الى العربية الدكتور عبد المحسن البيلى مدير المركز الاسلامى بلوس انجلوس ، بناء على رغبة كريمة من الدكتور على نور الدن العنيزى الذى قرأ الكتاب فى لغته الانجليزية ، واعجب به ورأى من الخير أن يترجم الكتاب الى اللغة العربية : لغة القرآن الكريم ، ولغة الاسلام العظيم .

ولعلى لا أعدو الحقيقة حين أقول : كان هذا الكتاب نوع من التكفير الجزئى عن الجريمة العامة الكبرى التى ارتكبها الغرب الصليبى الاستعمارى ، حيث شوه بها الاسلام فى انظار أهله ، وفى أنظار غير أهله ، وحمل فيها على الاسلام ونبى الاسلام وأتباع الاسلام حملته الشعواء النكراء .

وعنوان هذا الكتاب « رضينا بالاسلام دينا » يذكر الانسان بالرضى والرضوان ، والأمن والاطمئنان ، ويذكر الانسان بقول الله جل جلاله : « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » . ويذكره بفضل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى اتباعه حين يقول له : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » . ويقول له : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها » .

وحين يقول عن الأخيار الأبرار من عباده المؤمنين : « ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم » . ويقول لهم : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

وحين يتحدث عن ذلك الرضى المتبادل بين الله تبارك وتعالى وعباده المؤمنين ، فيقول : « قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ، لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم » . ويقول : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات

تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم » .

وحين يشعر النفس المؤمنة الصالحة بأنها ستتمتع بالرضى والرضوان فى أولاها وأخراها ، فيقول لها : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » . ويقول عن المؤمن الذى يتلقى كتابه بيمينه يوم لقاء ربه ، ويفوز بنعيمه . « فهو فى عيشة راضية . فى جنة عالية . قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية » .

ومن اللافت للنظر وللفكر معا ان هؤلاء الذين كانوا على غير الاسلام ، ثم ادركتهم نعمة الله فاهتدوا اليه وسعدوا به ، لم يدخلوا الاسلام اعتباطا أو عن جهالة أو بتغرير أو بتأثير ، بل دخلوه على علم به ، وبعد دراسة وتمحيص ، وكثير منهم ظل حينا طويلا وهو يدرس ويحاور ، ويشك ويتردد ، ويجادل وينتقد ، قبل أن يعتنق الاسلام عن ايمان ويقين ، وكثير منهم ظل سنوات قضاها فى الدراسة والبحث ، فالحاج لورد هيدلى الفاروق ــ يقرر أن اعتناقه للاسلام كان نتيجة لسنوات طويلة من الدراسة والتفكير ، ومحمد أسد ــ أو ليوبولدوايز وهو اسمه الأصلى ــ ظل خمس سنوات يقرأ عن الاسلام حتى تمكن نوره من قلبه .

والدكتور أحمد ماركوس الالمانى ظل سنوات يباحث العارفين بالاسلام ، قبل أن يرتضى الاسلام لنفسه دينا ، و « وليام بورشيل بشير بيكارد » ظل كذلك سنوات يدرس ويبحث ، حتى اقتنع بأن الاسلام دين الفطرة والخير ، والسيدة « أمينة موسلر » الالمانية مكثت سنوات عديدة تدرس الاسلام قبل أن تأخذ طريقها الى الدخول فيه ، وهكذا . .

وبعض هؤلاء كان فى أول أمره يهاجم الاسلام ويطعنه ، ويقوم بانتقاده وتجريحه على ملأ من الناس ، ويعيب على الاسلام اقراره للرق ، وتعدد الزوجات والطلاق ، ولكن هذا البعض استطاع بعمق النظر وسعة البحث أن يدرك أن ما فى الاسلام خير ألف مرة مما فى غيره من النظم والشرائع ، ومن الأمثلة على ذلك المسلمة الانجليزية « ماتيس . ب . جولى » التى اعترفت بصراحة انها ظلت مدة طويلة تحقد على الاسلام وتهاجمه وتعيبه ، ثم اقتنعت أخيرا بصوابه وسموه ، وأعلنت دخولها فيه ، وهى تقول :

« لقد فعلت هذا وأنا أشعر بقدر عظيم من الرضا والارتياح ، لادراكى التام أن هذا الايمان لم ينشأ عن نزوة عاطفية عارضة ، بل كان نتيجة لعملية فكرية طويلة ، امتدت عامين تم خلالهما تأكدى من أصالة الاسلام وروعة تعاليمه ، مما جعلنى فى النهاية أعتنقه وأومن به » .

وأغلب هؤلاء الذين كانوا غير مسلمين ، ثم درسوا الاسلام وآمنوا به ، أناس متعلمون مثقفون ثقافة واسعة ، ففيهم أساتذة جامعات ، وأساتذة قانون ، ورجال سياسة ، ورجال صحافة ، وغير ذلك ، ومعنى هذا انهم لم يؤمنوا ايمان العجائز ، ولم يتابعوا متابعة العاجزين ، ولم يندفعوا اندفاع الجاهلين ، ولم يقعوا فريسة للتغرير أو التضليل أو الاكراه ، ولم تكن هناك عوامل غير طبيعية لاسلامهم ، كالوقوع فى شرك غرام جامح ، أو طمع مثير ، أو نحو ذلك .

ونلاحظ على بعض هؤلاء ظاهرة الانتقال من أقصى اليسار الى أقصى اليمين ، أو من الضد الى الضد ، وهم فى طريقهم الى اعتناق الاسلام : الدين السهل السمح الوسط العادل ،فبعض هؤلاء قد ضاق ذرعا بما فى دينه من أمور لم يستسغها ولم يؤمن بها ولم يصبر عليها ، فثار ثورته العارمة ، وانتقل مثلا من الكاثوليكية المتشددة أو الارثوذكسية المحافظة ، الى الشيوعية المادية الجاحدة ، أو الالحاد المطلق الكافر بكل دين ، ولعل ذلك الانتقال السريع الواسع كان « رد فعل عنيف » لعدم الرضا أو الاقتناع بالدين الموروث دون دراسة واقتناع ، ثم عاد هؤلاء بعد حين ، ففكروا ودبروا ، ودرسوا الاسلام ، فوجدوا فيه الدواء والشفاء والغذاء والضياء ، فلجأوا الى رحابه آمنين مطمئنين .

وهذا على سبيل المثال المانى مسيحى كاثوليكى متشدد وهو « سيف الدين ديرك والترموسيج » كان يعد نفسه ليكون قسيسا كاثوليكيا ، ومع ذلك هدته دراسته الدينية المجردة الى الاسلام ..

يقول فيما يقول : « عثرت على ترجمة للقرآن الكريم باللغة الأسبانية ، ولم يعترض والدى على قراءتى لها فى البداية ، حيث كان يظن أنها ربما تساعدنى على توسيع مداركى لا أكثر ولا أقل ولم يكن يدرى مدى الأثر العميق لكلمات الله فى عقلى ..

كنت كاثوليكيا متعصبا عندما بدأت فى قراءة القرآن ، وأصبحت عند انتهائى منه مسلما على الأصالة ، ومن البديهى أن فكرتى عن الاسلام كانت فكرة خاطئة قبل قراءتى للقرآن الكريم ، حيث بدأت أقرأه فى تعجب وسخرية ، متوقعا أن أجد بين طياته أخطاء فاحشة ، وأفكارا كافرة ، وخرافات زائدة ، ومتناقضات لا يقبلها العقل السليم .

لقد كنت متعصبا وأنا فى هذه السن الصغيرة ، ولكن لحسن حظى لم يكن قلبى قد أصبح صلدا بعد . ولقد بدأت قراءة السور على الرغم منى فى البداية ، ثم انتهيت وأنا أكثر ما أكون ظمأ لمعرفة الحقيقة .

وفى لحظة من أعظم لحظات عمرى شرح الله صدرى للاسلام ، وهدانى الى الصراط المستقيم ، وأخرجنى من الظلمات الى النور ، ومن المسيحية الى الاسلام .. » .

والكثير من هؤلاء الذين اهتدوا الى الاسلام بعد أن كانوا غير مسلمين ، قد درسوا الأديان الأخرى بتوسع قبل دراستهم الاسلام ، فكانت لديهم الفرص الواسعة للمقارنة بين دين ودين ، ثم ختموا مطافهم بدراسة الاسلام ، وانتهوا اليه بالدخول فيه والاستقرار عليه ..

لقد درس الكثير من هؤلاء : اليهودية ، والمسيحية ، والبوذية ، والهندوكية ، والشيوعية ، والفاشية ، والمادية ، والتاوية ، والديمقراطية ، والمذاهب الفلسفية ، ومع ذلك لم يقتنعوا ولم يشبعوا .. ثم درسوا الاسلام بعد هذا كله فوجدوا لديه المرفأ الامين ، والرائد الذى لا يمين .

واغلب هؤلاء الذين اهتدوا الى الاسلام كانوا يعتنقون المسيحية قبل اسلامهم ، وقد ضايقهم فى المسيحية المعاصرة أمور لم يستطيعوا هضمها ولا الرضى بها ، ومنها ما يلى :

١ — غموض عقيدة التثليث ، وتأبيها على التصور العقلى .

٢ ــ القول بألوهية المسيح ، وأن مريم أم الرب ــ عليه وعليها السلام ــ .

٣ ــ عقيدة الشقاء الأبدى المضروب على بنى البشر ، ونشأة البشر كلهم فى ظل المعصية السوداء ، بسبب خطيئة آدم وحواء ــ عليهما السلام ــ وعدم الاقتناع العقلى بوراثة كل البشر خطيئة أبويهم منذ أول الحياة .

٤ ــ عقيدة الصلب على أساس أن المسيح قد قبل أن يصلب للتكفير عن خطايا الناس وسيئاتهم .

٥ ــ عقيدة « الاتحاد » عن طريق « الخبز المقدس » الذى يمثل جسد المسيح ، حيث يقال ان قطعة الخبز التى يتناولها الكاثوليكى من يد الكاهن . . وقت صلاة الاتحاد المقدس تتحول الى دم المسيح فى صورته اللاهوتية والناسوتية .

٦ ــ السلطة المخولة لرجال الكنيسة والكهنوت ، والقول بأنهم وسطاء بين البشر وربهم ، وأنهم يملكون حق الغفران ، وأن البابا له سلطة مقدسة ، وأنه لا يخطىء .

٧ ــ المطالبة بتصديق ما تقرره الكنيسة ، وان لم يقتنع به العقل . . الــخ .

واذا كانت هناك أشياء قد نفرت هؤلاء ــ كما رأينا ــ من عقيدتهم السابقة ، فمن الطبيعى أن تكون هناك فى الاسلام أشياء شدت اليه هؤلاء ومنها ما يلى :

١ ــ عقيدة التوحيد : « لا إله الا الله » فالاسلام يقرر وحدة الخالق تبارك وتعالى ، وتنزيهه عن اى مشابهة لما عداه ومن عداه : « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » . وهذه العقيدة تمتاز بالوضوح واليسر ، والبعد عن التعقيد الغامض الذى نراه فى عقائد أخرى كعقيدة التثليث ، والقرآن يقرر :

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » .

٢ ــ تقرير الاسلام لوحدة الرسالات الالهية ، ودعوته الى الايمان بجميع رسل الله وكتبه : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » ، « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

٣ ــ كفالة حرية الاعتقاد : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » :

٤ ــ احتكام الاسلام الى العقل ، وايقاظه العقل ليتدبر ويتأمل ويحكم : « قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون » .

٥ ــ دعوة الاسلام القوية العميقة الى العلم والازدياد منه : « وقل رب زدنى علما » .

٦ ــ ابتعاد الاسلام عن النظم الكهنوتية القائمة على الوساطة المزعومة بين الله وعباده ، فصلة المسلم بربه صلة مباشرة لا تتوقف على

وسيط : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

٧ ــ تأكيد الاسلام لحقوق الفرد وحقوق الجماعة ، وربط الأمة برباط الأخوة والمحبة : « انما المؤمنون اخوة » .

٨ ــ دعوة الاسلام الى السلام العادل المنصف ، وافادة كلمة « الاسلام » نفسها معنى السلام ، لأنها تفيد معنى الاستسلام للخالق جل علاه ، وهذا الاستسلام يورث الانسان خشوعا لخالقه من ناحية ، وسلاما مع عباد الله من ناحية أخرى : « والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم » ، « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

٩ ــ الاسلام دعوة انسانية عالمية ، تعمق معانى الأخوة والمساواة والحرية بين البشر : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ، « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير » .

١٠ ــ الاسلام عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاق : « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين . ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » .

١١ ــ المواءمة بين المادة والروح ، وبين أمور الدين وأمور الدنيا ، مع التوسط والاعتدال والتوازن : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين » ، « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » .

١٢ ــ القرآن ــ وهو دستور الاسلام ظل محفوظا مصونا كما نزل من عند الله تعالى ، لم يطرأ عليه تغيير أو تحريف كما حدث لغيره : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

والعجيب أن كثيرين من هؤلاء الذين اهتدوا الى الاسلام يقررون انهم اكتشفوا فى انفسهم ــ بأنفسهم ــ أنهم كانوا مسلمين قبل أن يتجهوا الى اعتناق الاسلام دينا ، وقبل أن يقرروا لأنفسهم أن يكونوا من المسلمين ، فهذه مثلا هى السيدة : « ايفلين زينب كوبولد » الانجليزية تقول :

« اننى لا اتذكر على وجه التحديد اللحظة التى انجلت فيها حقيقة الاسلام أمام ناظرى ، فيبدو أننى كنت مسلمة طوال حياتى ، دون أن اتأكد من هذه الحقيقة » .

وهذه هى السيدة « سيسليا محمودة كانولى » من استراليا تقول :
« ان سبب اعتناقى للاسلام يرجع فى الدرجة الأولى الى اننى كنت مسلمة فى قرارة نفسى ، دون أن أكون على شعور تام بهذه الحقيقة » .

ان هذه العبارات الصريحة الواضحة تذكرنا بحقيقة قررها القرآن الكريم ، وأكدتها السنة المطهرة ، وهى أن الاسلام دين الفطرة الصافية النقية التى لم يطرأ عليها فساد أو انحراف ، والله جل جلاله يقول : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله

ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « كل مولود يولد على الفطرة ، وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

وثمة ملاحظة مهمة لابد أن نتذكرها دائما ، وأن نعتبر بها ونتعظ ، تلك الملاحظة هى أن بعض هؤلاء الذين اهتدوا الى الاسلام لم يغب عنهم الفرق الواسع الشاسع بين الاسلام والمسلمين ، ولا بين روعة مبادىء الاسلام وواقع المسلمين المخجل ، فالاسلام غير المسلمين . الاسلام ثابت خالد : والمسلمون يتغيرون ويتبدلون ، الاسلام باهر رائع ، والمسلمون اليوم لا يعطون صورة صحيحة لهذا الاسلام ، وهم يحيون حياة غير مشرفة للاسلام ، ولا يجوز فى شرعة العدل والانصاف أن نحكم على الاسلام من واقع المسلمين .

ولذلك لم يكن عجيبا أن تسمع « ليوبولد وايز » — أو محمد أسد كما تسمى بعد اهتدائه الى الاسلام — يقول : « أن واقع المسلمين اليوم لا يعكس المثل الأعلى الذى يمكن أن تحققه تعاليم الاسلام .

ان كل ما فى الاسلام من حيوية ودفع وتقدم ، قد تحول على أيدى المسلمين الى اضمحلال واهمال وجمود .

ان مافى الاسلام من حث على كرم الطبع والاستعداد ، وبذل النفس والتضحية ، قد تقلص على أيدى المسلمين المعاصرين الى ضيق فى الأفق ، والتعود على حياة كلها دعة واستكانة » .

ولم يكن عجيبا أن نجد « خديجة فيزوى » الانجليزية التى اهتدت الى الاسلام ، تحث المسلمين حثا قويا على أن يكونوا عناوين طيبة للاسلام ، وأن يكونوا قدوة كريمة أمام الناس تعبر عن الاسلام تعبيرا صادقا فى سلوكهم وأعمالهم ، فتقول فيما تقول : « اننى لا أشك لحظة واحدة فى أن الاسلام يمكن أن يكون عاملا فعالا لتحقيق الخير والسلام فى العالم ، اذا ما تحقق المسلمون من أن المبادىء الدينية لا تتعارض مع التقدم المادى ، واذا ما بدأوا فى بناء صرح حضارة قيمة قائمة على تراث ماضيهم المجيد ، بدلا من نقلهم للحضارة المادية الغربية ، بما فيها من معايير أخلاقية منحلة » .

ثم تضيف قولها : « ان كل ما أرجوه أن يضرب المسلمون الذين يزورون بلادنا المثل الطيب ، حتى يثيروا فى نفوس الانجليز اهتماما وشغفا بالاسلام » ! .

ليت المسلمين يسمعون ..

وليتهم اذ يسمعون يستجيبون ..

أما بعد ، فاذا كان القدماء قد قالوا : « الفضل ما شهدت به الأعداء » ، فان هذا الكتاب يرينا للاسلام فضلا أعظم واكبر ، لأنه فضل جعل الأعداء من صميم الأولياء ، ولذلك أحرص على التنويه بهذا الكتاب ، ولفت الأنظار والأفكار اليه فى عالم الاسلام .

وأرى انه من واجب المسلمين نحو هذا الكتاب — وامثاله من كتب التعريف بالاسلام ، والحديث عن جماله وجلاله وحقه وصدقه — أن تتنافس دول الاسلام الغنية القادرة فى نشرها وتعميمها بمختلف اللغات ، وأخص بالذكر هنا دولا اسلامية آتاها الله واسع نعمته ، وعندها

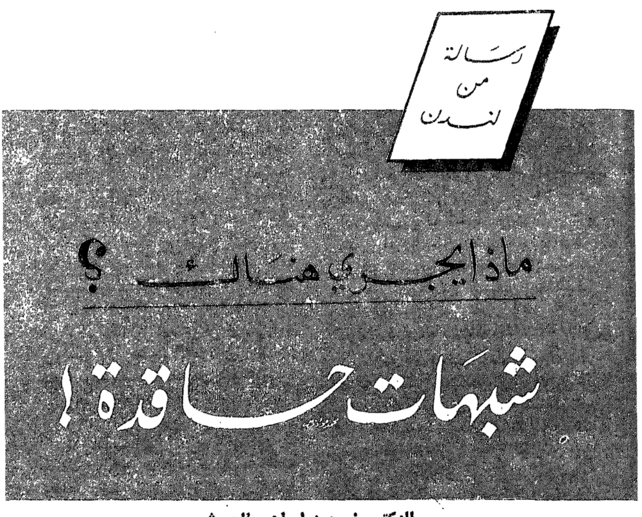
الاقتدار والاستعداد لخدمة الاسلام . أذكر ليبيا والكويت . والسعودية وقطر وأبو ظبى ..

ان نشر هذا الكتاب وأمثاله بلغة القرآن وغيرها من اللغات ، يعد جزءا مهما من الدعوة الى سبيل الله تبارك وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، واذا كان هذا الكتاب قد طبع مرتين باللغة الانجليزية ، وطبع منه ٣٥ ألف نسخة فى الطبعة الأولى سنة ١٩٦١ م ، وطبع منه خمسون ألف نسخة فى الطبعة الثانية ١٩٦٧ م ، فانه ينبغى أن تطبع منه مئات الآلاف من النسخ باللغة العربية ، وأن يترجم كذلك الى اللغات الشرقية : الافريقية والآسيوية ، ويطبع منه مئات الآلاف كذلك بهذه اللغات ليقرأ المسلمون بشتى لغاتهم هذا الكتاب ، ويزدادوا ايمانا وثقة بدينهم وعقيدتهم ، وأن يعاد طبعه باللغة الانجليزية وباللغة الفرنسية وباللغة الألمانية وغيرها ، بعد ترجمته الى تلك اللغات ، لكى يقرأه غير المسلمين بلغاتهم ، فيثير فى نفوسهم الشوق الى مطالعة المزيد عن تعاليم الاسلام ومبادئه ، فيكون ذلك بابا الى استضاءتهم بنور الله الذى أشرقت له السموات والأرض ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة :
« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

وينبغى كذلك أن يتفرغ بعض المسلمين فى الشرق والغرب ليواصلوا تتبع الظروف والأحوال التى اعتنق فيها الاسلام أناس لم يكونوا مسلمين من قبل ، فلقد أعلم أن هناك كثيرين أسلموا وكتبوا عن الدوافع التى دفعتهم الى الايمان بالاسلام ، وأن هناك كثيرين قد أسلموا ، ولم يكتبوا عن هذه الدوافع ، ويستطيعون أن يكتبوا اذا سئلوا ذلك .

ولا شك فى أنه من صميم التعريف بالاسلام والدعوة اليه ، أن نضع أمام العالمين التفاصيل المتعلقة بهذه الدوافع ، ليزداد المسلمون اعتزازا باسلامهم ، ولينجذب غير المسلمين الى ضوء الاسلام والايمان .
انى أؤكد أنى كنت سعيدا حين طالعت هذا الكتاب ، فقد جعلنى أصحب طائفة من اخوتى فى الانسانية وفى الاسلام ، وأشهدهم وهم يتحدثون عن خطواتهم التى خطوها ، حين أراد الله تبارك وتعالى لهم أن يتجهوا — بفضله وتوفيقه — من ظلمات الحيرة والضلال فى متاهات الاعتقاد الى نور الاسلام .

وسأكون أكثر سعادة وغبطة حين أشهد هذا الكتاب وهو يسعى الى الملايين من بنى الانسان ، ليحدثهم بشتى اللغات عن دين الاسلام .
ان موضوع هذا الكتاب وأمثاله ليس لفرد دون فرد ، ولا لطائفة دون طائفة ، ولا لجنس دون جنس ، انه موضوع الناس جميعا ، لأنه موضوع الهداية الربانية التى نريدها ونتمناها للناس جميعا ، وموضوع الرحمة الالهية التى يضعها بديع السموات والارض بين أيدى الناس جميعا ، والله جل جلاله هو القائل لرسوله :
(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) .



للدكتور : محمد ابراهيم الجيوشي
المركز الاسلامي ـ لندن

تلقيت رسالة من طالب عربي يدرس بأحد الأقسام العالية في جامعات انجلترا . أرى من الخير ان أضعها بنصها بين يدى القراء ليعلم العرب والمسلمون اى شر يراد بهم وبدينهم ، وليكونوا على يقظة دائمة لما يتعرض له دينهم من الكيد والهجوم الظالم حتى في دور المفروض فيها انها معدة للبحث العلمى الخالص الذى لا صلة له من قريب أو بعيد بأمور الدين والعقيدة يقول الشاب العربى ـ المسلم ـ بعد الاحتفاظ باسمه ومكان دراسته خشية أن يسبب له ذلك ضررا في عمله الدراسي ـ **انا طالب عربى من ... أقطن الآن في مدينة ((....)) التي تبعد ... من لندن وادرس المستوى العالي في علم الأحياء والفيزياء والكيمياء .**

١ ـ لقد كنت في بلدى اداوم على قراءة الصحف والمجلات الدينية .. كالوعي الاسلامي ((والتربية الاسلامية)) ولكن منذ مجيئي الى هنا لم أتمكن من الحصول على احداها مما جعلني اشعر بفراغ هائل فان كنتم تتسلمون اى مجلات او صحف دينية فانا مستعد أن ادفع الرسوم المستحقة لأحصل عليها .

٢ ـ تعطى لنا كل اسبوع .. حصتان في دراسة الأديان وفي

احدى الحصص تكلم المدرس وهو قسيس عن الاسلام فذكر فوائد الزكاة والحج والصوم ، ولكنه قال ان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد قرا الانجيل ونقل منه الى القرآن وذكر ايضا ان كثيرا من الناس بداوا يدخلون الاسلام لأن الشيوعية تزود الدعاية الاسلامية بالمال لإخماد المسيحية التى تقترن بعدو الشيوعية الا وهو الغرب فاخبرته ان محمدا كان اميا فكيف استطاع قراءة الانجيل ، اما الشيوعية فانها تكن للاسلام عداء اشد من عدائها للمسيحية فكيف لها ان تعينه ؟.

ارجو منك يا سيدى ان ترسل لى جوابين على هذين الافترائين ، لأفحم بهما منطق هذا القسيس الواهن .

• • • • • •

وهذه صورة الرد .

الأخ العربى المسلم الشاب .

حفظك الله ورعاك ، وسدد خطاك ، وعصمك من الزلل ووقاك شر الفتنة وحصنك باليقين ، وشرح للحق صدرك ، وكان معك فى غربتك يهديك ويحميك ، ويأخذ بيدك للفوز والتوفيق .

أخى قرات رسالتك والدهشة تعقد لسانى ، والمرارة تعتصر قلبى ، لأنى كنت احسب ان هذه النماذج التى تفترى على الحقيقة ، وتجترىء على الباطل ، قد انطوت بانطواء العصور الماضية ، ولم يعد لها وجود فى عصرنا هذا الذى يقولون عنه . ان العقل الانسانى قد تحرر من قيود الجمود ، ولم تعد تؤثر فيه افتراءات المفترين ولا أضاليل المضللين ، ولكن رسالتك اعطت الدليل القاطع على ان هؤلاء الناس لا يكفون عن عداوتهم للاسلام ، ولا يتركون فرصة تمر الا انتهزوها للنيل منه والأفتراء عليه بغير دليل ، ولا حجة .

ولست ادرى لم سولت لهذا القسيس نفسه ان يذيع هذه الاباطيل على الشباب فى دار من دور العلم والبحث يؤمها الطلاب من كل انحاء الأرض ، وكان الأولى بالقائمين عليها ان يقدموا لروادها الحقيقة ناصعة خالية من كل شائبة ، أمانة للعلم ذاته ، وقياما بحق البحث العلمى الحر النزيه ، واذا كان هذا الجانب الذى تعرض له القسيس قد تبين فيه مقدار تجنيه على الحقيقة وبعده عن الواقع لنا فقط ولا يعرف الشباب من غير المسلمين الذين يحاضرهم هذا القسيس اين تكون الحقيقة فإنا ندرك مدى الخيانة العلمية التى تقترف فى ساحات العلم ودوره وكم لها من نظائر واشباه ، ولولا ان فى ساحة الدرس من يحيا الاسلام فى قلبه وعقله وضميره لما تهيأ لنا ان نقف على هذه الفعلة الشنعاء التى ارتكبها القسيس المحاضر ، وكان الاولى به وقد تصدر لأسمى رسالة ، واقدس امانة ، ان يعرف او يقدر انه ربما يكون فى ساحة الدرس من يعرف جوهر الاسلام ، يحيا فى وجدانه ، ويستمد من سموه مبدأ فى الخلق ، ومنهجا فى السلوك ، واسلوبا فى الحياة يمضى على هداه فى الأرض ستمائة مليون مسلم الآن ينضم اليهم اخوان جدد مع كل مشرق شمس ، لأنهم لمسوا سمو مبادىء الاسلام ، ونقاء جوهره ، واقتناع منطقه ، فى وقت سعت فيه الانسانية الى البحث عن الحقيقة ، وتطلعت الى عقيدة تلبى اشواق الروح او ترضى فى اعتدال مشروع مطالب الجسد ، من غير افراط ولا تفريط ، حتى اهتدوا الى ما فى الاسلام من تحقيق للسلام والطمأنينة للنفس الانسانية .

ومع ذلك يأتى هذا وأمثاله ، فيلقون بهذه الاتهامات جزافا ، ومن غير اكتراث ، لأن الحقد قد اعماهم عن ادراك الحقيقة ، وباعد بينهم وبين الصواب .

هذه نفثة صدر يلقيها مسلم لمسلم وتعبير عن ألم ينهش القلب لهذا المسلك المعوج ، الذى يلجأ اليه هذا وأمثاله . ولنقف معا أمام القضايا التى أثارها لنناقشها فى منطق وهدوء ونرى مدى ما بينها وبين الحق والواقع من بعد ، ومدى ما تقوم عليه من مغالطات .

١) يزعم أن الرسول صلوات الله عليه قد قرأ بعض الانجيل ونقل منه الى القرآن .

هذه دعواه ، وقد ألقاها كأنها حقيقة ثابتة مسلمة لأن ملقيها يلقنها شبابا أتوا للدراسة فى المستوى العالى . وهى كأى قضية من القضايا التى تعرض فى ساحات الدرس — ان كان للحرية الفكرية مجال كما نتصور — تحتاج الى الأدلة التى تثبتها والمصادر التى استقيت منها هذه الأدلة ، ثم توضع هذه الأدلة ومصادرها تحت البحث لتناقش وتمحص ، ثم يعرض بعد ذلك مقدار ما اشتملت عليه من صدق او ما انطوت عليه من زيف ، فهل فعل شيئا من ذلك أو بعضا منه هذا المحاضر ؟ هل كلف نفسه — كما تدعو اليه أمانة البحث العلمي — أن يناقش ذلك أو يعرضه على حقائق التاريخ ووقائعه ؟

يقينى أنه لم يفعل شيئا من ذلك ، ولم يعد الى هذه الأحكام ليناقشها ويمتحن صلابتها ، لأنه لو فعل لما وقع فى هذا الخطأ الفاحش ، وارتكب تلك الحماقة الكبرى ويقينى أيضا أنه القى نظرة عجلى على بعض الكتب الحاقدة التى كتبها زملاء له من قبل ، ينتهجون نفس المنهج ، فعلق بنفسه منها ما وافق هواه المحموم ، وارضى تعصبه الأعمى ، فأخذ هذه المجالات وأضفى عليها الوانا قاتمة من تفكيره الضيق ، وذهنه المريض . وحقده الأسود ، والقى بها فى ساحات الدرس كأنها قضايا مقررة لا مجال فيها لأخذ أو رد . اما أمانة العلم ، اما قدسية الحقيقة ، اما مسئولية الضمير ، فليس لكل ذلك اعتبار فى تقدير القسيس المحترم .

لم يقل لنا متى قرأ النبى الانجيل ؟ وبأى لغة كان يقرأ ؟ ومن الذى علمه القراءة ؟ كل ذلك لم يكن من هم الباحث أن يلقى اليه بالا ، لأنه لا يعنيه ، ولا يهتم به ، ولا يحاول أن يجشم نفسه عناء البحث من ورائه ، حسبه أن يصدر الحكم الذى لا نقض فيه ولا ابرام ، ما دام ذلك يوافق هواه . ويرضى تعصبه الجامح .

الم يعلم ذلك الذى تسنم مقام الأستاذية لصفوة من شباب العالم أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ؟ وان القرآن الكريم الذى يزعم أنه نقل من الانجيل يقول الله فيه : ((**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ، بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم ، وما يجحد بآياتنا الا الظالمون**)) .

ولو كان للعقل سلطان عند ذلك القسيس الباحث لأدرك أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يقرأ هذا القرآن على هؤلاء الذين يعرفون دقائق حياته من يوم أن ولد ، الى أن لحق بالرفيق الأعلى ، وأن سادتهم وكبراءهم ناصبوه العداء وانهم يدركون جيدا أنه لم يعرف القراءة ولا الكتابة من قبل ، والا لكان يسيرا عليهم أن يردوا عليه ، ولكنهم لم

يفعلوا ، لأن أمية محمد صلى الله عليه وسلم حقيقة لا يدنو اليها الشك ولا يتنازع فيها منازع ، والا لكان المجال مهيأ لمعارضيه من أهل مكة أن يردوا عليه دعواه . ان كان هناك الى رد من سبيل .

ويشير القرآن الكريم الى أمية النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر من موضوع فيقول مثلا في سورة الأعراف : « **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ، قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** » .

تلك هي أمية النبي تعرض لها القرآن الكريم في أكثر من موضع وهو يتلى على قوم يعرفون كل ما دق وجل من حياة هذا النبي الكريم ، ولو كان في مقدورهم أن يردوا هذه الدعوة لردوها ولكنهم لم يفعلوا .

أما ما أشار اليه المحاضر من نقل الرسول عن الانجيل الى القرآن ، فهناك سؤال بديهي ، كنت أود لو وجهه الى نفسه قبل أن يلقي بهذه القاصمة ، ترى ما هي مواضع ذلك النقل الذي أشار اليه ؟ وهل قرأ القرآن الكريم وقارن بينه وبين الانجيل ليحدد تلك النقاط ويبين مدى الصلة بين الأصل المأخوذ عنه — في زعمه — وبين القرآن الكريم ؟.

يقيني أنه لم يفعل ، ولو فعل لأحجم أن يقدم على هذه الجرأة العجيبة ، لأنه لو قدر له أن يقرأ القرآن الكريم ، لأدرك مدى ما فيه من احاطة وشمول وعمق ، ومدى ما يحتويه من عظمة التشريع ودلائل الهداية ، ولأحجم عن القاء باطله الذي القاه لا تسليما واقتناعا ، لأن أمثاله ليسوا أهلا للانقياد الى الحق والتسليم به ، ولكن خوفا من أن يكون بين صفوف المستمعين من هيىء له أن يقرأ ويفهم ، ويستوعب فيكشف عواره ، ويبين عن مغالطاته ، ويتصدى للرد عليه ، وتفنيد مفترياته وهو ما يخشاه أشد الخشية ، ولست أدرى اذا كان الباحث يعلم أن الانجيل ليس فيه الا وصايا وأخلاق ، اما القرآن فهو شامل لكل مناحي الحياة ، ملب لحاجات البشر جميعا في الأخلاق والسلوك والمعاملات والتشريعات ، ونظم الحياة وأساليبها لعله لم يعرف ذلك ، ولعله ان قرأ يستفيد من القرآن مادة تنفعه في منهج الحياة والحرص على الحقيقة .

ولست بحاجة الى ان أبين أن هناك من الأمور التي اتفقت عليها الأديان السماوية ما يعطى اتفاقا أو شبه اتفاق في التعرض لها والحديث عنها ، ولكن لا يعني ذلك أن بعضها نقل عن البعض أو أخذ عنه فلا نقول إن الانجيل قد أخذ عن التوراة مثلا بل سبب ذلك أن المصدر واحد وهو الوحي الالهي .

٢) تلك واحدة ، أما الثانية فهي دعواه أن الشيوعية تزود الداعية الاسلامي بالمال لاخماد المسيحية التي تقترن بعدو الشيوعية الا وهو الغرب .

صدقوني أنني ما كنت أتصور أن تفاهة هذا التفكير وسخف التصور واهتزاز النظرة تبلغ بالفرد العادي الى هذا الحد الذي يغثي النفس ويصيبها « بالقرف » حينما تسمع منه

هذا الكلام ، فما بالك برجل يحمل شعار الدين أولا ويتصدى للأستاذية فى مجالاتها العليا ثانيا ؟. لا شك أن شخصا يصدر منه هذا الهراء جاهل كل الجهل بتاريخ الأديان ، غير مدرك لأبعاد المعركة الضارية التى تدور رحاها بين الأديان والالحاد .

هلا قال لنا المحاضر . كيف انتشر الاسلام فى أفريقيا ؟ ومتى ساد بلاد آسيا ؟ وكيف جذب اليه القبائل والشعوب هناك ؟ وهل قرأ ما كتبه سادته المبشرون منذ بدأت حركة التبشير والاستشراق حتى الآن ؟ وكيف صوروا اكتساح الاسلام لهذه الشعوب فى آسيا وأفريقيا ، واقبال الناس على اعتناقه بدون حملات تبشير ولا بعثات ارساليات دينية تغرى بالمال والجمال !! وترهب بالمدفع والسلاح ، وتضحك على البسطاء بالعلاج والدواء ..

هلا قرأ صراخ أسلافه المبشرين وأصغى الى عويلهم ، وهم يسجلون بمداد الحسرة والأسى كيف يقبل الناس على اعتناق الاسلام فى أفريقيا على يد تاجر ضرب فى مناكب الارض سعيا عن الرزق ، سلاحه الأمانة والصدق والوفاء ، نزل بقرية أو حل فى قبيلة ، يبيع ويشترى ، فأدهشتهم أمانته ، وأسرهم صدق حديثه ، وأنسوا الى خلقه ، ولمسوا فيه الناصح الأمين ، والمحب للناس جميعا ، وأن كل هذه الفضائل اكتسبها من دينه السهل السمح العميق ، الذى يدعو الى المساواة بين البشر جميعا ، لا يفرقهم لون ولا جنس ولا لغة ، لأنهم كلهم لآدم وآدم من تراب ، وأن مجال السبق والوجاهة عند الله والناس هو العمل النافع ، والاستعداد الطيب النبيل ، كما قال نبى الاسلام « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، وأن الله لا ينظر الى صوركم وأجسامكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » . وأن القرآن الكريم دستور الحياة ومنهجها يقول مؤكدا هذه الحقيقة **((يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، أن أكرمكم عند الله اتقاكم))** .

بهذه السماحة فى التشريع ، والسمو فى النظرة الى بنى الانسان، وعدم اهدار القيمة الانسانية فيهم ، على اختلاف الوانهم وأجناسهم ، وعقائدهم ولغاتهم ، والبساطة والسهولة والاقناع التى تمتاز بها العقيدة الاسلامية ، بكل تلك الوسائل والميزات تهيأ للاسلام أن ينتشر فى ربوع آسيا وافريقيا وكل بقاع الأرض على أيدى تجار يضربون فى الأرض ، لتحصيل الرزق ، أو دعاة من العباد سلاحهم الايمان ، وارادة الخير للناس جميعا ، مما دفع الناس الى اعتناق دينهم اقتناعا بتعاليمه ، وايمانا بمبادئه ، واقتداء بأخلاقه ، ولم يكن هؤلاء الدعاة الى الاسلام — من العباد والتجار — يحملون فى أيديهم ، ولا من خلفهم سلاحا أو مالا ولا تتبعهم او تمهد لهم جيوش جرارة ودعايات محبوكة .

لست أدرى اذا كان القسيس يعلم او حاول أن يعلم أن الاسلام حقق هذا الانتصار من قبل أن توجد الشيوعية بمئات السنين ، أغلب ظنى انه لا يعنيه أن يعلم ذلك ، لأن الحقيقة لا تعنيه فى قليل أو كثير ، وانما الذى يشغل اهتمامه أن يقول على الاسلام كذبا وزورا ما تسول له نفسه .

هل يعلم القسيس المحاضر أن الشيوعية قامت فى أكتوبر سنة ١٩١٧م ، وأن الاسلام كانت له السيادة فى العالم قبل ذلك بقرون

عـديدة ؟ هـل يعلم أن الشيوعية خاضت ولا زالت تخوض حروبا مريرة ضد الاسلام والمسلمين فى كل مكان وأن هذه الحروب امتداد للصراع بين قياصرة روسيا من قبلهم وبين المسلمين فى هـذا الجزء من العـالم ؟.

هل يعلم المحاضر أن الجمهوريات السوفيتية تضم عددا من الجمهوريات التى كان حكامها وسكانها مسلمين من قبل ، وأنهم واجهوا من الضغط عليهم مثلما كانوا يواجهون من قبل فى عهد القياصرة ؟

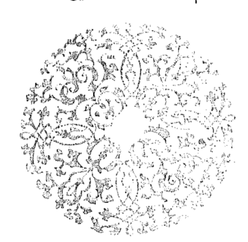
ليت المحاضر يكلف نفسه عناء البحث والدرس ، ليعرف الحقيقة ان كان يبغى يوما أن يعرف الحقيقة ؟.

هل يعلم القسيس المحاضر أن الاسلام يحقق للانسانية نظاما اجتماعيا كاملا كفيلا بتحقيق العدالة والحرب والمساواة لشعوب الأرض جميعا ، لو أنهم أرادوا حقا أن تسود هذه القيم الانسانية العالية ، وأن سيادة مثل هذا النظام واستقراره لا يسمح لأى نظام آخر أن يتخذ من العدالة والمساواة والحرية أهدافا يتغنى بها ، ولهذا تخشاه كل الأنظمة وتحاربه سواء كانت شيوعية أم استعمارية محتكرة .

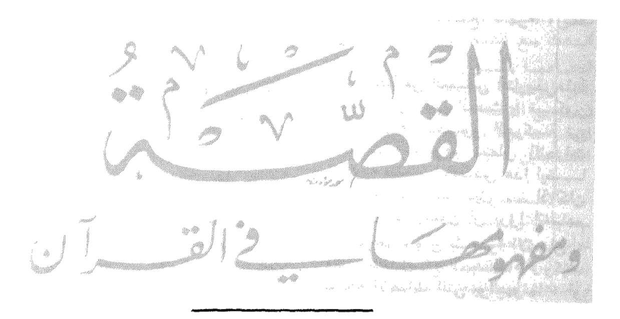
أخى الشاب العربى المسلم هذه خواطر تجد فى طياتها اجابات لسؤاليك ، ولكنى اود فى ختام هذا الحديث أن أوجه نداء الى القائمين على أمر هذه المعاهد والدراسات أن يحترموا عقول الشباب الذى جاءهم راغبا فى التزود من المعرفة ، وأن يختاروا الرجل المناسب للمكان المناسب ، واذا كان لا بد من دراسة الأديان فى قسم يتخصص دارسوه فى « علم الأحياء والفيزياء والكيمياء » فلتسند هذه الدراسات الى أيد أمينة خالية من التعصب بعيدة عن الهوى وانني أخشى أن أقول إن هناك سياسة مرسومة للنيل من الاسلام . وزرع الكراهية والخوف منه فى نفوس الأجيال ، وعند ذلك ينبغى أن يكون لنا نحن المسلمين موقف آخر نعرف منه أعداءنا من أصدقائنا .

ولعل واضعى المناهج العلمية فى بلادنا الاسلامية والمسئولين عن البعثات يأخذون من هذا عظة وعبرة ، ويرون بأعينهم ، أن الغرب رغم دعواه العريضة — أن ليس للدين عليه سلطان — يعطى قسطا من الدراسات الدينية للطلاب فى كل المستويات والمجالات حتى ما يظن منها أن ليس له صلة بالدين .

ليت شعرى هل يدرك قومنا الحقيقة أو يظلون رغم هذه النذر غافلين .







للأستاذ عبد الكريم الخطيب

القصص القــــرآنى كله عرض لأحداث تاريخية مضى الزمن بها .. فهو ــ والامر كذلــك ــ وثيقـــة تاريخية ، من أوثق واصدق ما بين يدى التاريخ من وثائق ، فيما جاء فيه من اشخاص واحداث ، وما يتصــل بالاشــــخاص والاحداث من أمكنة وأزمنة ..

ونحن فى دراستنا هنا للقصـــة القرآنية ، لا نقف كثيرا عند هـــذه الحقيقة ــ حقيقة واقعية القصص القرآنى ، من حيث أنها ذات قيمة كبيرة فى الدراسات التاريخية ، وفى تصحيح كثير من مرويات التاريخ ، وانما الذى يعنينا من واقعية القصص القرآنى أولا وبالذات ، ذلك الاثر الذى لتلك الواقعية فى الجو الفنى للقصة .. بمعنى أن القصة الادبية فى القديم وفى الحديث ، لم تقف عند الحقيقة التاريخية وحدها ، حتى ولو اتيح لها الظفر بها ، وانما هى تعتمد فى كثير أو قليل على عنصر الخيال ، الذى من شـــأنه أن يلون الاحداث بغير الوانها ، وأن يبدل ويغير من صورها واشكالها ، وذلك لكى تبدو الاحداث مختلفة فى وجوهها عما ألف الناس أن يروها عليه ، مما يضفى عليها شيئا من الجدة والطرافة ، مما يبعث على الاثارة والتشويق ، الامر الذى ان خلت منه القصة لم تقع من القلوب موقع القبول والرضا .

ونسأل : هل اذا اعتمدت القصة اعتمادا كليا على الحقيقة المطلقة ــ كما هو الشأن فى القصص القرآنى ــ يمكن أن تكون قصـــــة بالمعنى المفهوم ؟ وهل يعتبر عرض الحقائق كما وقعت ، عملا فنيا ، وقد خلا من كل اضافة يضيفها اليه ناقل تلك الحقائق من تصوراته ، ومدركاته ، ومشاعره ، وخيالاته ؟ .. وأخيرا

هل يمكن أن تكون القصة المنسوجة من خيـــوط الواقع قادرة على أن تشوق وتثير ؟ ثم هل هي قادرة بعد هذا على أن تمس المشاعر ، وتلمس الوجدان ، وتقود الى ما وراءها من منازع وغايات .. ؟

هذه الاسئلة وما اليها ليس هنا جوابها ، حيث أن للاجابة عليهـــا مكانا خاصا في هذا البحث .. ولكن الذي نريد أن نقـــرره الآن ، هو أن القصة القرآنية قد بنيت بناء محكما من لبنات الحقيقة المطلقة ، التي لا يطوف بحماها طائف من خيال ، ولا يطرقها طارق من وهم ، ثم هي — مع هذا — أكثر من قصة .. حيث سمى القرآن كل قصة منه قصصا . كما يقول سبحانه : « نحن نقص عليك أحسن القصص » وكما يقـــول جل شـــأنه : « ان هـــذا لهو القصص الحق » .. فكل قصة هي قصص ، لما في كل مشهد منها من غنى عريض من المعاني التي لا تنفد أبدا ..

وهكذا أطلق القرآن الكريم لفظ القصص على ما حدث به من أخبار الماضـــين في مجال الرســـالات السماوية ، التي حملها رسل الله الى أقوامهم ، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال ، وبين مواكب النور وجحافل الظـــلام .. فقصة كل نبي تشكل قصصا ، متجدد العطاء : « يؤتى اكله كل حين باذن ربه » ..

الشخصية والحادثة :

ويقوم العمل القصصي على أحد محورين : اما الشـــخصية ، واما الحدث .. بمعنى أن تكون الشخصية الانسانية هي الفلك الذي يدور حوله الحدث ، أو أن يكون الحدث هو المركز الذي تدور حوله الشخصية .. وقد يتوازن في العمل القصصي كل من الشخصية والحدث ، فيتبادلان نقطة الارتكاز والتجـــمع ، مرة ، بعد مرة ..

ويلاحظ في القصص التاريخي غلبة الشـــخصية على الحدث ، فيـــكون الشخص هو محـــور الحركـــة في القصـــة ، وهو متعلق الاحداث الجارية فيها .. ويصدق هذا أيضـــا على القصص المتخـــيل .. اذ كان الناس دائما يحبون أن يروا أنفسهم في غيرهم ، وأن يشهدوا الانسان ، وكيف يتعامل مع الحيـــاة ، وكيف يواجه الاحداث التي يواجهونها ، أو التي يمكن أن يواجهوها .. ذلك أن الناس لا يعنيهم الحدث من حيث هو ، وانما يعنيهم اذا كان مما يقع في حياتهم ، ويتصل بوجودهم ، وهذا لا يكون الا اذا تعلق بانســـان ، أو تعلق به انسان .. !

ومن هنا كان أبطـــــال الحدث التاريخي أو الخيـــالي في العمـــل القصصي — أشخاصا لا أحداثا .. وقل أن يكون بطل القصة في هذا العمل ظاهرة من ظاهرات الطبيعة ، أو كائنا من الكائنات غير الانسان .. فان كان شيء من هذا كان منظورا اليه دائما من خلال الانسان ، مؤثرا أو متأثرا بهذه الظاهرة أو هذا الكائن ، حتى القصص الحيـــــواني ، هو حيوانات تنطق بلسان انسان ، أو انسان يلبس مسلاخ حيوان .. !

ماذا في القصص القرآني .. ؟

أما في القصص القرآني ، فاننا نرى تدبيرا عجيبا معجزا ، في توزيع المشاهد القصصية توزيعا محكـــما متوازنا بين الشخصية والحدث ..

فلا نجد فى القصص القرآنى موقفا من المواقف تستأثر به الشخصية وحدها ، أو الحدث وحده .. وانما تلتقى الشخصية مع الحدث ، أو الحدث مع الشخصية ، فيتخلق من اجتماعهما مضمون ، هو الذى يكون بطل الموقف ، فتصبح شخصيته أبرز شخوص القصة ، ويبدو صوته أندى الاصوات فيها ، واقواها سلطانا على المشاهدين ، أو المستمعين ..

فالاشخاص فى القصص القرآنى — أيا كانوا — ليسوا مقصودين لذاتهم من حيث هم اشخاص تاريخيون يراد ابراز حياتهم ، وكشف أعمالهم ، والتمجيد أو التنديد لسيرتهم ، وانما يعرض القرآن ما يعرض من شخصيات ، كنماذج بشرية فى مجال الحياة الخيرة أو الشريرة ، وفى صراعها مع الخير والشر ، وفى تجاوبها أو تعاندها مع الاخيار والاشرار ..

ان الشخصية فى القصة القرآنية ، انما ينظر اليها بهذا الاعتبار الذى تؤدى فيه دورها كشاهد من شواهد الانسانية ، فى قوتها وضعفها ، وفى استقامتها وانحرافها ، وفى هداها وضلالها ، وفى رشدها وغيها ، وفى حكمتها وسفاهتها .. الى غير ذلك مما تندرج تحته عوالم الانسانية ، وتتشعب فيه مذاهب سعيها ومسلكها فى وجوه الحياة ..

وكذلك الشأن فى الاحداث التى يعرضها القرآن الكريم فى قصصه .. انها ليست الا محاك اختبار تظهر بها معادن الرجال ، وتختبر بها مواطن القوة والضعف فيهم ، وتنكشف بها منازع الاحسان والسوء منهم .

ومن أجل هذا ، كان الذى نشهده فى القصص القرآنى من عرض الشخصية الواحدة فى معارض كثيرة وفى مواضع متعددة من القرآن ، حيث تستدعيها الاحداث والمواقف .. وهذا هو بعض السر فيما نشهده فى قصص القرآن الكريم من توزيع بعض الشخصيات ، وعرضها فى مواقف متعددة ، وفى أزمنة متباعدة حسب نزول القرآن بها حالا بعد حال ، ومشهدا بعد مشهد .. ولو ان الشخصية كانت مقصودة قصدا أصليا لذاتها ، لذكرت أحداثها ومواقفها فى معرض واحد ، حتى تظهر مرة واحدة بكل شخصياتها وسماتها ..

فكنا نجد قصة موسى — مثلا — فى سورة واحدة ، كسورة البقرة ، أو سورة الاعراف ، أو سورة القصص ، بدلا مما هى عليه فى القرآن الكريم ، وقد ذكرت فيه فى نحو مائة وعشرين موضعا .. وكذلك الشأن فى قصة ابراهيم وهود ، وصالح ، وموسى ، وعيسى ، ونوح ، وآدم ، وغيرهم .. فنحن نرى فى القرآن الكريم مشهدا من مشاهد الشخصية ، مع حدث من الاحداث ، تواجهه ، وتتفاعل معه ، وتمضى به الى غايتها فى موقفها منه ، أو موقفه منها ، ثم ينتهى المشهد ، ويطوى الموقف ، حتى اذا مضى زمن — طال أو قصر — طالعنا وجه الشخصية من جديد ، مع حدث آخر ، يأخذ دوره معها ، ثم يمضى .. ثم يجىء غيره .. وهكذا ..

وعلى هذا فان التكرار الذى يقال عنه فى القصص القرآنى ، ليس تكرارا لحدث ، ولا اعادة للواقعة بصورتها التى عرضت بها أولا ، بل

ان أكثر القصص القرآنى تتكرر فيه الشخصية ، ولا يتكرر فيه الحدث ، وانما الذى دعا الى هذا القول الذى يقال بأن فى القرآن الكريم تكرارا واضحا فى قصصه ، هو ظهور الشخصية فى مواقف متعددة ، فوقع من ذلك للنظرة المجردة من التعمق والتبصر ، أن ذلك من التكرار ، بل والتكرار المعيب الذى لا تدعو اليه داعية من حال ، أو مقام .. حتى لقد فتح ذلك لذوى النيات السيئة ، وأصحاب العقول المريضة — مجالا للاتهام ، والتطاول على مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والطعن فى نبوته ، وأن هذا التكرار الذى فى القرآن — وفى القصص القرآنى كذلك — انما هو نتيجة لاحوال كانت تعترى النبى ، من صرع ، وجنون — كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا — حتى لينسى ما كان قد قاله من قبل ، فيعيد قوله من جديد ، بصورة أو بأخرى ، مقاربة أو مباعدة ، لما كان قد ذكره منذ زمن قريب أو بعيد .. !

هذا بعض ما يقوله المتقولون على كتاب الله ، وعلى رسول الله فى ظاهرة التكرار التى وردت فى كثير من معارض القرآن الكريم ، سواء أكان ذلك فى مشاهد القصص القرآنى ، أم فى غيره ، كما فى سورة (الرحمن) ، وقد تكرر فيها قوله تعالى : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » احدى وثلاثين مرة خلال آياتها التى بلغت ثمانيا وسبعين آية .. وكما فى سورة (القمر) التى تكرر فيها قوله تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » أربع مرات، وتكرر فيها قوله تعالى : « فكيف كان عذابى ونذر » أربع مرات أيضا .. وكما فى سورة (المرسلات) وقد تكرر فيها قوله تعالى : « ويل يومئذ للمكذبين » عشر مرات .

ولا نعرض هنا للرد على هذه المزاعم الفاسدة التى يرددها الذين يكيدون للاسلام ، ويتلقاها عنهم أدعياء العلم ، ممن ينتسبون الى الاسلام ، ويلبسون ثوب المجددين والمجتهدين فيه .. فالرد على تلك المزاعم له موضعه من هذا البحث ان شاء الله .. وذلك بعد أن نستكمل بحثنا عن مفهوم القصة فى القرآن الكريم .

ونعود فنقول : ان الشخصية فى القصص القرآنى ليست مقصودة لذاتها ، ولا كان ذكر الاشخاص فى هذا القصص منظورا اليه نظرة القصص التاريخى الى شخصياته ، وعرضها فى معارض البطولة فى أى مجال من مجالاتها .. وانما الذى كان المقصد الاول للقرآن الكريم من قصصه ، هو الحدث .. لأنه مناط العبرة والعظة ، فيما يكون من موقف الناس منه ، وتلقيهم له ، من بين محسن ومسىء ، ومقبل ومعرض ، ومستقيم ومنحرف .. ومن خلال هذه المواقف التى يقفها المحسنون أو المسيئون من الحدث أو الاحداث ، تنكشف وجوه العبرة والعظة منها .. وهذا ما جاء القصص القرآنى كله من أجله .. كما يقول تعالى : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » وقوله جل شأنه : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون »

والذى يتتبع القصص القرآنى يجد أحداثه كلها تدور حول الدعوة الى الله ، والى تحرير العقيدة ،

وتصفيتها من العبودية لغير الله ، وتوجيهها الى عبادة الاله الواحد ، الخالق ، رب العالمين ، والاستقامة على صراطه المستقيم .. ولهذا كانت دعوات الانبياء — لا الابنياء — هى الوجه البارز فى القصص القرآنى ، وانه لو كانت شخصية النبى هى مناط القصة ، ودافعها الاصلى ، لجاءت قصة كل نبى ، فى موضع واحد من القرآن الكريم ، فى سورة أو بعض سورة ، ولما كان هناك ثمة داعية لتقطيع حياة تلك الشخصية الى هذه الاجزاء الموزعة فى مواضع متباعدة من القرآن الكريم .. ولكن اذا اعتبرنا الحادثة ، لا الشخصية ، هى محور القصة ، لم نجد هذا التمزق فى وحدة الشخصية ، بل نجد كل حادثة ، أو موقفا يمثل قصة كاملة ، وان كان هذا لا يمنع من أن نلتقى بالشخصية الواحدة مع أكثر من حدث ، وفى اكثر من موقف ، مع تباعد الزمان والمكان ، كما أن هذا لا يمنع من أن تقترن الاحداث المتماثلة ، فى مساق واحد ، وفى عرض متصل ، فى سورة أو بعض سورة ، لشخصيات متعددة ، متباعدة الزمان ، والمكان ..

ففى أكثر من سورة من سور القرآن الكريم نجد عرضا متصلا لدعوة عدد من الانبياء ، حيث تتماثل الاحداث ، وتتشاكل الوقائع ، وفى هذا الجمع بين الاحداث المتماثلة والوقائع المتشاكلة ، ما يعطى دلالة واضحة لهذا الصراع الدائم بين الخير والشر ، وما يكشف عن هذا العناد والكنود فى الطبيعة البشرية .. وأن الانسان هو هو الانسان ، فى كل زمان ومكان ..

والمثل الواضح فى هذا ما نجده فى سور : الاعراف ، ويونس ، وهود ، والشعراء ، والنمل ، والقصص .. فقد جمعت كل سورة من هذه السور مواقف لكثير من الانبياء مع أقوامهم ، اذ يدعونهم الى الله تعالى فى لين ورفق ، وفى رحمة ومودة ، ثم لا يجدون لدعواتهم تلك آذانا سامعة ، أو قلوبا واعية ، وانما الذى يأتيهم من أصداء تلك الدعوة ، امعان فى الضلال ، واغراق فى الكفر ، وسفاهة وتطاول ، بلا بقية من مروءة أو حياء !

القصة القرآنية :
نبأ ، أو خبر ، أو حكاية .. ؟

ونحن حين ننظر فى المعنى اللغوى للقصة ، نرى أن أصل اشتقاقها يتلاقى مع المفهوم الذى قام عليه أصل التسمية للقصص القرآنى .. فالقصة مشتقة من القص ، وهو تتبع اثر الشىء ، وما خلفه وراءه للاستدلال منه عليه ، ومنه قوله تعالى : « وقالت لاخته قصيه » .. اى تتبعى آثاره حتى تصلى الى ما انتهى اليه أمره .. ومن هذا قولهم : قص الاثر ، اى نظر فيه ، ليستدل منه على مسيرة صاحبه ، يقال : قصصت أثره ، واقتصصته ، وتقصصته وخرجت فى أثر فلان قصصا ، اى أتتبع آثاره ، وفى القرآن الكريم : « فارتدا على آثارهما قصصا » .. ومنه قص عليه الرؤيا ، والحديث ، اى اعاده عليه ، وحكاه له كما حدث .. وفى القرآن الكريم : « لا تقصص رؤياك على اخوتك » .

فالقص للاثر ، أشبه بما يعرف فى عصرنا بتصوير (البصمات) أو رفع

الآثار التى خلفها الجناة ، وراءهم ، والنظر فيها نظراً دارسا ، ليستدل منها عليهم .

والقصة فى القرآن ، انما تتبع أحداثا ماضية واقعة ، وتعرض منها ما ترى عرضه ، ومن هنا كانت تسمية الاخبار التى جاء بها القرآن قصصا .

وقد استعمل القرآن الكريم الخبر، والنبأ بمعنى التحدث عن الماضى ، وما وقع فيه من أحداث ، وان كان قد فرق بينهما فى المجال الذى استعملا فيه ، جريا على ما قام عليه النظم القرآنى من دقة واحكام واعجاز .. فاستعمل لفظ النبأ والانباء فى الاخبار عن الاحداث التى مضى الزمن بعيدا بها ، ولفها فى أطوائه ، حتى حجبها عن الانظار .. ومن ذلك قوله تعالى فى أصحاب الكهف : « نحن نقص عليك نبأهم بالحق » .. ومنه قوله تعالى فى شأن الامم الغابرة وما وقع فيها من مثلات : « ذلك من انباء القرى .. نقصه عليك .. منها قائم وحصيد » ومنه قوله سبحانه فيما يقص على نبيه صلى الله عليه وسلم ، من قصص الاولين : « تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا .. » .

اما لفظ الخبر والاخبار ، فقد كثر استعماله فى القرآن الكريم للكشف عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع ، او التى لا تزال مشاهدها قائمة ماثلة للعيان .. ومن ذلك قوله تعالى مخاطبا المؤمنين : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ، ونبلو أخباركم » .

واذ ننظر فى القصص القرآنى نجد انه يجىء بمادته كلها من الماضى البعيد ، الذى يطلق عليه لفظ نبأ ، أكثر مما يطلق عليه لفظ خبر .. وفى هذا يقول الله تعالى فيما يقص على النبى صلى الله عليه وسلم من انباء الرسل عليهم الصلاة والسلام : « ولقد جاءك من نبأ المرسلين » أى من خبرهم ، ولكنه عدل عن لفظ خبر ، الى لفظ نبأ ، لما اشرنا اليه من تفرقة القرآن الكريم بين النبأ والخبر ، وان تقاربت مواردهما .

واما الحكاية ، فمعناها فى اللغة محاكاة الشىء ونقله فى صورة مطابقة له ..

ويبدو من هذا أن لفظ الحكاية اقرب شىء الى معنى القصص .. اذ كان القصص هو نقل الخبر فى صورة مطابقة لما وقع عليه ، كما فى قوله تعالى : « فلما جاءه وقص عليه القصص » اى ان موسى حين التقى بشعيب قص عليه ما وقع له من الاحداث التى من أجلها خرج من مصر ، طالبا النجاة من الذين يريدون أن يقتلوه بالقتيل الذى قتله خطأ ..

ولكن القرآن الكريم لم يستخدم لفظ الحكاية فى الدلالة على قصصه ، كما أنه لم يجعل لهذه اللفظة ومشتقاتها مكانا فيه ، فلم يرد فى القرآن الكريم لفظ حكى ، أو يحكى أو حكاية ، أو محاكاة .. وما الى ذلك من مشتقات تلك اللفظة ..

وهذا أمر يدعو الى كثير من التأمل والتدبر ، للكشف عن أسرار هذا التدبير الحكيم ، الذى تقوم منه شواهد ناطقة بأن هذا القرآن من لدن حكيم عليم ، وأنه فوق قدر العالمين جميعا .

وحسبنا أن نشير هنا — فى ايجاز — الى سر من تلك الاسرار التى لا

تنتهى فى أبعاد لفظ (الحكاية) عن ساحة القرآن الكريم كله ، فى قصصه ، وفى غير قصصه .. وذلك أن الحكاية للشىء ، وان جاءت مطابقة له ، فى صدق وأمانة ، الا انها — مع هذا — غير الاصل .. هذا من جهة .. ومن جهة أخرى ، فان حاكى الشىء غير منشىء لهذا الشىء ، بل هو مقلد ومحاك لمنشئه .. وتعالى الله جل شأنه ان يحكى عن غيره ، اذ كان كل شىء فى هذا الوجود ، هو فى ملك الله ، خلقا وأمرا ، والحاكى انما يحكى ما ليس له .. فتنزه جل شأنه أن يكون حاكيا لشىء ، وكل شىء حوله ..

وما فى القصص القرآنى ، وعرضه للاحداث الماضية ، ليس محاكاة لها ، ولا تمثيلا لشخوصها ومشاهدها ، وانما هو بعث لها ، واعادة لوجودها ، فى هذا النظم المعجز الذى ينقل الينا الماضى ، أو ينقلنا نحن اليه ، فنطالع وجوه الحياة فى زمانها ومكانها ، وفى تحركات أشخاصها وأحداثها .. تماما كما تبعث القدرة الالهية الموتى من القبور ، فيقومون بأشخاصهم ، وسماتهم على ما كانوا عليه فى الحياة الدنيا .. فهذا البعث ليس محاكاة للحياة الاولى ، وانما هو اعادة لها كما هى .. وكذلك الشأن فى القصص القرآنى .. انه ليس محاكاة للاحداث الماضية ، وانما هو اعادة لها من جديد كما هى : « كما بدأنا أول خلق نعيده » .. « فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة » .

وعلى هذا ، فان اطلاق لفظ القصص على أحداث الماضى التى ذكرها القرآن الكريم ، فيما يتصل بأنبياء الله وغيرهم هو انسب لفظ ، وأعدل واصدق اسم يدل على مسماه .. اذ أن قص أثر الشىء وتتبعه ، انما غايته هى الوقوف على ذات الشىء نفسه ، لا على صورته ، أو مايشبه صورته ، الأمر الذى جاء عليه القصص القرآنى ..

ونخلص من هذا الى القول بأن القصص القرآنى ، هو أنباء وأحداث تاريخية ، بعثها القرآن الكريم من مرقدها ، ونفض عنها غبار الزمن المتراكم عليها ، واعادها الى الحياة مرة ، لم يتلبس بها شىء من الخيال ، ولم يدخل عليها شىء من غير الواقع ..

نقول هذا حتى لا يقع خلط بين القصص القرآنى ، وما يصطنعه الناس من قصص تاريخى ، أو خيالى ، فهذا كلام الله ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، وذاك من كلام البشر ، يختلط فيه الحق بالباطل ، والصدق بالكذب ، والواقع بالخيال .. وهذا أمر اوضح من أن يدل عليه فى القصص القرآنى ، الذى كان بمرصد من الباحثين والدارسين من غير المسلمين ، ليقعوا على خبر من اخباره أو حدث من أحداثه ، كشف عنه غبار الزمن ثم جاء على غير ما تحدث به القرآن ، فأعياهم ذلك ، وحملهم الحق الواضح فيه على أن يذعنوا له ، ويصححوا كثيرا من معارفهم على ضوء ما نطق به .

أما التكرار فى القصص القرآنى ، والذى كان ، ولا يزال مظنة تهمة للقرآن الكريم عند بعض المستشرقين ، ومن تتلمذ عليهم من المستغربين — فذلك موضوع حديث تال ان شاء الله ، نكشف فيه عن هذا التكرار ، وانه اعجاز قائم بذاته الى اعجاز القرآن الكريم كله ، آية آية ، وسورة سورة .. والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل ..

مائدة القارئ

عن ابن عباس قال :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن وكان يقول :
التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله . سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . اشهد أن لا اله الا الله ، واشهد ان محمدا رسول الله .

قال الغزالى : قد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن ، وترك التدبير بالقلب ، والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة ، وكاللحم على الوضم ، وهذا ظن الجهال ، فان ذلك حرام ، والشرع قد أثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل انما يظهر تأثير التوكل فى حركة العبد وسعيه الى مقصده .

تعزية

عزى على بن ابى طالب رضى الله عنه الأشعث بن قيس عن ابنه فقال :
ان تحزن فقد استحقت ذلك منك الرحم ، وان تصبر ففى الله خلف من كل هالك ، مع أنك لو صبرت جرى عليك القدر وانت مأجور ، وان جزعت جرى عليك القدر وانت موزور ، سرك الله وهو بلاء وفتنة ، وحزنك وهو ثواب ورحمة .

الرجال أربعة

قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة :
رجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى ، فسلوه .
ورجل يدرى ، ولا يدرى أنه يدرى ، فذاك ناس ، فذكروه .
ورجل لا يدرى ، ويدرى انه لا يدرى ، فذاك مسترشد فعلموه .
ورجل لا يدرى ، ولا يدرى انه لا يدرى ، فذاك جاهل ، فارفضوه .

كتمان السر

قال تعالى اخبارا عن نبيه يعقوب حين أوصى يوسف ابنه :
« يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا » ..

ابو بكر الصديق بن ابى قحافة

اسمه : عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى القرشى التميمى .
مولده : بعد الفيل بسنتين وستة أشهر .
وفاته : يوم الاثنين/جمادى الاولى سنة ١٣ هـ — وهو ابن ٦٣ سنة .

عمر بن الخطاب

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى العدوى — أبو حض أمير المؤمنين .
قيل ولد قبل المبعث النبوى بثلاثين سنة .

عثمان بن عفان

عثمان بن عفان بن أبى العاص ابن أمية بن عبد شمس القرشى الأموى .
مبايعة عثمان : السبت غرةمحرم سنة ٢٤ هـ .
وقتل على رأس ١١ سنة ، ١١ شهرا ، و ٢٢ يوما من خلافته ، مع اختلاف .
وقيل : قتل يوم الجمعة لـ ١٨ خلت من ذى الحجة بعد العصر ، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء فى حش كوكب كان عثمان اشتراه فوسع به البقيع وقتل وهو ابن ٨٢ سنة وأشهر على الصحيح المشهور .

على بن ابى طالب

على بن أبى طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف القرشى الهاشمى .
أول الناس اسلاما فى قول كثير من أهل العلم .
ولد قبل البعثة بعشر سنين على الأصح .
تربى فى حجر النبى .
قتل فى ليلة ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ
مدة خلافته ٥ سنوات الا ٣ أشهر ونصف شهر .

درجات العلم

قال الأطمعى : أول العلم الصمت والثانى الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل ، والخامس النشر .

كلمات

- البخيل انسان يعيش فقيرا ويموت غنيا .
- كل شىء اذا كثر قلت قيمته الا العلم .
- المقابر مليئة بأناس خالوا الدنيا لا تدوم بدونهم .

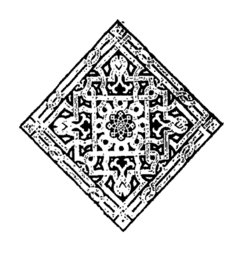
التزام الدولة الإسلامية بأرزاق الناس في خلافة عمر بن الخطاب

— ١ —

تقـــديم :

منذ نشأة العمران البشرى وحتى يومنا هذا لم يخل وجـه الأرض من الصراع بين العقائد والمبادىء والنظم والأفكـار ، وقد شـمل هـــذا الصراع كل مجالات الحيـاة البشرية فى الحرب والسياسة والاقتصـــاد والفكر ، بالسيف والمدفع والكلمـة والذهب ، بالتضحية والفداء والصدق والخـداع والمغالطـة والتشـويه والاغـراء .. بكل مـا يمكـن أن يستخدمه الانسان لنصرة المبـدأ أو النظام أو المعتقد أو الفكرة . وهــذا الصراع الدائم المتتابع سنة من سنن الله فى الكون ، قال تعالى : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين . الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وقد أوجب الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسـلم وعلى المؤمنين به إزاء هذا الاختلاف وما يتبعه من صراع أن يدعـوا الى سبيل الله بكل الوسائل الميسرة لهم وان يعملوا على مكانتهم لنصر كلمـة الله حيث قال لرسوله صـلى الله عليـه وسلم بعـد ذلك (وقل للذين لا يؤمنون اعمـلوا على مكانتكم إنـا عاملون . وانتظروا إنا منتظرون) .

على أن التقدم العلمى وما حققه للانسان المعاصر من سهولة الاتصال وسرعة نقل الأفكار والمبادىء وبثها فى أنحـاء الأرض بوسائل مختلفـة بالغة السرعة والتأثير — بصرف النظر عن خطها الحقيقى من الصـدق — قـد أججت هـذا الصراع وحملت الكثيرين من دعاة مختلف النظم الى



للدكتور محمد بلتاجى

إظهار نظمهم وصياغتها فى صورة دعائية تكسب بها الأنصار والمعتنقين من شتى أنحاء العالم بالكلمة المطبوعة والمسموعة والصورة والتمثيلية وغيرها من الفنون التى تستغل بطريق مباشر أو بصورة ضمنية مستترة موحية لخدمة فكرة والتبشير بها فى كل مكان . وكثيرا ما يكون النجاح فى هذه المهمة نتيجة لحسن العرض والحذق فيه ودراسة نفوس الناس ومسايرة بعض أهوائهم ، والدخول اليهم من الطرق التى تفتح مغاليق قلوبهم ، بصرف النظر فى هذا كله عن الحق الخالص والصدق الصريح . بل كثيرا ما يكون عرض الحق والصدق فى ذاتهما ضارا بالقضية التى يدعون اليها .

وفى خضم هذا المعترك ينبغى على علماء الاسلام ودعاته المتصدين للحديث باسمه فى مختلف المجالات ان يبذلوا أقصى ما يستطيعونه من جهد فى تجلية مبادئه الحقيقية فى صورة ميسرة للناس جميعا ، وأن يتصدوا لصياغة تلك الجوانب التى يهتم بها الانسان المعاصر اهتماما كبيرا ويعتبرها مقاييسه الأساسية التى يعيش بها جودة النظريات ورداءتها ، والتى تهتم النظم المتصارعة كلها بأن تأخذ منها موقفا معينا تجليه للناس وتحسنه وتظهره لهم فى أحسن صورة تكشف فيها عن الجوانب المضيئة البراقة التى يمكن أن تجتذب الناس أو طوائف منهم .

والاسلام متين كعقيدة وكشريعة ، وليس فيه أسرار كهنوتية مستورة عن غير الخاصة ، وهو كلمة الله

الواضحة الاخيرة الى الناس ، وهو اصلح نظام يمكن أن يطبق بين الناس بيد أن هذا كله يجب أن يصاغ للناس جميعا فى صورة تخاطبهم بأسلوب عصرهم وتقارن لهم مبادئه ونظمه المنزلة بذلك السيل من المبادىء والنظم والأفكار الأخرى التى يتعرضون لدعاياتها الموجهة بإحكام وتدبير فى كل لحظة بغية صرفهم عن كلمة الله عن طريق الكلمة المطبوعة والمسموعة وعن طريق الصورة وغيرها من شتى السبل والفنون التى تتخذها المبادىء لبث دعاياتها وأفكارها بطريق مباشر وغير مباشر. وهذه الصياغة هى بالنسبة للمسلمين القادرين عليها واجب دينى وأمانة يسألون عنها يوم الدين .

— ٢ —

واذا كانت (الكفاية الاقتصادية التى تحققها الدولة لمواطنيها) تمثل أحد المقاييس الرئيسية المعاصرة التى تقاس بها جودة النظام الذى تحكم به الدولة أو رداءته — فاننا نقدم فى الصفحات القليلة التالية نموذجا من نتائج التطبيق الاقتصادى لمبادىء التشريع الاسلامى ما لم يتحقق مثله — ولا ما يقاربه — فى أى عصر آخر من عصور التاريخ البشرى باطلاق وحتى عصرنا الحاضر ، وذلك على اختلاف النظريات والنظم الوضعية التى تداولها العالم ولا يزال يتداولها وسنرى أيضا أن ما حققه عمر بن الخطاب حين طبق التشريع الاسلامى فى صدق ودقة وعبقرية ما يزال حلما من أحلام البشرية حلم بعض المفكرين المثاليين بتحقيقه فى صور خيالية بعيدة عن أوضاع الواقع ومتطلباته أما عمر فقد حققه فعلاً .

روى عن عمر بن الخطاب انه قال حين قدم عليه احد عماله بأموال كثيرة من فىء المسلمين : « والله الذى لا إله الا هو ما أحد إلا وله فى هذا المال حق .. وليؤتين الراعى نصيبه من هذا المال وهو بجبل صنعاء ودمه فى وجهه » . وكان عمر يعلم يقينا أن هذه الاموال حق للناس جميعا ، فليست له او لآله خاصة ، أو لفئة معينة من الناس . يروى ابن سعد أن عمر لما كتب الى حذيفة عامله : « أن اعط الناس أعطيتهم وأرزاقهم » فكتب اليه حذيفة : « إنا قد فعلنا وبقى شىء كثير » — كتب اليه عمر : « إنه فيؤهم الذى افاء الله عليهم ، ليس هو لعمر ، ولا لآل عمر .. اقسمه بينهم » .

وقد اجمعت الروايات التاريخية على أن عمر عمل طوال خلافته بهذا المبدأ ، فكفل بذلك رزق كل فرد من الناس فى الدولة الاسلامية مما لم يشهد له التاريخ البشرى مثيلا من قبل أو من بعد . وحين أمر بانشاء ديوان الاموال أمر باتخاذ دفاتر يكتب فيها اسم كل مولود ، ذكر أو أنثى ، وفرض له مائة درهم ، وجريبين من الطعام فى كل شهر ، تدفع لأهله . لا فرق بين أن يكونوا محتاجين اليها أو أغنياء عنها ، فهو انما كان يفرض للمولود لا لأهله . وفى أول الامر لم يكن يفرض للوليد حتى يفطم ، ثم حدث ما جعله يفرض له من يوم ولادته فقد قدمت الى المدينة قافلة من التجار فنزلوا المصلى ، فقال عمر لعبدالرحمن ابن عوف : هل لك أن تحرسهم الليلة من السرق ؟ فباتا يحرسانهم ويصليان فسمع عمر بكاء صبى ، فتوجه نحوه وقال لأمه : اتقى الله وأحسنى الى صبيك ، ثم عاد الى مكانه ، فسمع بكاءه ، فعاد الى أمه فقال لها مثل

ذلك ، فلما كان فى آخر الليل سمع بكاءه ، فأتى أمه فقال : ويحك ، إنى لأراك أم سوء ، مالى ارى ابنك لا يقر منذ الليلة ؟ فقالت : يا عبد الله — وهى لا تعرفه — قد أرقنى منذ الليلة ، انى أريغه عن الفطام فيأبى، قال : ولم ؟ قالت : لأن عمر لا يفرض الا الفطم ، قال : وكيف له ؟ — يسأل عن عمر الصبى — قالت : كذا وكذا شهرا ، قال : ويحك ، لا تعجليه . فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلم قال : يا بؤسا لعمر ، كم قتل من أولاد المسلمين ، ثم أمر مناديا فنادى: ألا لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فأنا نفرض لكل مولود فى الاسلام .

ولم يكن عمر يفرق فى هذا العطاء بين المواليد الشرعيين واللقطاء ، لأنه كان « اذا أتى باللقيط فرض له مائة درهم ، وفرض له رزقا يأخذه وليه كل شهر بقدر ما يصلحه ، ثم ينقله من سنة الى سنة . وكان يوصى بهم خيرا ، ويجعل نفقتهم من بيت المال » وعلى هذا يمكننا القول بأن عناية عمر باللقطاء كانت أكبر من عنايته بالأولاد الشرعيين الذين يعيشون فى كنف آبائهم ورعايتهم ، أما اللقطاء فإن عمر ولى وأب لمن لا أب له . ومن البدهى أنه قد نص على أن اللقيط حر ، تجب معاملته كسائر الأحرار .
ثم ان الطفل اذا نما وأصبح صبيا زاد عمر عطاءه الى مائتى درهم . فاذا بلغ زاده الى خمسمائة أو ستمائة . وكان عمر يصدر فى هذا العطاء من الفكرة التى أعلنها فيما سبق وهى أن أموال بيت المال ملك لجميع الناس ، فلكل فيها حق يجب أن يصله بما يكفيه ويعف نفسه .

ولم يكن هذا الرجل العظيم يرى أن مسئوليته المالية إزاء الناس تنتهى بايصال عطائهم اليهم ، انما كان يرى أنه مسئول عن توجيههم الى صرف هذا العطاء فيما ينفعهم ، فكان يشغل نفسه بالتفكير فى مستقبل الناس بعده ، فكأنه لم يكتف بتأمين حاضرهم حتى شغل نفسه بتأمين مستقبلهم بعده ، يروى ابن سعد والبلاذرى أن خالد بن عرفطة العذرى قدم على عمر ، فسأله عما وراءه ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، تركت من ورائى يسألون الله أن يزيد فى عمرك من عمرهم ، ما وطىء أحد القادسية الا عطاؤه الفان أو خمس عشرة مائة ، وما من مولود يولد الا الحق على مائة وجريبين كل شهر ، ذكرا كان أو أنثى ، وما يبلغ لنا ذكر الا الحق على خمسمائة أو ستمائة . فاذا خرج هذا لاهل بيت منهم من يأكل الطعام ومنهم من لا يأكل الطعام ، فما ظنك به ؟ فانه لينفقه فيما ينبغى وفيما لا ينبغى .

قال عمر : فالله المستعان ، انما هو حقهم أعطوه ، وانا اسعد بأدائه اليهم منهم بأخذه ، فلا تحمدنى عليه ، فانه لو كان من مال الخطاب ما أعطيتموه ، ولكنى قد علمت أن فيه فضلا ، ولا ينبغى أن احبسه عنهم ، فلو انه اذا خرج عطاء أحد هؤلاء العريب ابتاع منه غنما ، فجعلها بسوادهم ، ثم اذا خرج العطاء الثانية ابتاع الراس فجعله فيها ، فانى — ويحك يا خالد بن عرفطة — أخاف عليكم أن يليكم بعدى ولاة لا يعد العطاء فى زمانهم مالا ، فاذا بقى أحد منهم او أحد من ولده كان لهم شىء قد اعتقدوه فيتكئون عليه . فان نصيحتى لك — وأنت عندى جالس — كنصيحتى لمن هو بأقصى ثغر من ثغور المسلمين وذلك لما طوقنى الله من أمرهم . قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات غاشا لرعيته لم يرح رائحة الجنة » .

وعلى ضوء هذا نستطيع أن نفهم ما روى من أن عمر كان فى سفر ، فلما كان قريبا من الروحاء ، سمع صوت راع فى جبل ، فحول الركاب اليه ، فلما دنا منه صاح : يا راعى الغنم ، فأجابه الراعى ، فقال له عمر : انى قد مررت بمكان هو اخصب من مكانك ، وان كل راع مسئول عن رعيته . ثم عدل صدور الركاب الى طريقه بعد أن أرشد الراعى الى المكان الاكثر خصبا . وفى كلمة واحدة كان عمر يرى أنه مسئول عن كل ما يصيب الانسان أو الحيوان داخل الدولة الاسلامية . أليس هو القائل : لو مات جمل ضياعا على شط الفرات لخشيت أن يسألنى الله عنه . فاذا كان عمر يعد نفسه مسئولا عن كفالة الطعام للحيوان حتى لا يموت ضياعا ، فان فرضه العطاء لجميع الناس كان نابعا عن تقديره لهذه المسئولية والتزامه بها .

وقد أسلفنا أن العطاء فى عهد عمر لم يقتصر على الاموال النقدية ، حيث يروى أنه أمر بجريب من طعام فعجن ، ثم خبز ، ثم برد بزيت ، ودعا ثلاثين رجلا فأكلوا منه غداءهم حتى شبعوا ، ثم فعل بالعشى مثل ذلك ، وقال : يكفى الرجل جريبان كل شهر فكان يرزق الناس ، الرجل والمرأة والمملوك جريبين كل شهر ، وقد سبق أنه جعل للاطفال مثل ذلك . فكان الرجل اذا اراد ان يدعو على صاحبه قال له : قطع الله عنك جريبك !

ويروى أبو عبيد وغيره أن عمر قال — وقد أخذ المدى بيد والقسط بيد ، وهما مكيالان عربيان — : انى قد فرضت لكل نفس مسلمة فى كل شهر مدى حنطة وقسطى خل وقسطى زيت . فقال رجل : والعبيد ؟ قال عمر : نعم ، والعبيد . ثم انه صعد المنبر فحمد الله ثم قال : انا أجرينا عليكم اعطياتكم وارزاقكم فى كل شهر — وفى يديه المدى والقسط — فحركها ، ثم قال : فمن انتقصهم فعل الله به كذا وكذا (ودعا عليه) . ومن ثم كان أبو الدرداء يقول « رب سنة راشدة مهدية قد سنها عمر فى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم منها المديان والقسطان »

لم يكتف عمر إذن بما فرضه للناس من أموال نقدية ، ففرض لكل منهم نصيبا من الخبز والزيت والخل يأخذه كل شهر ، لا فرق فى ذلك بين الرجل والمراة ، والحر والمملوك ، والكبير والصغير . ومن ثم لم يفرق عمر فى هذا العطاء بين البشر على أساس الوضع الاجتماعى من حيث الحرية والرق ، لانه كان يرى الرق وضعا اجتماعيا مؤقتا ، وأن حاجة المملوك المادية — من حيث هو انسان — لا فرق بينها وبين حاجة مالكه . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باطعام المملوك مما يطعم منه مالكه ، وفرض للارقاء من الغنيمة فى حياته . الا أن الوضع الاجتماعى الذى يقصد به الدوام والاستمرار ويؤثر فى حاجة الانسان المادية — كان له وزن عند عمر فى العطاء ، فقد كان يعطى المتزوج ضعف نصيب العزب لأن حاجته أكبر .

وتظهر عبقرية عمر وعظمته الانسانية النابعة من تفهمه العميق لروح الاسلام وتشريعه الذى يطبقه فى أنه لم يفرق بين العربى وغيره من الأجناس الاخرى فى العطاء أو غيره ومن ثم لم يعرف عمر التعصب للجنس أو اللون . وكان هذا منه اتباعا لروح

التشريع الاسلامى ونصوصه العامه والخاصة التى لا تميز بين الناس على أى أساس عنصرى ، ولا تعرف فكرة التعصب الجنسى ، ولا تقر سـيادة قومية معينة ، انما يتفاضل الناس فيها بتقوى الله وحدها ، يروى أبو عبيد أن عمر حين فرض للناس ساوى بين العرب والمـوالى ، ثم كتب الى أمراء الأجنـاد : « ومن أعتقتم من الحمراء فأسلموا فألحقوهم بمواليهم لهم ما لهم وعليهم وما عليهم . وان أحبـوا أن يكونوا قبيـلة وحدهم فاجعلوهـم أسـوتكم فى العطـاء والمعروف » . ولما قدم قوم على أحد ولاته فأعطى العرب وترك الموالى ، كتب اليه عمر : « أما بعد ، فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، الا سويت بينهم » .

ولم يفرق عمـر بين النـاس فى العطاء على أساس وضعهم الجغرافى ومكان اقامتهم ، ومن ثم لم يقتصر على المقيمين فى المدن والتجمعات الكبيرة وانما كتب أهل العوالى وعيـالهم وعمالهم ، ثم فرض لهم .

وقد كان الامر يصل بهذا الرجـل العظيم الى أن يحمـل بنفسه ديوان قبيلة خزاعة ، حتى ينزل به قديدا ، فيجتمع الناس عليه « فلا يغيب عنه امـرأة بكر ولا ثيب ، فيعطيهـن فى أيديهن ، ثم يروح فينزل عسـفان فيفعل مثل ذلك .. حتى توفى » .

وفى مثل هـذا المجتمـع لا يسرق السارق عن جوع ، انما عن اعتداء وظـلم كبير ، ولا يتاح للاضـطرار المادى أدنى مجال فى أن تبيع المرأة عرضها بالمال ، أو أن يموت الاطفال الذين لا عائل لهم ضياعا .

واذا كانت النزعة الانسانية العامة عنـد عمر ـــ فى تطبيقـه للتشريع الاسلامى ، لم تفرق فى العطاء بين الناس على أسـاس الجنس ، أو السن ، أو الرق ، أو الحـرية ، أو الوضع الجغرافى ـــ فهل فرقت بينهم على أساس العقيدة ؟

يروى أبو يوسف أن عمـر « مر بباب قوم وعليه سائل يسأل ، شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عضده من خلفه وقال : من أى أهل الكتاب أنت ؟ قال : يهودى . قال : فما ألجأك الى ما أرى ؟ قال : أسأل الجزية والحاجة والسن . فأخذ عمر بيده ، وذهب به الى منزله ، فرضخ له بشىء من المنزل ثم ارسل الى خازن بيت المال فقال : أنظر هـذا وضرباءه ، فواللـه ما انصفناه ان أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهـرم . انما الصـدقات للفقـراء والمساكين ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب . ووضع عنه الجـزية وعن ضربائه » .

ويروى البلاذرى أن عمر « مر عند مقدمة الجابية ـــ من أرض الشام ـــ بقوم مجذومين من النصارى ، فأمر أن يعطوا من الصدقات ، وان يجرى عليهم القوت » .

فعمر كان يرى أن الصدقات التى يزكى بها المسلمون ما لهم ينبغى أن تدفع فى مصارفها الخاصة كما ذكرها القرآن ، ومنها سهم المساكين . وقد كان يرى أن المسكين هو الذى لا يقدر على كسب ما يكفيـه ، لا فرق بين مسلم وغيره . أوليس انسـانا يستوى فى حاجاته المادية مع سائر الناس ؟ وكيف يكون عمر مسئولا عن موت جمل بشط الفرات ضياعا ، ولا يكون مسئولا عن انسان من رعيته ، أو ليس التشريع الاسلامى قد حصن على مطلق الانفاق على الناس بصرف النظر عن عقائدهم ؟

يروى أبو عبيد عن ابن عباس قال كان ناس لهم انسباء وقرابة من قريظة والنضير ، فكانوا يتقون أن يتصدقوا عليهـم ويريدونهم على الاسـلام ،

فنزلت آية (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشــاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقــوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) . وعن سعيد ابن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدق بصدقة على أهل بيت من اليهود فهى تجرى عليهم .

وقد تصدقت صفية زوجه (صلى الله عليه وسلم) على ذوى قرابة لها ، يهوديين ، فبلغت صـدقتها ثلاثين ألف درهم . وقــال ابن جريج فــى قوله تعالى : (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) « لم يكن الاسير يومئــذ الا من المشركين » . قال أبو عبيد : « يريد أن الله تبارك وتعــالى قد حمــد على اطعــــام المشركين » .

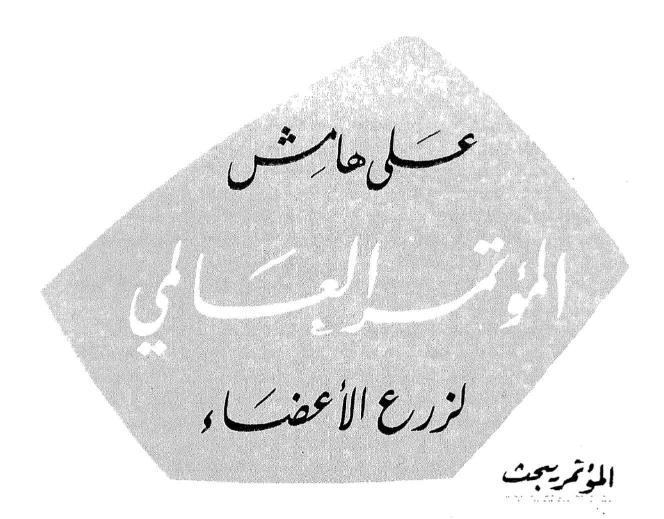
فعمر بن الخطاب فى فرضه العطاء المنتظم لغير المسـلمين من مواطنى الدولة الاسلامية انما كان يصدر عن أساس من أسس التشريع الاسلامى ومبدأ من مبادئه العامة ، وهو الانفاق المطلق . ولا بأس بعد ذلك الا نجــد نصا خاصا فى القرآن او السنة فى طريقة اجراء القوت عليهم وكتابتهم فى الديوان ، فانمــــا كان الديوان وتنظيم العطــاء من المستحدثات فى عهد عمر .

ويبدو من قصة عمر مع الشــيخ اليهودى أنه لم يكن يرى فى التسول مصدرا مشروعــا للكسب ، وكان ـــ فى موقفه هــذا ـــ يصــدر عن كراهية أصيلة فى التشريع الاسلامى للتسول ، باعتباره أمرا مهينا للكرامة البشرية . ولا يتســع المجــال هنا لتفصيل القول فى هذا .

. . .وبعد ، هــل بقيت فئة من الناس لم تلتزم الدولة الاسلامية فى خــلافة عمر بأرزاقها ؟ اللقطــاء ، والأرقاء ، والمواليــد ، والغلمان ، وأهل ذمة الله ورسوله من اليهــود والنصــارى ، وأهل العــوالى من الرجال والنساء . . بعد هذا كلــه نستطيع أن نقول ان الدولةالاسلامية عرفت فى خلافة عمر بن الخطاب نوعا من الكفالة والضمان والأمان والكفاية لم تعرفه البشرية فى غيرهــا حتى عصرنا الحاضر وبالقياس الى كل ما عرفته من نظم ودول .

يقول الدكتور طه حسين بحق عن هذا العصر : « فأما أن تكفل الدولة رزق المسلمين جميعا على هذا النحو فلسنا نعرفه فى التاريخ القديم ، وما أظن أن الحضارة الحديثة قد وفقت اليه . وكل ما وصلت اليه الحضارة الحديثة فى بعض البلاد ، وصلت اليه بآخرة ، انما هو التأمين الاجتمــاعى الذى تؤخذ نفقــاته من الناس لترد عليهم بعد ذلك ، حين يحتاجون فى بعض الامر الى العلاج حين يمرضون والى كفالة الحياة للشيوخ والضعفاء والعاجزين عن العمل لكسب القوت ، وتأمين العمال من أخطار العمــل ، وتأمين الذين يخدمون الدولة والهيئة الاجتماعية على رزقهــم حين تنقضى خدمتهم . فأما أن يكون لكل فرد من أفراد الأمة نصيب مقسوم من خزانة الدولة فشىء لم يعرف الا منذ عمر » .

ولا نظن ان احدا يستطيع أن يرمى الدكتور طه حسين بالتعصب العاطفى للاسلام وما يتصل به ، فقد كان هنا يصدر عن وثائق تاريخية ثابتة عرضنا فى الصفحات السابقة لشىء منها .



- شَرعيّة إعطاء أو بيع أحد الأعضاء الزوجية من إنسان حيّ إلى آخر
- شَرعيّة أخذ الأعضاء الفرديّة من إنسان ميّت إلى آخر حيّ
- ملكيّة الجثة بعد الموت .. وأهمية وصيّة المتوفّى

للدكتور : محمد حسن محمود سعيد

لا يزال العالم يعيش فى نشوة أثر انتصاره بتحقيق ذلك الحلم وهو الوصول الى القمر .. وقد كان الدكتور (دادا) أشهر جراحى القلب فى بلاده ومبتكر الصمام الأورطى الصناعى محقا عندما صرح فى احدى الصحف بقوله : **(إن اعظم ما حققه الانسان علميا فى هذا القرن ، هو الوصول الى القمر وزرع قلب شخص فى صدر شخص آخر)** . وأنا هنا لا أريد أن أبحث فى الوصول الى القمر فقد رأى العالم بأم عينيه ذلك واختصاصيو هذا الميدان احق منى بالحديث ، وأنا أود أن أطرق الموضوع الآخر وهو زرع القلب .

بصفتى طبيب أولا ، رأيت عن كثب بل وشاركت فى عمليات كثيرة وناجحة اجريت على الكلاب فى مستشفى الـ Conceqcion بمدريد .

وثانيا : اني كنت ممن أتيحت لهم الفرصة للمشاركة فى اول مؤتمر عالمى يمثل سبع عشرة دولة لا للبحث فى زرع القلب وحده ، بل فى زرع الأعضاء الاخرى الرئتين ، الكليتين ، الجهاز الهضمى ، العصبى ، وحتى الأعضاء التناسلية ، ولم يكن الحضور مقصورا على أساطين الطب في العالم كل فى اختصاصه بل حضره المشرعون ورجال القانون ، والاطباء الشرعيون ورجال الأديان ممثلة باختصاصيين عنها فى هذا الميدان .

تنظيم المؤتمر :

اما منظم المؤتمر باسم الحكومة الاسبانية فهو المركيز الدكتور مارتينيث Martinez الصهر الأوحد لرئيس الدولة الاسبانية فرانكو واول من قام بعملية زرع القلب فى اسبانيا . كان افتتاح المؤتمر بحضور رئيس الدولة الاسبانية وحضور كافة الوزراء ورجال الدولة ورؤساء الكنيسة . . وهذا ما يؤكد أهميته وخاصة اذا ألقينا نظرة على من حضره من المندوبين الرسميين ، والذين يزيدون على المائتين ، وأضعاف مضاعفة حضروا المؤتمر كمستمعين او مراقبين . وقد انشغلت الصحافة الاسبانية بكاملها طيلة تلك الأيام بنقل دقائق المؤتمر وقراراته ، وأنا فى هذا التقرير البسيط سأحاول تلخيص ما دار به والتأكيد على بعض النقاط التى اثارت اهتمامى كعربى مسلم وجعلتنى اكتب حول هذا المؤتمر .

الاختصاصات التى وجهت اليها الدعوة :

قسم المؤتمر الى الأقسام التالية :

اولا ــ قسم القلب وكان عدد الرسميين المدعوين اليه سبعة وعشرين على راسهم برنارد C . Barnard وقد حضر معه المريض الشرطى Smith الذى زرع له القلب وهو فى حالة جيدة وكذلك Houston Cooley وفشينسكى Vishneski من روسيا ، وروس Ross من لندن ودوبست Dubost من فرنسا ومريضه الذى زرع له القلب منذ أكثر من سنة الراهب Boulogne والدكتور Wade اليابانى وحتى ليفى من فلسطين المحتلة وغيرهم .

ثانيا ــ قسم الكليتين وكان عدد المندوبين الرسميين اربعة وعشرين على راسهم دوسيت Dausset الطبيب الفرنسى العالمى المختص بمعامل صنع Sueros التى تقاوم رفض الجسم للعضو المزروع والاسبانى المشهور رئيس نقابة أمراض الكليتين Hernando وكذلك الاسبانى الفارس Alferez و الفرنسى و Penn و Danielson الامريكيين وغيرهم .

ثالثا ــ قسم الرئتين وعدد الرسميين من المندوبين فيه عشرون على رأسهم Derom البلجيكى وفكرى اليكان الأمريكى من أصل تركى و Trapeznikov الروسى وغيرهم . .

رابعا ــ قسم الجهاز الهضمى بأنواعه المعدة والبنكرياس ، الامعاء ، الكبد ، فكانوا اثنين وعشرين ، على رأسهم Clane من لندن و Lillehil من نيويورك ومورينو Moreno و Banet الاسبانيين وغيرهم . .

خامسا — قسم Inmunology فكان عدد الرسميين واحدا وعشرين على رأسهم Parra الاسبانى و Van Bekkum الهولندى و Mathe الفرنسى و Rapaport الامريكى وغيرهم .

سادسا — أما قسم الأمراض العصبية وجراحتها وتخطيط المخ فكان على رأسهم الجراحان العالميان Schwab و Silverman. الامريكيان و Arfel الفرنسى و Obrador الاسبانى وغيرهم .

سابعا — أما قسم الطب الشرعى فكان عدد الرسميين ثمانية وعشرين على رأسهم Spann الالمانى Chivdi الايطالى Matera الارجنتينى و Gisbert الاسبانى وغيرهم .

ثامنا — قسم التشريع القانونى فكان عدد الممثلين اثنى عشر محلفا وقاضيا ومحاميا عينوا من قبل وزير العدلية لبحث أمور زرع الأعضاء واستنباط تشريع قانونى وحتى يؤخذ رأى الاديان فقد وجهت الدعوة الى ممثلين عنها ، فكان عن الكاثوليك مجموعة كبيرة من علماء اللاهوت عندهم على رأسهم Fuchs من روما والراهب الذى زرع له القلب من فرنسا و Cuyas و Higuera .. وغيرهم من اسقانيا وكذلك ممثلون عن الارثوذكس والبروتستانت .. وعن الديانة اليهودية حاخام مدريد الشاب المغربى الجنسية والذى كان والده وزيرا للبريد فى احدى الوزارات المغربية ، وهو على قدر كبير من النشاط والدهاء واسمه Garzon Serfaty والحاخام الأكبر لمدينة تل أبيب من فلسطين المحتلة بالذات وهو Rabinonritz

وأما عن المسلمين فعلى ما يظهر فالحكومة الاسبانية وجهت دعوة الى المغرب لارسال علماء يمثلون وجهة نظر الاسلام وقد حضر اثنان من أساتذة كلية الشريعة واصول الدين هناك .

تقسيم المؤتمر الى لجان واهمية اللجنة الدينية :

قسم المؤتمر الى لجان مختلفة حسب التقسيم الذى ذكرته بحيث ان كل لجنة تجتمع على انفراد .. لمناقشة الأمور المعروضة على بساط البحث لاصدار قرار بشأنها مع أن هنالك لجانا عدة كانت على اتصال فيما بينها فمثلا اللجنة الدينية كانت على اتصال مباشر بالطب الشرعى وبعض اللجان الأخرى .. وقد حدد يوم لاجتماع كل المؤتمرين وقراءة القرارات والنتائج النهائية التى توصلت اليها كل لجنة .

لقد كانت الأنظار وحب الاستطلاع متجها الى رجال الدين .. وخاصة لعامة الشعب الذى لا يفقه كثيرا من أمور الزرع المعقدة ، بل يهمه أن يعلم رأى الدين فى ذلك ، هذا اذا أخذنا بعين الاعتبار مقدار تدين الشعب الاسبانى وتقيده الى حد كبير بتعاليم الكنيسة ويكفى أن اذكر مثالا على ذلك أنه عندما أصدر البابا قراره ضد حبوب منع الحمل فقد اختفت من الأسواق والمعامل واصبح الحصول عليها من أصعب الأمور بعد أن كان شيئا عاديا .. وكذلك كان الاطباء فى شوق لمعرفة رأى الأديان حتى تكون لهم الحرية وراحة الضمير فى مثل هذه الأمور .

الاتصال بالمندوبين المسلمين والأسئلة المعروضة للبحث :

وعلي ضوء ما تقدم وبسبب الأهمية الكبرى لرأى الأديان كان لا بد لليوم السابق للاجتماع من الاتصال بالمندوبين المغاربة لمعرفة آرائهم حول المواضيع المعروضة للبحث وخاصة أنهم فى نظر المؤتمرين يمثلون الاسلام ، وان كان ما يقولونه سينشر حرفيا فى الصحافة ، ويلقى على المؤتمر ، ويترجم الى اللغات المختلفة ويحمله المؤتمرون الى بلادهم . وقد كانت دهشتى كبيرة عندما علمت أن احد الأخوة ابلغ بالتهيأ لحضور المؤتمر فى اليوم السابق على وصوله الى مدريد ، وبيومين أو ثلاثة من بدء المؤتمر ، وأما الآخر فلا أدرى الظروف الخاصة به .. هذا مع العلم أن الدعوة أرسلت منذ أكثر من شهرين على بدء المؤتمر كما أخبر منظموه . وان الاخوة وان كانوا على اطلاع كاف فيما يخص الشريعة الاسلامية ، الا أن هناك دقائق وأمورا طبية كان لا بد من دراستها ومعرفة ظروفها حتي يستطيع العالم المسلم قول كلمة الدين فيها .. ومؤتمر ماليزيا الذى عقد من مدة قد بحث امور زرع القلب بشكل مجمل ، ولكن ممثلى الأديان فى هذا المؤتمر كان عليهم أن يجيبوا على الأسئلة المذكورة ادناه ، وقد شاء الله أن أنضم الى الوفد المذكور لابداء الرأى وتوضيح الأمور الطبية والمناقشة والبحث ، وأما الأسئلة فهى كما يلى :

١ ـ شرعية اعطاء أو بيع احد الأعضاء الزوجية (الرئتين ، الكليتين) من انسان حى الى آخر .
٢ ـ شرعية أخذ الأعضاء الفردية (القلب ، الكبد) من انسان ميت الى آخر حى .
٣ ـ ملكية الجثة بعد الموت . واهمية وصية المتوفى اذا وجدت .
٤ ـ الموافقة أو عدمها على اعلان الموت من قبل المختصين من الأطباء .
٥ ـ احترام الآراء الدينية التى تخالف عملية الزرع .
٦ ـ امكانية الزرع جزئيا أو كليا للشخص الحى كعملية تجريبية أكثر منها علاجية .
٧ ـ كيفية معاملة الأشخاص الذين هم فى غيبوبة (Descerebrados) أى أن جهازهم العصبى المخ قد مات مع أن أجزاءهم الأخرى كالقلب والرئتين الخ لا زالت حية (وطبعا هؤلاء الأشخاص لا يؤمل شفاؤهم بسبب موت الجهاز العصبى المركزى) .
٨ ـ البحث بامكانية زرع المخ كليا أو جزئيا ، وكذلك بحث امكانية زرع المبيضين عند المراة او الخصيتين عند الرجل .

راى الأديان :

وقد بدأ ممثلو الديانات المختلفة بالقاء كلماتهم ويمكن تلخيصها فيما يلى :

اولا ـ المسيحيون واليهود سمحوا باعطاء احد الأعضاء الزوجية من انسان حى الى آخر حى دون تحفظ ، وبخصوص البيع فقد اعلن اليهود انهم يقرون ذلك وان عملية البيع فى حد ذاتها ليست مشكلة وانما هو شىء شخصى يهم البائع نفسه . واما المسيحيون فقد تضاربت آراؤهم ، ولكن الراى القائل بجواز البيع

قد رجح وان كانوا قد وضعوا بعض التحفظات ، ولا زلت اذكر ان احد علمائهم الكبار فى اللاهوت قال : ما يعطى يمكن أن يباع . وقد أخبر احدهم كذلك بانه اذا لم يسمح بالبيع العلنى ، فسيكون هناك بيع سرى كالسوق السوداء وقارن ذلك بالبلدان التى لا تسمح بافتتاح بيوت الدعارة ..

وأما رأينا نحن فقد كان صريحا واضحا وهو أن حياة الانسان ليست ملكا له وحده ، بل هى لله وملكا لمجتمعه ، فلا يجوز أن يتصرف بجسمه على هواه اذا كان فيه الحاق ضرر كبير .. وقد ضربنا مثالا على ذلك بالمنتحر الذى هو فى نظر الاسلام مخطىء يعاقب فى الدنيا وهو فى الآخرة فى النار .. وهكذا راينا ان تؤخذ هذه الاحتياطات بعين الاعتبار من قبل الطبيب عندما يسمح بنقل عضو زوجى من حى الى حى .

وأما عن البيع فقد أجبنا بأن جسم الانسان لا يقدر بثمن فى نظر الاسلام وأن هذا البيع هو أمر تشمئز منه الشريعة الاسلامية وتقاومه . وقد رددنا على الأب الذى طالب بالسماح له خوفا من السوق السوداء وتشبيهه ذلك بالسماح فى بعض الدول لافتتاح بيوت الدعارة .. بأن هذا قول مردود ، فالاسلام لا يقاوم الشر بالشر ، وخوفا من الزنا وانتشاره السرى لا يمكنه أن يقبل بافتتاح بيوت له ، لان ذلك محرم . وقد كان لرأينا الصريح بعدم جواز البيع ضجة كبيرة حيث أنه أيدنا أكثر من فى المؤتمر وأهم من دافع عن عدم جواز البيع هو الطبيب العالمى الفرنسى Dauset وزوجته حتى أنه طالب بتحريم بيع الدم واخبر انه ممنوع فى فرنسا ، وأن الاعطاء هو عملية اختيارية من الاشخاص الصحيحى الجسم وتحريم هذه العملية هو الاحتياط حتى لا يلحق الانسان الأذى بنفسه فى سبيل الحصول على منفعة مادية ، وأذكر أنه فى احدى الجلسات وعندما رفضت الجوانب الأخرى الأخذ برايه انسحب غاضبا ، وكان يود أن يترك المؤتمر ويغادر اسبانيا ، وقد أخبرنى أن أدافع بقوة عن رأينا بعدم البيع والا فان قرار السماح سيكون مأساة لها نتائجها الخطيرة .

وأما الاجابة على السؤال الثانى وهو السماح بنقل العضو الفردى من الميت الى الحى فقد اتفقت وجهات النظر على أنه جائز اذا تأكد بشكل قاطع بأن المنقول منه قد مات فعلا ، وهذا شىء من اختصاص الاطباء .. ولكننا أبدينا ملاحظة وهو أنه لا يكفى أن المنقول منه قد مات بل لا بد من التأكد بأن عملية الزرع للمريض هى الطريق الوحيد لعلاجه ويجب أخذ رايه فى ذلك ، وأن الذى يقوم بالعملية هو شخص اختصاصى قادر على عملها وله خبرة فى ذلك (قد تكون تجريبية فى الحيوانات) وأن تكون فى مكان مناسب ومجهز تجهيزا كافيا ، وقد أكدت قرارات اللجنة المختصة وجهة نظرنا .

أما الأمر الثالث وهو بخصوص الجثة فقد أعلن اليهود تقديس الجثة ، وانه لا يمكن أن تكون ملكا لأحد مع أنهم زادوا على ذلك أن بعض رجال الدين اليهود يسمح فى بعض الحالات بعكس ذلك على أن يطلب من أهله أو أقربائه . وكذلك المسيحيون اكدوا أن الجثة ليست ملكا لأحد وانه فى حالة وجود وصية من الميت يجب احترام وصيته وفى حالة عدم وجودها يمكن أخذ رأى العائلة او الأقرباء .

وأما رأينا فقد كان موافقا ، الا اننا زدنا على ذلك وهو انه يوجد فى الاسلام بالاضافة الى القرآن السنة ، الاجماع ، القياس والاجتهاد شىء يدعى بالمصالح المرسلة او الاستحسان ، وهو انه اذا كان هنالك أمر فيه مصلحة عامة

ولا يتعارض هذا الامر مع القرآن والسنة فيمكن اعتباره أمرا تشريعيا وبناء على ذلك فقد قلنا بأنه يمكن لولى أمر المسلمين أن يسمح بالتصرف فى الجثث اللازمة للبحث العلمى أو حتى لأخذ الاعضاء اللازمة وحفظها ، ثم استعمالها عند الضرورة لمصلحة الافراد ، وهذا ما يعمم عملية الزرع فى المستقبل فيجعلها ليست قاصرة على الطبقات الثرية ، وكذلك فى هذه الحالة يمكن مفاداة اعطاء أحد الاعضاء المزدوجة من الحى الى الحى وما يترتب عليها من أضرار وذلك لوفرة ما يؤخذ من الاعضاء فى حالة تطبيق هذا الامر .. وقد كان لهذا الرأى أهمية كبيرة وثورة فى عالم العلم اذ أن الديانات الاخرى لا تسمح بذلك .. وقد اثبتنا بأن الاسلام يرى أن المصلحة العامة هى المقدمة أولا .. وقد لاحظت أن الاخوة المغاربة احتجوا على ذلك ، ولما تناقشت فى جواز الامر اقتنعوا ، ولكنهم قالوا : لا يمكن أن نعطى هذا الامر الى فلان من الحكام أو زيد من الملوك . فقلت لهم : اننا هنا نناقش أولا أمرا دينيا محضا فاما فلان أو فلان فهو أمر يهمنا نحن ، وكثير من الأطباء المختصين أدركوا أهمية اصدار مثل هذا القرار ، وخاصة ان عملية الحفظ أصبحت الآن على مستوى رفيع .

واما بخصوص الامر الواقع فقد اتفقت وجهات نظر الأديان الاخرى ووجهة نظرنا بأن اعلان الوفاة هو أمر يخص الاطباء ، ولكن اليهود أكدوا انهم بالاضافة الى رأى الأطباء لا زالوا يتمسكون بانقطاع التنفس كأمر روحى بالنسبة لهم كما هو مذكور فى لاهوتهم (مع العلم بأن العلم الحديث لا يقر هذه النظرية) .

أما الأمر الخامس فقد اتفقت وجهات النظر باحترام الآراء الدينية التى تعارض عملية الزرع وعدم الزامهم بها .

أما الأمر السادس .. فقد كان هناك اختلاف متضارب فيما بين الديانات الأخرى حول القيام بعملية الزرع كحاجة تجريبية اكثر منها علاجية وقد أقر بعضهم ذلك . وكان رأينا قاطعا وهو أنه محرم حسب الاسلام بأن يكون هناك هدف آخر غير علاج المريض وشفائه ولا يهم ذلك اذا كانت نتيجة العملية ضئيلة او كبيرة .. المقصد الوحيد هو العلاج وهذا شيء يتعلق بضمير الطبيب الذى يقوم بالعملية .. وقد اختلفنا عنهم بذلك وأثبتنا انسانية الاسلام .

أما الأمر السابع .. وهو يتعلق بالطريقة التى يجب اتباعها للاشخاص الذين هم فى غيبوبة ولا يمكن شفاؤهم .. فقد عجبنا بأنهم قسموا هؤلاء الى قسمين — منهم من لا يحتاج الى أدوات أو آلات خاصة بل يستطيع التنفس والأكل والافراز وحده وهذا يعتبر انسانا له حق البقاء على هذه الأرض . وأما الآخر الذى يحتاج الى آلات للتنفس .. النبض — لاعطاء الطعام ... الخ

وانه لا يستطيع العيش بدونها فهو غير انسان (كما قال بعضهم) وأن الديانة المسيحية وعلى رأسها الكاثوليكية ليسوا ملزمين بالمحافظة على حياته .. وأما اليهود فقد أخبروا أن التلمود لا يسمح بأن يعيش الانسان الذى لا فائدة منه .. وقد احترنا نحن فى ابداء الرأى . فالشخص المذكور هو حقيقة ميت من الناحية العصبية وان كان حيا من الناحية الاخرى .. ولكن الواضح أن التقسيم هذا الى قسمين يحافظ على أحدهما ولا يلزم بالمحافظة على الاخر إذا كان أساسه الناحية الاقتصادية فقط ، اذ أن القسم الثانى يكلف أموالا باهظة ، وما داموا قد زجوا بالناحية المادية فى أمر دينى فقد أعلنا رأينا وهو أن الاسلام يطلب المحافظة

بكل الوسائل وبقدر الاستطاعة على حياة الانسان منذ ان تتكون النطفة ، اى منذ اتحاد البويضة مع الحيوان المنوى وحتى انتهاء حياته على الارض ، اى موت جميع اعضائه . . واننا نعتبر أن هذا المريض هو انســـان ولا يمكن تقسيمه الى قسمين ، وان الدولة فى الاسلام يجب أن تتولى المحافظة على حياته فى حـــالة عجز الافراد . . وقد كان لرأينا كذلك ضجة كبيرة وخاصة أمام الشعب حيث أنه ثبت له انسانية الاسلام . . واننى لا زلت اذكر أنه بعد انتهاء المؤتمر قمت بزيارة لاعب الكرة الاسبانى المشهور (Moisner) والذى يعيش فى غيبوبة منذ أكثر من ثلاث سنوات عن طريق الاجهزة والآلات ، وكان احد أفراد عائلته قد تابع المناقشة حول هذا الامر عندما مد يده الىّ وقال شكرا . . وقد أدرك بأن الديانات الاخرى لا تلتزم بالمحافظة على حياة قريبه وانه من الممكن الآن سحب احـــدى الآلات ليقضى نحبه حالا ، وقد أجبته (الشكر للاسلام) . . وأنا اقول بصراحـــة باننى لا زلت محتارا ، اذ أن هذا المريض حسب التعريف الحديث هو ميت ، لأن جهازه العصبى المركزى ليس به حياة فهل كان رأينا مطابقا للاسلام ؟؟ فمـــا قول علمائنا ؟.

وأخيرا فقد نوقشت امكانية زرع الاعضـــاء التناسلية والجهاز العصبى ، وخاصة المخ . . وقد حدثت مناقشات حادة وبعض المسيحيين سمحوا بذلك وقالوا ان هذه العملية لا حرج فيها ولا فرق بينها وبين زرع أعضاء أخرى . . وأما اليهود فقالوا بأن الأمر مبكر ولا يستطيعون البت بذلك ، وكان رأينا صريحا بأن هـــذه العمليات اذا كان من شأنها تغيير شخصية المرء كما هو الحال بزرع المخ (وطبعا هذا شيء نظرى لانه من المستحيل من الناحية العلمية) فهو ممنوع أصلاً وكذلك فان زرع الأعضاء التناسلية وخاصة المبيضين سيجعل الشخص المزروع فيه ينتج نسلا لا يمت اليه بصلة بل يمت الى الشخص المنقول منه اذا ان البويضـــات قد تكونت أصلا فى المبيض أثناء الجنين والخلايا التى تنتج الحيوانات المنوية كذلك وقد قارنا تلك العمليات بالتلقيح الصناعى وهو محرم فى الاسلام .

تميز الاســــــلام :

وقد تبين بعد المناقشات شموخ الاسلام وانفراده بشيئين اساسيين هو مسايرته للتقدم العلمى مع الاحتياط اللازم . . ووضع مصلحة المجتمـــع كحجر اساسى ثم انسانيته العظيمة التى لا ترقى اليها ولا يشوب مبادئها اى شرط مادى او منفعة خاصة . .

وكانت ردود الفعل هائلة من الشعب عامة ومن ممثلى الديانات الاخرى خاصة اذ انهم أصبحوا فى موقف حرج لانفراد الاسلام فى تلك الأمور واجاباتنا بشكل واضح صريح وصعوبة اجابتهم وعدم استطاعتهم استنباط احكام شرعية من كتبهم المقدسة التى تخلو من كثير من الامور . .

استنتاج وخلاصـــة :

ولا استطيع أن اذكر التطورات الاخرى للجان المختلفة لسعة المقال . .

ولكن الأهمية بالنسبة لى هو فى هذه النتائج التى استخلصها من هذا المؤتمر ليطلع عليها الأخوة فى بلادنا وهى :

١ ـ انه من الصعب أن تجد فى مثل هذه المؤتمرات العلمية اشخاصا من بلادنا ، وبالنسبة للمجال الطبى .. فهل خلت بلادنا من مثل هؤلاء .. لا أعتقد ذلك فهنالك لا شك اناس على جانب من الاهمية .. ولكنهم مع الاسف مغمورون لا يسمع بهم أحد انهم كالزهرة فى عرض الصحراء لا يشمها الا الأقوام الرحل .. وقد يسأل سائل هذا تحامل ، ان الاعداء يحاولون اخفاء معالمنا وعلمائنا ، وأنا اقول هذا ليس صحيحا كليا اننا فرضنا العزلة على انفسنا .. فكثير من جامعيينا قد درسوا فى الدول الخارجية ، ولكنهم اذا رجعوا الى البلاد استنهك قواهم جمع المـادة والترفع عن الشعب ، وحتى عدم مواصـلة البحث فهمهم العيش الرغيد . ولا شك أن الحكومات لها اثر كبير فى ذلك ، لقد سألت منظم الحفـل لماذا لم توجه دعوة الى بعض الأطباء فى البلدان العربية ؟ فقال لى : لمن .. هل تعرف أحدهم .. وقد سكت وطبعا قد أعرف ولكنى لم اقرأ على الاطلاق مقـالا واحدا لأحدهم فى مجلة أجنبية أطلعت عليها حتى الآن ، فاما أنهم لا يكتبون على الاطلاق ، واما أنها كتبت فى المجلات الاخرى التى لم يحالفنا الحظ بالاطلاع عليها .. والمجلات على استعداد أن تنشر الابحاث والأمور العلمية والحالات المرضية من اى مكان وما أكثر هذه الحالات فى بلادنا .. وأنا ألقى اللوم فى هـذا على نقابات الأطباء لعدم الاهتمام بمثل هذه الامور ، وأقترح أن يدخل بهذه النقابات اطباؤنا ممن يزاولون اختصاصهم فى أوروبا وأمريكا أو غيرهما ، وأن يكونوا على اتصال مع هذه النقابات لتبادل المجلات والمقالات وترجمتها ونشرها اذا لزم.

لا تمر اشهر عدة الا ونسمع أن هناك مؤتمرات فى بلادنا عمالية ، اشتراكية سياسية ... فلاحية .. بعضها عالمى والآخر محلى .. واما المؤتمرات العلمية فهى ضئيلة وكلها محلية للدول العربية .. فهل يا ترى نعجز عن اقامة مؤتمرات عالمية لأبحاث علمية محضة .. ان هذا ليس بالصعب كما يتصور البعض ، فاذا وجدت الدول التى تستطيع الانفاق وما أكثرها .. ووجد الرجال العلميون من مختلف الدول العربية وهم كثيرون كان بالامكان اقامة مثل هذه المؤتمرات .. وفى هذه الحالة تكون لجان ، ويتصل بطلابنا ممن يدرسون بالجامعات الاجنبيـة لاستشارتهم بشأن توجيه الدعوات واحضار اختصاصيين للقيام بهذا الامر .. واسبانيا مثال على ذلك فقد عقدت مؤتمرات سابقة كانت بدايتها سيئة ، ثم أخذت بالتحسن شيئا فشيئا كما أن حضور هذه المؤتمرات سيكون دعاية على جانب كبير من الأهميـة ، فالعـالم لا ينظر الينا الا من خلال السنتنا ، ولم ينظـر إلينـا بعد من خلال عقولنا .. وواحد من هذه المؤتمرات العلمية فى عصر القمر أفضل من عشرات من تلك العمالية أو السياسية التى سئمنا ومللنا من سماعها .

٣ ـ ان التعرف فى هذه المؤتمرات على علماء من البلدان الاخرى سـيفيد قضيتنا سياسيا دونما أن نحاول الجهد الجهيد فى اظهارها وذلك عـن طريق تكوين صداقات مع غيرنا وافهامهم قضيتنا والتقدم فى بلادنا ، ولا زلت اذكر أول مقابلة مع برنارد عندما علم أننى عربى مسلم من فلسطين ومقدار فرحه ، وكأنه وجد شيئا مجهولا بالنسبة اليه وقبوله دعوتى بكل سهولة واشتياق والتحـدث بأمور شتى .

٤ ــ ان حضور مؤتمرات فى الخارج يجب أن يسبقه الاستعداد ، ويجب ان يكون من يحضره على اطلاع كبير ، وبالنسبة لهذا المؤتمر فالمسؤولون المغاربة الذين تلقوا دعوة الحضور يتحملون مسؤولية الاهمال وعدم الاهتمام المناسب لابلاغها للمختصين بالامر بالوقت الكافى لدراسة الموضوع .. كما أن الاخوة عند تبليغهم هذا القرار كان عليهم التريث قبل السفر حتى يتسنى دراستهم للموضوع دراسة كافية ، فالعصر هو عصر العلم الذى يقوم على المعرفة والتجربة ، وليس العيب أن يتواضع المرء ويقول انى لا أعرف .. وانا اذكر أنه أثناء المناقشات اثيرت قضية دينية سئل عنها الراهب الذى أرسلته روما وهو Fushs عندما قال : (لا اعرف ما أجيبه الآن ، ولكن اذا أمهلتمونى أربعة وعشرين ساعة حتى افكر واراجع الكتب سأجيبكم ..) .

كما انه فى الاسلام ليس هنالك فرق بين الدين والنواحى الاخرى فى الحياة فالاحكام يعنيها مصلحة المجتمع والفرد ، وهذه المصلحة اذا كانت تخص الناحية الطبية مثلا فانه يقدر اهميتها الاطباء .. فعلى علماء المسلمين اذا حضروا اى مؤتمر فى اى اختصاص كان ، ان يأخذوا رأى ذوى الشأن ولا يستنكفوا عن أخذ تلك الآراء من هؤلاء بحجة انهم لم يتضلعوا فى الشريعة أو لم يحصلوا على شهادة من الأزهر أو الزيتونة مثلا .

٥ ــ عند حضور مثل هذه المؤتمرات ، فعلى المندوبين أن يدخلوا فى صميم الموضوع وما يسألوا عنه ، ومن المفضل أن يتفقوا قبل حضورهم على كل الامور ويكتبوا ذلك فى بيان مجمل حول النقاط التى ستثار فى البحث ويوزعوا هذا البيان على المؤتمرين ، واذا أرادوا تصريحات ، فمن الافضل أن تكون الأسئلة مكتوبة ، والأجوبة عليها كذلك . وهذا يسد على الصحفيين التأويلات ويسد عليهم كثرة الكلام وتضارب الآراء .. وقد وزع اليهود قبل القاء كلمتهم بيانا يوضح كل النقاط وكان خطابهم لا يزيد عن قراءة البيان .

٦ ــ ان من يحضر هذه المؤتمرات يجب أن يكون على علم تام بلغة أهل البلاد ، وشىء من نفسيتها وطباعها ، وأن لا يتنازلوا عن النقاط الرئيسية .. وأنا هنا أود أن اذكر انه رغم دفاعنا عن تلك الأمور التى ذكرتها واختلاف وجهة نظرنا عن الديانات الاخرى .. الا أن نتيجة القرارات النهائية كانت مخيبة للآمال بالنسبة لى ، فقد علمت بمكر الآخرين ودهائهم وعدم السماح لى بحضور الجلسة النهائية التى سيوقع فيها على القرارات بحجة أنى لست مندوبا رسميا فى اللجنة الدينية .. وقد أوصيت الاخوة أن ينتبهوا ، وأن يثابروا على ما أبديناه .. ولكن عندما قرئت القرارات على المجتمعين ونشرت بالصحافة كان هناك غير ما أبديناه فمثلا لم يذكروا أننا ضد عملية البيع للاعضاء من الحى الى الحى ، بل ذكروا بأن الديانات كلها تشمئز من البيع ، وتطالب بأن تتدخل السلطات فى حالة استغلال هذه العملية .. اى أننا اقررنا عملية البيع على أن لا يكون استغلالا . وبخصوص امكانية ولى الامر أو الدولة بأن تسمح بالتصرف بالجثث اللازمة اذا كانت فيهما مصلحة عامة ، ومع أننا قلنا أن هذا رأى وليس يلزم كل المسلمين .. الا انه عند ظهور القرار النهائى ذكروا هذا الرأى ، ولكنهم قالوا هناك رأى اسلامى معاكس لا يسمح بأى حال من الاحوال بالتصرف بالجثة .. وطبعا غاظهم أن ينفرد

الاسلام بذلك فوضعوا شرطا مقابله لابطال مفعوله . وبالنسبة للامر الذى يتعلق بعدم استعمال عمليـة الزرع كأمر تجريبى أكثر منه عـلاجى ، لم يذكروا راى الاسلام القاطع .. وكذلك لم يذكروا رأى الاسلام فى امكانية زرع الاعضـاء التناسلية .. وهذا ما جعلنى أعتقد بأن الأخوة لم يثابروا على تلك الامور ، إما عن حسن نيـة ، واما ارضاء لهم وفى تلك الحالات كان مناقضا لقولنا فمنـد خروج القرار كان هناك تساؤل من الطبيب الفرنسى ، لماذا هذا التنازل ؟ وقـد رايت من الواجب علىّ أن أعطى تصريحات أوضح لتلك الامور . ان من يحضر هذه المؤتمرات لا بد أن يكون داهية ويعرف مكر الآخرين ، وأن لا يتنازل قيد أنملة عما يعتقده أساسا .. وقد كان التنازل فقط من ممثلى الدين الاسـلامى ، ولم يتنازل أحد من أولئك .. لقد تذكرت موقف الرسول عليه السلام عندما جاءت قريش لتطلب منه فقط أن لا يسب آلهتها فقط ، ولكنه أبى . فقد كان ذلك تعارضا مع مبـادئه التى ينادى بها ولم يهتم بخصـومه ، مع أكثريتهم وكذلك ، فيجب الانتباه عند حضور هذه المؤتمرات من التلاعب بالالفاظ فقد أراد المؤتمرون فى البداية عند قولنا بجواز عملية الزرع أن يقولوا بأن التقدميين فى الاسلام هـم الذين يوافقون .. وقد أصررت كل الاصرار أن يحذفوا كلمة (التقدميين) وقد بينت بأنه ليس هناك فى الاسلام شىء اسمه تقدم أو محافظ أو رجعى ، بل هناك آراء واجتهادات والاسلام كله تقدم .

اليهـودية والصهيونيـة :

٧ ــ أما مسألة حضور اليهود مثل هذه المؤتمرات فان هناك مبادىء اساسية لا نتنازل عنها وهو اعتبار أن الدولة المحتلة لفلسطين غير شرعية ، فلا مفاوضات ولا صلح ولا سلام ، واذا كان هذا من الناحية السياسية فما موقفنا من المؤتمرات العلمية التى يحضرها اناس من هذه الدولة ؟ ان الشىء الذى نوده هو أن توجه الدعوة الينا وحدنا دون أن توجه اليهم ، ولكن اذا كان هذا يتحقق فى الدول العربية والاسلامية ، وبعض الدول الاسيوية والافريقية ، فان هذا مسـتحيل فى الدول الاخرى .. فاليهود يتمتعون بمركز مرموق فى عالم الاقتصاد والعلم فى العالم ، ولا يكاد يخلو مؤتمر ما من نفوذهم ، فهل نمتنع عن الحضور بحجـة وجودهم ؟ ان هذا ما خطر بفكرى فى البداية وجعلنى أستشير الاصدقاء من الاسبان ، وبعض الاخوة العرب . وأهم شىء التفكير بعيـدا عن العاطفة فى بلاد ليست عربية .. واستقر الراى على أن عدم الحضور هو عمل سلبى ، وهو افساح المجال لهؤلاء الأعداء بالضحك علينا للانسحاب ، وشرب نخب هزيمتنا وعدم قدرتنا على المجابهة .. فالعالم العلمى والثقافى بحاجة أن يعرف وجهـة نظرنا وهو يستمع الينا ، ويعطف علينا اذا أحسنا نقل تلك القضية اليـه .. ومحاولة بعض زعمائنا التفريق بين اليهود والصهيونية ، وبين يهود فلسطين ، واليهود الآخرين هو شىء جميل أمام العالم لاثبات أننا لسنا ضد اليهودية كدين ولكنه شىء خطير اذا حاولنا غرس هذا الراى فى بلادنا ، وخاصة لفدائيينا . فهذه التفرقة ستؤدى الى أن تخلق فى النفس مشاعر من الشك ، ونحن احوج ما نكون الى رجال حربيين مائة فى المائة على جانب عظيم من الحماس والتعصب

الأعمى الذى يتجاوز الحد ، وهــذا التعصب سيسد المنافذ التى قد يحــاولون التسلل منها . . وأنا أعلن هذا بصراحة بأنى طيلة وجودى بأوروبا واختــلاطى الكثير ، ومعرفتى الشخصية وسماعى واستنتاجاتى لم أجد يهوديا واحدا ليس صهيونيا ، أو على الأقل لا يعطف عليها وأولئك الذين هم فى بعض البلدان العربية ألسنتهم معنا لتحقيق مصالحهم ، ولكن قلوبهم وأعمالهم مع الصهيونية ، فكم من يهودى مغربى درس بمنحة من حكومة المغرب فى اسبانيا ، حتى اذا انهى دراسته سافر الى فلسطين المحتلة ، كذلك فان التفريق بين اليهود الذين يسكنون فلسطين وبين من يعيشون فى الخارج هو تفرقة لها نتائجها الخطيرة . . فمن يمد الدولة هذه بالسلاح والمال . . وكلنا يعلم بأن يهود أمريكا هم المسؤولون بالدرجة الاولى واذا كانوا لا يحملون جنسية الدولة اليهودية فى فلسطين ، ولا يعيشون هناك فهذا بالنسبة لهم أمر ثانوى . . ولا شك أن هناك أفرادا قلائل من اليهود قــد يعارضون الصهيونية ، ولكن كيف يمكننا التأكد من صحة قولهم والوثوق بهم ، انه على كل يهــودى أن يضــع علامة استفهام لأول مرة بأنه صهيونى حتى يثبت العكس .

انــا فلســطينى :

وقبل اختتامى لهذا الحديث ، أحب أن اذكر مشادة كلامية جرت بينى وبين الحاخام لفلسطين المحتلة عندما كان فى قاعة الفندق يتحــدث عن دولته وحبها للسلام ، حينها قلت له : هل تسمح لى بكلمة .؟ قال : تفضل ــ وهو يتحدث خليطا من الاسبانية والبرتغالية ــ .

قلت : من أين حضرت قبل ذهابك لفلسطين .

قال : انا أصلى من بولندا ، وقد عشت فى البرازيل . .

قلت : هل تدرى من أين انا بالضبط .؟

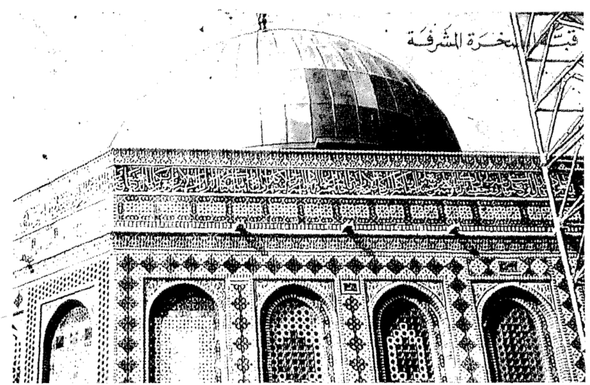
قال : لا أدرى . .

قلت له من فلسطين . . من حيفا أولا ، ومن نابلس ثانيا . . طردت مرتين ووجهت كلامى للحاضرين .

اليست مأساة ايها الاصدقاء أن يستطيع هــذا البولندى الذى قــد يكون اجداده قد اعتنقوا اليهودية من احد قريب . يستطيع هذا أن يرجع الى فلسطين معتمدا على حق مشكوك فيه بعد أربعة آلاف عام . . أما أنا الفلسطينى الذى لا أعرف وطنا غيره .

انا الفلسطينى لا أستطيع الرجــوع الى بيتى والتمتع بهــواء بلادى . . وتوجهت اليه وقلت له : هل تسمح لى حضرتك بأن تخبرنى من اضطهد اليهود ؟. اليســوا هم الأوربيين ؟. وأن اليهود لم يجدوا ملجأ الا الدول العربية ، وهل بلغت الحضارة اليهودية أوجها الا فى زمن الاسلام فى اسبانيــا ، وانه بعد خروجهم ماتوا فى محاكم التفتيش . . وهل تعلم أن الجاليات اليهودية فى البلدان العربية تتمتع بامتيازات ومعيشة أفضل منا .؟ وقد أجاب على ذلك بدهاء وقال : نعم . . ولكن حاول أن تقارن رجال العودة من الفلسطينيين باليهود الذين هاجروا من

البلدان العربيـــة . وقد رددت عليه امام الحاضرين أن هذا القول مغلوط ، ان هؤلاء هاجروا باختيارهم .. كما انهم لم يذهبـــوا الى فلسطين كمواطنين ، بل ذهبوا لاقامة دولة موجهين من قبل الصهيونية والاستعمار فى العالم .. كمـــا أخبرته بأن كون الفلسطينيين عرب لا يمنع من أن يتمتعوا بمقومات خاصة ومميزة تجعلهم شعبا قائما بذاته يحب الحرية والاستقلال وان كان جزءا من الأمة العربية وان هذا الشعب يرفض الاندماج أو التعـــويض للعيش فى البلدان العربيـــة ، وضربت له مثالا ، فقلت له : اننى أعيش هنا فى أسبانيا ، وقد أتيحت لى الفرصة للتمتع بالعيش الرغيـــد ، ولكن قلبى وأنظارى معلقة دائما فى حيفا ولا أرضى عنها بديلا .. فما بالك بأولئك الملايين المشردين الذين لا يملكون شيئا .. هل تعتقد بأنهم يرضون ببلادهم ثمنا .. وقلت له : الا تعترف بحق هؤلاء فى الرجوع لبلادهم ، أليس كفاحهم الآن كفاح حق وعدل ، فأجاب بلهجة داهية : نعم .. هذا صحيح . .ولكن نريد أن نجلس معا على مائدة واحدة لنبحث هـــذه الامور .. وأدركت ذلك الاصرار من طرف دولتهم بالجلوس معنا وذلك الوسواس الذى يؤرق حياتهم وانه رغم تلك الانتصارات العسكرية لم يتقدموا خطوة واحدة . فقلت له : كيف يمكن الجلوس معكم ؟. ان هـــذا يعنى أن نعترف بدولتكم التى قامت على جثثنا وأرواحنا ، يعنى أن نعترف للمجرم بجريمته .. ان هذا غير ممكن ، عليكم أن تسمحوا أولا للفلسطينيين بالعودة ، ثم بعد ذلك يعيش الجميع بما تسمح به البلاد بالاتساع وترجع تلك الارض مرة أخرى تحمل اسم فلسطين بدل اسرائيل . وقلت له موجها : أتستطيع أن تقول لحكومتك بأننا مصممون على العودة مهما كلف الامر ، وان حل القضية لا تحاولوا أن تبحثوه مع اى زعيم عربى فالحل يقرره شعب فلســـطين بأجمعه ، واذا أحببت فليكن ذلك باســـتفتاء عام بحضور ممثلين عن هيئة الامم المتحدة لترى أن هناك اجماعا على العودة ، ونحن الآن كتلة واحدة فى ساحة المعركة ، ولم يطل ذلك النقاش حيث انصرف الى شأنه .



تربية النفوس في الإسلام

للدكتور محمد محمد خليفة

واجه الاسلام وحشية الوثنيين فى مكة ، ثم واجه تنكر اليهود وغدرهم به فى المدينة ، وهم الذين كانوا يستفتحون به على الكفار (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) .

وقد أمر الله رسوله بتبليغ رسالته (يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) وتبليغ الرسالة فى مجتمعات الوثنيين المعاندين والكتابيين الذين حرفوا كلام الله من بعد ما عقلوه أحوج ما يكون الى قوة ، تحمى تلك الرسالة من التيارات المناوئة وتصون صاحبها والمؤمنين بها ، وتنشرها تحت ظلال السيوف اذا ركب الضلال رءوسهم .

والقوة المرجوة تحتاج اول ما تحتاج الى تربية النفوس واعدادها للمستقبل الذى يواجهها حتى لا يخوض الرسول صلى الله عليه وسلم أهوال ذلك المستقبل بنفوس تتطاير حين تواجه شرور الوثنية او اليهودية او عدوان المتشبثين بعروشهم وراء جزيرة العرب خوفا على تلك العروش من أن يقوض الاسلام سلطانها .

تربية الله للنبى وتربية النبى للمسلمين

أدب الله نبيه وصنعه على عينه منذ نشأ فى مكة فأدب النبى أمته وصنعها على عينه منذ بعث ، وقد حدثت عائشة رضوان الله عليها عن تربية الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم (القرآن) .

تلقاه من ربه فتأدب به وحمل نفسه على العمل به قبل ان يحمل غيره ، وبنى به نفسه قبل ان يبني به سواه ليكون في عمله لامته القدوة الصالحة والأسوة الحسنة .

أصاخ الى أمر الله : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » فكان خير مثل لامته في العفو عند القدرة حين قام على راسه احد الاعداء بالسيف في غفلة من أصحابه فقال له : من يمنعك مني ؟

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : الله

فسقط السيف من يد الرجل فالتقطه الرسول وقال للرجل : من يمنعك مني ؟

فقال الرجل : كن خير آخذ ، قال الرسول : قل أشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله ، فقال الرجل : لا . غير أني لا اقاتلك ولا أكون معك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى الرسول سبيله ، فعاد الرجل الى أصحابه فقال لهم :

جئتكم من عند خير الناس .

وقد أكمل الله بناء نبيه فكان أشجع الناس وأعدلهم وأسخاهم واصبرهم على الجوع والمكاره ، واشدهم تواضعا ، وأرحمهم بالفقراء والمساكين .

بل لقد اجتمعت فيه مكارم الاخلاق كلها فلو تجسمت فضيلة من الفضائل لكانت محمدا صلى الله عليه وسلم وبكل الاداب الاسلامية أدب أصحابه وبأخلاق القرآن بنى نفوسهم ففتحت أخلاقهم البلاد قبل أن تفتحها سيوفهم ودانت لاخلاقهم القلوب قبل ان تدين للرماح الاعناق وما اكثر الوصايا التي وصى بها الرسول وخلفاؤه القواد المحاربين بألا يقاتلوا الشيوخ والاطفال والنساء والضعفاء ، وإليكم الدعائم التي بنى عليها الرسول نفوس المسلمين :

١ ـ الايمان ..

كان الايمان من اعظم الركائز التي اعتمد عليها النبي صلى الله عليه وسلم في بناء الامة الديني والسياسي والحربي والاقتصادي والاجتماعي فكان المسلم بايمانه الكامل لبنة صلبة في بناء المجتمع الشامخ لا يزعزعه مروق من حدود الدين وآدابه ، ولا يهزه هوى سياسي ، ولا يقعده تواكل حربي ولا يغل يده عن البذل اضطراب اقتصادي ولايصم أذنه عن نداء مبدأ اجتماعي .

كان المسلم ايمانا عاملا في دنياه، متفاعلا مع الحياة يمطيها الجهد ، فلا تضن عليه بالخير ، ويجذبها الى ما يقربه من ربه فتستجيب بل تدين له ، عاش لمجتمعه ، فعاش به مجتمعه ، وبهذا الايمان شقت الامة الطريق بين الاشواك والادغال والبحار والجبال فدقت أبواب الهند والصين وفارس وما وراء فارس ، واستهانت الامة بالجهد بل بالموت في ذلك المنتأى لتشترى للاسلام هنالك الحياة ، وما اشتكى دعاتها في ذلك المنتأى اغترابا ولا نصبا بل حبب الايمان الى نفوسهم العمل الدائب في نشر دعوة الحق مخلصين لله صادقين في رفع كلمته .

فمالنا لا نعمل الا حيث نؤجر ، ولا نعطى الا حيث نأخذ ونشح بما وهبنا الله من علم لنبيعه لمن لا يصونه أو ينتفع به ونشيح بوجوهنا عن طلابه وربما أنتفع به أولئك ونفعوا ؟

أترانا فقدنا ايماننا او انكرنا اثره في الخلق والاصلاح أو أيأستنا من رسالتنا المجتمعات المنحلة فطوينا على اليأس والالم النفوس ؟

ان امتنا الاسلامية الكبيرة مازالت ترجو ايمانا هاديا يقودها الى الحق

فى دنيا التيارات المذهبية التى تلعب بعقول شبابها ، وما زالت ترجو ايمانا عاملا فى كل حقل من حقول مجتمعاتها التى يهددها الجدب الروحى بل انها لترجو ايمانا ثائرا يصرخ فى وجه الحاكم : ان الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن ، فردوا عن هذا الدين حماقات المأجورين ، وصونوا الاجيال مما يهدد العقائد (ولينصرن الله من ينصره) .

٢ ــ جهاد النفس :

ان أشق ما يعانيه الانسان جهاد نفسه التى بين جنبيه والتى تسول له الخطيئة ، وتزين له الشر حتى يقع بين حبائله ولا يستطيع كبح جماح النفس غير المؤمن الذى يحارب شيطان نفسه حتى يقهره .

وربما يكون جهاد العدو ايسر على المجاهد من جهاد نفسه وذلك ما عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لقوم قدموا من الجهاد (مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر) .

قالوا : وما الجهاد الاكبر يا رسول الله ؟

قال : جهاد النفس .

فلا يستقل بوصف المجاهد عند الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك الذى يصارع اعداء الله ، او الذى يسيل دمه فى سبيل الله ، او الذى يقضى حياته غازيا يفتح الآفاق لكلمة الله ، وانما المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله .

فاولئك الذين يتحكمون فى بشريتهم ليجردوها من الحيوانية الشرهة ، ويتساموا بها فوق البشرية الطينية ، وأولئك الذين يحملون نفوسهم على الخير ، ويحاربون فيها نوازع الشر .

وأولئك الذين لا تثنيهم متاعب الحياة عن عبادة الله ، كل أولئك وأمثالهم هم المجاهدون فى نظر رسول الله ، فجهاد شهوات النفس والبطن وجهاد ميولهما وثوراتهما جهاد اكبر .

وقد حدثت عائشة رضوان الله عليها عن جهاد البطن فقالت : ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا .

وحدثوا أن معاوية بعث الى السيدة عائشة فى خلافته بمائة وثمانين الف درهم فقسمتها بين الناس فلما أمست قالت لجاريتها : (هلمى فطورى) وكانت صائمة فجاءتها بخبز وزيت وقالت الجارية : ما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه ؟ فقالت : لو ذكرتينى لفعلت .

لقد نسيت عائشة نفسها وهى تقسم الاموال على الناس فلم تفكر فى فطورها وبين يديها أكوام المال حتى استنفدت عطية معاوية ، وكيف لا وهى بنت أبيها بنت أبى بكر الذى جاد بكل ماله لله ، فليتنا ننتفع فى دنيانا بأخلاق عائشة وامثال عائشة وليتنا نجاهد نفوسنا ونؤثر المحروم لنكسب حبه ونحقق بذلك دعامة من الدعائم التى بنى عليها الرسول امته .

٣ ــ الصبر :

ودعامة الصبر تتناول الصبر على الجوع ، والصبر على الايذاء والصبر على المكاره والصبر على المصائب والصبر على لقاء الاعداء والصبر على الطاعات .

وفى كل أنواع الصبر كان الرسول صلى الله عليه وسلم قمة الصابرين وانعكست طبيعته الصابرة على من حوله من المسلمين فكان لهم أسوة نعم الأسوة :

صبر على الجوع حتى شد الحجر على بطنه ، وصبرت أبياته على ذلك وصبر أصحابه فأكلوا أوراق الشجر

حين قاطعتهم قريش وعــزلتهم فى شعب بنى هاشـــم ليرغموهم على الرجوع عن دينهــم . ولكنهم آثروا الموت جوعا على عبادة الأحجار أو الأرباب كما كانوا يعتقدون .

وصبر الرسول على ايذاء قريش له حتى أخذوا بتلابيبه فى الحــرم وخنقوه ووقف أبو بكر بينهم وبينـــه يبكى ويقول : اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله .

وتأسى به فى الصبر على الايذاء بلال وعمار وياسر وسمية وغيرهم ممن صــبروا على العذاب وآثروا الشهادة فى سبيل الله بل ظفــرت سمية بالشهادة وهى تكوى بالنـــار وتهتف : لا اله الا الله محمد رسول الله .

وصبر محمد عليه الصلاة والسلام على غلمان الطـــائف وهم يقذفونه بالحجارة حتى ادموا عقبه حين راح يعرض على ثقيف أن تجيره من قريش فردته ثقيف وخرج فى اثره غلمانها يقذفونه بالحجارة ، فكان هذا الموقف درسا لفاطمة بنت الخطاب فىموقفها من عمر (قبل اسلامه) حين انكر عليها وعلى زوجها اسلامهما فحمل عليهما وضربها فشج رأسها وسال وهى صابرة لا تخشع لغلظة عمر بل تعلن فى اصرار اسلامها غير خائفة من بطشه .

وصبر الرسول صلى الله عليـــه وسلم على طاعة الله فكان يقـــوم أكثر ليله متعبدا ، وثبت عن حذيفة انه كان يقرأ فى الركعة الواحـــدة نفلا (البقرة والنساء وآل عمران) .

وصبر على المعارك فشجت رأسه فى أحـــد وسال فخضب لحيتـــه ، وصبر على البرد وهو يحرس موقعه من الخندق حين زحفت قـــريش وأحلافها على المدينة فحفر الخندق حولها ، وسهر كالجندى يحمى موقعه فلم ينم حتى وافاه صحابيان فطلبا منه أن ينام وان يقوما هما بحراســـة الموقع فاستجاب وأغفى اغفاءة ثـم رفع رأسه وقال للصحابيين : انصرفا فقد عصمنى الله من الناس حيث نزل جبريل بقوله تعـــالى : « والله يعصمك من الناس » .

ولقد حقق الصبر للمسلمين النصر فى معاركهم مع العرب وغيرهموكان من أعنفها معاركهم مع الفرس الذين كانوا يدفعون بالفيـــلة أمام جيوشهم لينفروا بها خيول المسلمين فكـــان المسلمون يترجلون عن خيـــولهم ويعترضون الفيلة برماحهم فيطعنونها ليزحزحوها عن أرض المعركة وتحت أقدام الفيلة كان يلقى طاعنوهـــا مصارعهم فى صبر وايمان .

وما أكثر قصص المجاهدين الذين صبروا فى المعارك واستهانوا بالموت طلبا للشهادة .

بل لقد بكى خالد بن الوليد سيف الله كما سماه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو على فراش الموت لان الله لم يكتب له الشهادة التى كان يتمناها وقـــال :

لقد شهدت مائة زحف أوزهاءها ومافى بدنى موضع شبر الا وفيـــه ضربة بسيف او رمية بسهم او طعنة برمح وهأنا أموت علـــى فراشى حتف أنفى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء) .

واثر عنه أنه كان يقول : ما كان فى الارض ليلة أحب الى من ليـــلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين اصبح بهم العدو) .

فما لنا لا نتخذ من سيرة الرسول وصحبه دروسا نربى عليها الاجيال لنعيد الى الوجود المعسكر الاسلامى كمعسكر له دينه واخلاقه وايمانـــه وصبره .

نموذج من دعاة الاصلاح في عصور الركود الفكري

- ٢ -

للشيخ محمد الصادق عرجون

فى المقال السابق عرضنا فى حديثنا عن الامام ابن تيمية فى جانب من جوانب حياته العريضة الخصبة ، وهو جانب الداعى الى الله تعالى — لونا من نهجه فى تفسير القرآن الكريم ، أدار فيه الكلام على لفظ (ربيون) من قوله تعالى (وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير) بعد أن أعطى مجمل الآية حقهـــا .

والمتأمل فى هذا التفسير يرى أن الامام ابن تيمية يجمع فى نهجه بين التفسير بالمنقول عن السلف ، والتفسير الذى يعتمـد على فهم المعنى من أوضاع الالفاظ واستعمالاتها فى اللغـــة ، وعلى سياق الآيات ، وأسـباب نزولها ، والاحداث المشابهة لها فى دلالاتها ، بل انه يذهب الى أوســع من ذلك ، الى أبعد مما يحتمله اللفظ فى مجرد وضعه اللغوى ، كما يلمح ذلك فى ادارته معنى المعية فى قوله (قاتل معه) حتى جعلها تشمل كل قتال على الدين، وكل قتل فى سبيله ، وجعل كل مجاهد فى سبيل الله من المؤمنين الى يـوم القيامة مقاتلا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، داخلا فى معية الآية .

فما اشتهر عنه من القول أنه يمنع التفسير بغير المأثور ، معناه — فيما يظهر لنا — أنه يحظر الهجوم على تفسير القرآن بمجرد الراى والهـوى ، اعتمادا على مجرد فهم المعنى من اللفظ بدلالته اللغوية تأييدا لمذهب أو فكرة ، او انتزاعا لرأى دون بحث عن نص مأثور ، أو ربط لألفـــاظ الآية بسياقها وسباقها ، ولكنه لا يمنع مع التقيد بالآثار إن وجدت أن يفتح الله على عبد من عباده العلماء المخلصين باب فهم يؤتيه اياه ، لم يكن مأثورا ، ولكنه من معين

الحكمة والفضل الالهى ، والاتجاهان موجودان فيما ثبت عنه من التفسير ، ويدل على ذلك ما رواه صاحب العقود الدرية من قول الامام (ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير ، ثم اسأل الله الفهم ، وأقول : يا معلم آدم وابراهيم علمنى ، وكنت اذهب الى المساجد المهجورة ونحوها ، وامرغ وجهى فى التراب واسأل الله تعالى ، واقول : يا معلم ابراهيم علمنى) .

وكان رحمه الله تعالى فى علوم العربية آية من آيات الله فى الاحاطة بفنونها ، وقد ذكر مترجمو حياته أنه وقع له مع أبى حيان المفسر النحوى صاحب كتاب البحر فى التفسير قصة تدل على سعة اطلاعه وطول باعه فى معرفة دخائل العربية .

وكان أبو حيان مفتونا بسيبويه امام العربية ، ينكر على من يغمزه بخطأ فى العربية ، وكان أبو حيان عارفا بفضل ابن تيمية يقدره ويعرف مكانته من العلم والمعرفة ، ولكنه سمع ابن تيمية مرة يخطىء سيبويه فى مسألة من كتابه ، فعظم ذلك على ابى حيان واشتد على ابن تيمية فى انكاره أن يكون سيبويه مخطئا ، مما حمل ابن تيمية على النظر فى كتاب سيبويه نظرات ناقدة، فاستخرج منه عدة مواضع كشف فيها عن خطأ سيبويه .

وحسب ابن تيمية حجة فى براعته اللغوية فصاحة اسلوبه فى المناقشة والجدل واملاء كتبه ورسائله وفتاويه ، وهى بالقدر الذى لم يذكر التاريخ أن أحدا خلف مثلها كيفا وكما .

وقد يكون غريبا ان يقف ابن تيمية للفلاسفة يناقشهم وينقض عليهم فلسفتهم بأسلوبهم ومنطقهم ، فقد تعرض لابن سينا وآرائه وناقش ابن رشد فيما ذهب اليه فى كتابه (فصل المقال) وغيره ، مناقشة الخبير بطرائقهم ، وفضح رسائل اخوان الصفا ، ونقد المتكلمين من جميع الفرق ، وفند آراءهم المخالفة لنهج الكتاب والسنة ، وانتقد ابا حامد الغزالى فى انحيازه الى الفلاسفة فى بعض المسائل ، وان كان يعترف له بأنه لم يكن يوافقهم فى كل ما يقولون ، وفى ذلك يقول ابن تيمية (كان أبو حامد مع ما يوجد فى كلامه من الرد على الفلاسفة وتكفيره لهم وتعظيمه النبوة ، ومع ما يوجد منه من أشياء حسنة بل عظيمة القدر نافعة يوجد فى بعض كلامه مادة فلسفية وأمور أضيعت توافق اصول الفلاسفة المخالفة للنبوة ، بل المخالفة لصريح العقل ، وينقل ابن تيمية عن أبى عبد الله المازرى ، وكان من اشد خصوم الغزالى قوله :

(ووجدت هذا الغزالى يعول على ابن سينا فى اكثر ما يشير اليه فى علوم الفلسفة حتى انه فى بعض الاحيان ينقل نص كلامه من غير تغيير واحيانا يغيره وينقله الى الشرعيات أكثر مما نقل ابن سينا لكونه أعلم بأسرار الشريعة منه ، فعلى ابن سينا ومؤلف رسائل اخوان الصفا عول الغزالى فى علم الفلسفة) .

ولابن تيمية موقف اسلامى عظيم مع الشيعة الرافضة والنصرانية الملحدة والباطنية الكافرة ابان فيه عن الحادهم وكشف كذبهم ، وجعل من كتابه (المنهاج) آية على أن هذه الطوائف الخبيثة التى ينتسب بعضها الى الاسلام زورا هى أعدى أعداء الاسلام ، ولم يقف معهم عند حد كشف باطلهم علميا ،

ولكنه أبان عن عوارهم السياسى وخبثهم فى دسائسهم ضد الاسلام والمسلمين، وانهم كانوا أعوان اعداء الاسلام من الصليبيين الحاقدين ومن التتار المتوحشين، وأن خبيثهم ابن العلقمى وزير الخلافة العباسية فى أيام احتضارها على يدى المستعصم هو الذى خان الاسلام والبلاد وفتح أبواب بغداد لهؤلاء الوحوش المغوليين حتى قضوا على الخلافة الاسلامية قضاء نهائيا ، بل قضوا على الفكر الاسلامى وآثاره من التراث العلمى التى عبثوا بها عبثا بغيضا ، منكرا ، وأعملوا سلاح الفتك بالعلماء يقتلونهم ويشردونهم ، ولو لم يقيض الله تعالى ملوك مصر وجندها بتحريض الامام المجاهد الصابر المحتسب ابن تيمية فردوهم عن بلاد الاسلام مدحورين لما بقى على الارض اثر للخير والهدى ولكن الله تعالى الذى أنزل كتابه المجيد هدى ورحمة للعالمين ، ورضى لعباده الاسلام دينا — القى فى روع الامام ابن تيمية أن ينفر الى سلطان مصر الناصر قلاوون بعد هزيمته امام التتـــار ، ولم يزل به يقوى عزيمته ويستنهض همته ، ويوقظ دعائم الايمان فى قلبه ، ويعده بنصر الله حتى شرح الله صدر هـــذا السلطان وجهز كتائبه وعاد الى الشـــام لملاقاة الوحوش التتارية ، فحاربهم حـــربا مريرة كان فيها ابن تيمية جنديا مجاهدا أو فارسا معلما ، يقف موقف الموت فى صدر أبطال الحملة الاسلامية ، وقد نصر الله جنـــده وهـــزم الباطـــــل وحزبه ، وعادت كلمة الاسلام مدوية فى الآفاق ، ولم تقم لدولة الباطل المتوحش قائمة بعد هذا النصر الاسلامى المؤزر الذى كان بطله الحقيقى هـــذا الامام العالم الذى رباه الاسلام بتعاليمه وأدبه فأحسن تربيته .

ولم يقف اثر هذا النصر عند حد الهزيمة للمتوحشين التتـــار ، ولكنـــه فتح أمامهم باب الهداية فدلفوا الى الاسلام يدخلون فيه أفواجـــا ، حتى أصبحوا من اهله وأنصاره ، واقاموا فى ظله المؤمن الموحـــد ، وهذا من عجيب صنع الله (يدخل من يشاء فى حمته والظالمين أعد لهم عذابا اليمـــا) .

كان من أشد المحن التى لقيها الامام ابن تيمية فى حياته موقفـــــه من (متصوفة) عصره فقـــد حاربوه بألسنتهم وأيديهم ، وأغروا به السفهاء حتى نالوا منه بأيديهم ، وهذا أقسى ما يلقاه داعية الى الله تعالى ، وقـــد كان الامام ابن تيمية كريما مع أعدائه الذين آذوه بألسنتهم وايديهم ، لانه كان يعيش للحق ، يرفع لواءه ، وينشره بين الناس ، وهو أعرف العارفين بما لقى سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم فى سبيل الدعوة الى الله ، ولم يكن يقابل اشـــد الايذاء من الســـفهاء الا بالتضرع الى الله أن يهـــدى قومه ، ويعتذر الى الله عنهم بأنهم لا يعلمون ، فكانت له برسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الاسوة ، ذكر بعض من ترجم له أن بعض محبيه ومقدرى فضله من عامة أهل مصر ارادوا أن يدافعوا عنه بمثل ما اوذى به فأبى عليهم أشد الاباء ، وقال لهم فى مدافعتهم عن مقابلة السفهاء بمثل عملهم : اما أن يكون الحق لى ، أو لكم ، أو لله ، فان كان الحق لى فهم فى حل منه ، وان كان الحق لكم فان لم تسمعوا منى فلم تستفتونى ؟ افعلوا ما شئتم ، وان كان الحق لله ، فالله يأخذ حقه ان شـــاء .

والمتصوفة الذين حاربهم ابن تيمية هم أرباب الشطح الذين فلســـفوا « التصوف » العملى ، وجعلوه مذهبا نظريا ، يشطحون فيه بما يخـــالف

شريعة الاسلام ، بل بما يناقض الشرائع الالهية كلها ، وينقضها من أساسها ، فقد جعل كثير منهم هجيراه الكلام فى وحدة الوجود ، وظهر من بعضهم كلمات شديدة لا تقبل التأويل ، وقد تبع ذلك شيوع الخرافات والاساطير ، وأغرق العامة فى الدعاوى الكاذبة والاباطيل ، تقال باسم الدين ، والدين منها برىء ، فشمر لهم ، وانكر عليهم أشد الانكار ، وجاهر بانكاره وتفنيد باطلهم ، وانتهض لمحاربتهم بالحجة والبرهان ، وكان شيوخ المتصوفة المعاصرون له الذين يتبطنون مذهب وحدة الوجود على صلة سياسية بالسلاطين ، يقودون لهم الشعب بزمام السيطرة القلبية والسلطان الروحى ، ولكن ابن تيمية لا يعرف المداهنة فى الحق ، فلم يسكت على هذا الباطل ، وناضل عن آرائه وعقيدته، وناظر شيوخهم فحجهم ، فعمدوا الى ايذائه ، وشكوه الى السلطان وافتروا عليه الكذب ، واختلقوا عليه الاقاويل ، فحبس وضيق عليه فى حبسه، ولكنه مضى فى سبيله قدما ، يجهر بكلمة الحق ، فتخرج من وراء أسوار سجنه داوية ، وكان يعلن عن تكفير كل من يذهب الى القول بوحدة الوجود ، أو القول بالحلول والاتحاد ، ويبدع كل من يخرج على السنة المطهرة فى عمل أو عبادة .

وقد اتصل ذلك بمسألة حساسة لدى جمهور المسلمين ، أثارها عليه هؤلاء المتصوفة ، وهى فتواه الحموية ، وقد امتحن امتحانا شديدا بما جاء فيها ، وكان اشد ذلك على قلوب الجمهور قوله بالمنع من زيارة الروضة المشرفة ، وشد الرحال لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقوله بعدم جواز الاستغاثة بأحد من المخلوقين ، نبى أو ولى ، وأن الاستغاثة حق لوحدانية الله تعالى المنفرد بتدبير ملكه ، ونفع العباد أو ضرهم كإحيائهم وإماتتهم ، ورزقهم .

وابن تيمية لا ينكر (الصوفية) بمعنى السلوك الخلقى ، والنهج العملى الذى يحقق تطبيق الحقائق الشرعية تطبيقا عمليا ، باخلاص العبادة والعمل لله تعالى سواء وضع تحت هذا العنوان أم لم يوضع تحته ، وقد بحث ابن تيمية فى لفظ (الصوفية) و (الصوفى) ومرد ذلك من اللغة والتاريخ ، فلم يجد له مساغا لغويا الا على أنه نسبة للصوف الذى كان أكثر واظهر لباس الزهاد فى الاسلام ، فعرفوا به تمدحا وقد جاء فى كلام الحسن البصرى الذى رواه عنه أبو نعيم فى الحلية : لقد ادركت سبعين بدريا اكثر لباسهم الصوف. ولم يظهر هذا اللقب كعنوان على طائفة مسلمة لها صفاتها وخصائصها ومعارفها ومصطلحاتها الا فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، أما قبل ذلك فلم يكن الا الزهد والتقلل من الدنيا ، واخلاص العبادة لله من قوم اعتزلوا المجتمع الى زوايا العبادة ، وتشددوا فى أخذ أنفسهم بهذا التشدد ، ويقول ابن تيمية فى فتاويه ــ وقد سئل عن التصوف ــ : أما لفظ « التصوف » فانه لم يكن مشهورا فى القرون الثلاثة وانما اشتهر التكلم به بعد ذلك ، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الائمة والشيوخ كالامام احمد بن حنبل وأبى سليمان الدارانى وغيرهما وقد روى عن سفيان الثورى أنه تكلم به وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري . ثم يقول ابن تيمية : أول ما ظهرت الصوفية فى البصرة وأول من بنى دويرة للصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد ، وعبد الواحد من أصحاب الحسن ، وكان فى البصرة من المبالغة فى الزهد والعبادة والخوف

من الله ونحو ذلك ما لم يكن فى سائر أهل الأمصار .. ولهذا غالب ما يحكى من المبالغة فى هذا الباب انما هو عن عباد أهل البصرة ، مثل حكاية من مات أو غشى عليه فى سماع القرآن ونحوه كقصة زرارة بن أوفى قاضى البصرة فانه قرأ فى صلاة الفجر (فاذا نقر فى الناقور) فخر ميتا .. فلما ظهر ذلك أنكره طائفة من الصحابة والتابعين .. والمنكرون يظنون أن ذلك تكلف وتصنع أو أنه بدعة لم يعرف من هدى الصحابة ...

ثم يقول ابن تيمية (والذى عليه جمهور العلماء ان الواحد من هؤلاء اذا كان مغلوبا عليه لم ينكر عليه وان كان حال الثابت أكمل منه ، ولهذا لما سئل الامام احمد عن هذا فقال : (قرىء القرآن على يحيى بن سعيد القطان فغشى عليه ولو قدر احد أن يدفع هذا عن نفسه لدفعه يحيى بن سعيد فما رايت اعقل منه) وقد نقل عن الشافعى أنه أصابه ذلك ، وعلى بن الفضيل بن عياض قصته مشهورة وبالجملة فهذا كثير ممن لا يستراب فى صدقه .. وقد يذم حال هؤلاء من فيه من قسوة القلوب والرين عليها والجفاء عن الدين ما هو مذموم ، وقد فعلوا ، ومنهم من يظن أن حالهم هذا أكمل الاحوال واتمها واعلاها ، وكلا طرفى هذه الامور ذميم) .

ثم قال الامام ابن تيمية : بل المراتب ثلاث :

« احداها » حال الظالم لنفسه الذى هو قاسى القلب ، لا يلين للسماع والذكر ، وهؤلاء فيهم شبه من اليهود ، قال الله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة) الآية ، وقال تعالى (الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) .

« الثانية » حال المؤمن التقى الذى فيه ضعف عن حمل ما يرد على قلبه، فهذا الذى يصعق صعق موت أو صعق غشى ، فان ذلك انما يكون لقوة الوارد وضعف القلب عن حمله .

« الثالثة » حال من لم يزل عقله مع انه حصل له من الايمان ما حصل لهم أو مثله أو أكمل منه ،فهو افضل منهم وهذه حال الصحابة رضوان الله عليهم .

ثم قال : والمقصود أن هذه الامور التى فيها زيادة فى العبادة والاحوال خرجت من البصرة ، وذلك لشدة الخوف من الله فان الذى يذكرونه من خوف عتبة الغلام وعطاء السلمى وامثالهما أمر عظيم ولا ريب ان حالهم أكمل وأفضل ممن لم يكن عنده من خشية الله ما قابلهم أو تفضل عليهم .

ثم قال : والتصوف عندهم له حقائق وأحوال معروفة .. وهم يسيرون بالصوفى الى معنى الصديق .. ولهذا ليس عندهم بعد الانبياء أفضل من الصوفى ، لكن هو فى الحقيقة نوع من الصديقين .. ثم قال : والصواب أنهم مجتهدون فى طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده ، وفيهم المقتصد الذى هو من أهل اليمين .. وقد انتسب اليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل

التصوف ليسوا منهم كالحلاج مثلا ، فان اكثر مشائخ الطريق انكروه واخرجوه عن الطريق مثل الجنيدين بن محمد سيد الطائفة وغيره ويقول ابن تيمية فى موضوع آخر : نعم للمؤمنين العارفين بالله المحبين له من مقامات القرب ومنازل اليقين مالا تكاد تحيط به العبارة ولا يعرفه حق المعرفة الا من أدركه وناله ، والرب رب ، والعبد عبد ، ليس فى ذاته شىء من مخلوقاته ولا فى مخلوقاته شىء من ذاته وليس أحد من أهل المعرفة بالله يعتقد حلول الرب تعالى بـه او بغيره من المخلوقات ، وان سمع شىء من ذلك منقـول عن بعض أكابر الشيوخ فكثير منه مكذوب اختلقه الأفاكون الاتحادية المباحية الذين اضـلهم الشيطان والحقهم بالطائفة النصرانية) .

ومن هذه التلخيصات التى قبسناها من نصوص كلام الامام ابن تيمية فى فتاويه وهى مطبوعة بين أيدى طالبيها يتبين ما يأتى :

أولا ــ انه كغيره حاول أن يرد لفظ « التصوف » و « المتصـوفة » و « الصوفى » و « الصوفية » الى أصل لغوى فى الاشتقاق والنسبة فلم يجد ما يمكن أن يكون أصـلا يرجع اليه هذا اللفظ رجوعا لغويا صحيحا سوى « الصـوف » ونقل عن بعض الاشـياخ أن « الصـوف » كان اللبـاس الغالب على أهل الزهادة المتشددين فى العبادة المعرضين عن الدنيـا وزخـارفها .

ثانيا ــ انه يرى أن هـذا اللفظ كان منذ القرن الأول يدور على ألسـنة بعض الاشـياخ من التابعين كالحسن البصرى وأصحابه مثل عبد الواحد بن زيد وتلاميذه ، ومثل سفيان الثورى ، وانه ظهر اكثر فى عهد تابع التابعين ، وذكر منهم الامام احمد وأبو سليمان الدارانى وغيرهما . ثم اشتهر اللفـظ وعرفت به طائفـة من العبـاد بعد القـرن الثالث ، واكثر ما كانـوا فى البصرة ، وكان يغلب عليهم الخوف واذا سمعوا القرآن أو الذكر أخذتهم غشية أو صعقة ، وذكر أمثلة لذلك أقرها ولم ينكرها .

ثالثا ــ انه يؤخذ من كلامه انه لا يرى ابقاء هذا اللفظ عنوانا على طائفة من العباد ، لانه لم يرد فى القرآن ولا فى السنة ، ولا عرف فى عهد الصحابة رضوان الله عليهم وأن المعنى الذى يدور عليه عند القائلين به هـو معنى الصديقين الذى ورد فى القرآن واليا لوصف النبوة فى ذكر طوائف أكمـل المؤمنين ولم يستفد من كلامه أن لفظ « الزهد » و « الزهاد » يمكن أن يؤديه لفظ « الصوفى » و « الصوفية » عند القائلين به .

رابعا ــ ان الامام ابن تيمية ذكر ان للتصوف مراتب واحـوالا ، وأن المخلصين من هذه الطائفة مجتهدون فى طاعة الله ، واذا جاء عنهم شىء لا يقبل ظاهره فى الشرع عذروا فيه بأنهم قالوه لغلبـة الوارد على قلوبهم وضعفها عن احتماله ، وأن الثابتين الذين لا يعتريهم من غلبة الوارد شىء يغطى عقولهم اكمل من أولئك الضعفى .

خامسا ــ ان الذين خرجوا بسلوكهم وأقاويلهم ممن ينتسب الى هـذه الطائفة الى تقرير امور تتعارض مع الاسلام وأحكامه فهم بدعيون مفارقـون للسنة ، وإما كفار فجرة إن كان ما يقولونه يناقض اصول الدين فى العقيـدة

كالقول بوحدة الوجود أو الحلول والاتحاد ، وشيوخ الطائفة صادقو الايمان كالجند واضرابه اخرجوا من ديوانهم من يذهب الى شيء من ذلك كالحلاج وأضرابه .

سادسا — ان الامام ابن تيمية لا يحكم احكاما عامة يذهب فيها الطيب مع الخبيث ، ولكنه يعدل فى احكامه ويتحرى ، ويعطى كل ذى حق حقه فيثنى على الذين عرفوا بالصحة والصدق فى ايمانهم وعباداتهم ويأخذ عليهم ما خالفوا فيه منبها على ضرره فى الدين ، وذلك كقوله فى الحكيم الترمزى أنه تغلب على كلامه الصحة والصدق ، ثم نقده نقدا شديدا فى وضعه كتاب (ختم الاولياء) وكقوله فى عدى بن مسافر انه كان رجلا صالحا ، وان اتباعه وضعوا على لسانه عقيدة لم تكن من وضعه وانها منقولة من كلام غيره ، وانهم وضعوا أسانيد للبس الخرقة الصوفية .

والخلاصة ان ابن تيمية فى علمه وفضله لا ينكر على المخلصين من شيوخ الصوفية حالهم ، ولكنه حارب فى متأخرى الطائفة الخروج الى الابتداع ، وحارب من انتسب اليهم من الزنادقة والمتفلسفة الذين أحالوا أصول الاسلام الى كفريات وحدة الوجود والحلول والاتحاد مما يقول به النصارى وسواهم من الوثنيين .

ويتجلى من كلام الامام حرصه على الوقوف فى اخلاص شديد مع الكتاب والسنة وما اثر عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرسوخ والثبات مع قوة الايمان .

هذا العرض الموجز لمكانة ابن تيمية العلمية ومعارفه وقيامه بموجب ما حباه الله من فضل هو المعلم الاول الذى يجب ان يتجلى فى نموذج افضل الدعاة الى الله تعالى ، وعلم ابن تيمية ومعارفه لا يمكن ان يصل أحد الى مكانه منهما الا اذا احاط درسا وبحثا بجميع ما أثر عنه فى مؤلفاته ومناظراته ورسائله ودون ذلك نفاد أعمار الافراد قبل الوصول الى تحقيق البحث فى مأثور العلم والمعرفة عن هذا الامام ، فقد بالغ قوم فى مؤلفاته وكثرتها مبالغة لو صحت لكانت ضربا من الاعجاز ، وحسب القادرين لمكانة العلم أن يبلغوا الغاية أو قريبا منها فى التفقه فيما عرف مطبوعا او مخطوطا متعالما دون شك من كتب ومؤلفات الامام ابن تيمية ، وكثير من مؤلفاته وفتاويه ورسائله لم يعثر عليه ، والذى عثر عليه لا تزال المطبعة منه فى منتصف الطريق .

وقد حاولت جاهدا أن يكون عرضى لموجز هذه المعلومات مستقى من مطالعاتى الشخصية لما امكن ان يقع تحت يدى فى الماضى والحاضر من مأثور هذا الامام ، ولا يزال الطريق طويلا يضىء للسالكين (وثانى) المعالم فى شخصية بن تيمية التى جعلته — فى نظرنا — نموذجا لأفضل الدعاة الى الله الذين يجب أن يقتدى بهم هو شجاعته الفائقة ، وجرأته فى الحق والجهر به ، لا يخاف وعيدا وترهيبا ، ولا يتلمظ الى وعد وترغيب وصبره واحتماله الأذى مما لم يعرف لاحد سوى افراد من ابطال الاسلام فقد عرف هذا الامام منذ أحس بالمسئولية الايمانية وواجباتها وهو لا يزال فى ميعة الشباب انه مسئول عن دينه وامته التى تخوض المحن والبلايا ، فلا بد أن يكون طليعة لها وقائدا دينيا يقودها الى طريق عودتها الى حقيقة اسلامها ، تلك الحقيقة التى اضلتها فى غمرة المحن والجهالات والاساطير والخرافات ، فدرس وبحث

وتعمق وتضلع ، ونهض ليقوم بالعبء وحيدا ، ولداته وأقرانه من حـــوله رضوا بالمقام فى دنياهم ، يدفعون عن أنفسهم شر المحن والبلايا سلبا ، وحسب الفاضلين منهم أن يحتلوا كراسى التدريس فى مدارس العـــلم المنتشرة فى عواصم الاسلام ، ولا عليهم أن يكون المجتمع على مستوى ما يدرسون له من علم ومعارف تبين حقائق الاسلام وشرائعه ، ولكن ابن تيمية أبى أن يكون شحنة يفرغ درسا فى المدارس والمساجد ، وانما رأى أن دينه يكلفـــــه تكليفا ويدفعه دفعـــا الى أن يطبق علمه على أعمال الناس ، ولا ســـيما فى عقيدتهم لان العقيدة هى الاساس لوزن كل عمل يصدر من المكلفين .

وقد نشاهد فى المجتمع أمورا أنكرها علمه ومعارفه ، فجاهر بانكاره ، واشتد فى دحض الاباطيل التى كان يراها منسوبة الى الاسلام ، والاسلام منها برىء ، واجتهد فى أمور ظهر له فيها من اجتهاده مخالفة من سبقه من الائمة ، فأعلن ذلك وجاهر به ، ولم يبال بصيحات المقلدين المتعصبين ولا بقعقعة العامة ولا ببطش الملوك والسلاطين ولم يتهيب الالقاب والسمعة ، ووقف مع اجتهاده يناضل عنه ويجادل الذين يجادلونه ، يقرع الحجة بالحجة ، ويـــرد الشبهة بالدليل مع ثبات جأش وقوة يقين ، لا يلين ، ولا يستكين ، وقد أتعب خصومه ، وكانوا من ذوى السمعة العلمية فى عصره ، وذوى السلطان فى الدولة ، فعقدوا له مجالس المناظرة فكان يحضرها وحده ، وكان خصـــومه كثرة فى العدد ، وقوة فى التناصر بمكانتهم فلما استيأسوا منه خلصوا نجيـــا يتآمرون عليه ، وكتبوا مرات يشكونه للسلطان ، فحبس وأطيل حبسه ، ولكن قلمه لم يحبس ، فكتب وأعلن عن آرائه ،،وأطلق من الحبس فعـــــاد الى الدرس ، واستشرى الخصام بينه وبين عديد الطوائف من فقهاء الى صـــوفية الى فلاسفة الى شيعة باطنية رافضة ، الى ملاحدة لا يؤمنون بالنبوة والرسالة ولكنهم ينتسبون الى الاسلام ، فلما عجزوا عن مناضلته آذوه وحرضوا عليه الغوغاء فنالوا منه بأيديهم ، وابى على أنصاره ومريديه أن يشتبكوا معهم لدفع عدوانهم ، وترجمته مليئة بالقصص والحوادث التى وقعت له بســـبب آرائه العلمية ، ولكنه خرج منها كلها أشجع ما يكون ونحن لم نتعرض لجـــوانبه السياسية والعسكرية التى كان يصول فيها ويجول دفاعا عن الاســــلام والمسلمين وفيها تجلت شجاعته بما لم يعرف فى التاريخ الا لقلة من أبطـــال الاسلام قادة وعلماء ومواقفه مسطورة فى تراجمه ، فليرجع اليها من شـــاء .

المعلم الثالث : من معالم الداعية فى شخصية الامام ابن تيمية التى جعلته نموذجا للداعى الى الله ، صفاء قلبه واخلاصه فى دعوته ، لقد كثر خصـــومه واشتد عليه منهم الاذى ، وبلغوا منه فى محنته كل مبلغ الا أن يسكتوه عن قولة الحق جهيرة مسموعة ، وكثيرا ما تمكن من رد عدوانهم عليه ، ولكنـــه تكرم ولم يؤذ أحدا منهم بل انه كان يدافع عنهم ويلتمس لهم الاعذار وقد كتب بذلك من مصر الى بعض أصدقائه بدمشق فقال : (تعلمون رضى الله عنكم انى لا احب أن يؤذى أحد من عموم المسلمين ، فضلا عن أصحابنا بشىء أصلا، لا ظاهرا ولا باطنا ، ولا عندى عتب على أحد منهم ، ولا لوم أصلا ، بل لهم عندى من الكرامة والاجلال والمحبة والتعظيم اضعاف ما كان ، كل بحســـبه ، ولا يخلو الرجل اما أن يكون مجتهدا مصيبا أو مخطئا ، أو مذنبا ، فالاول مأجور مشكور،

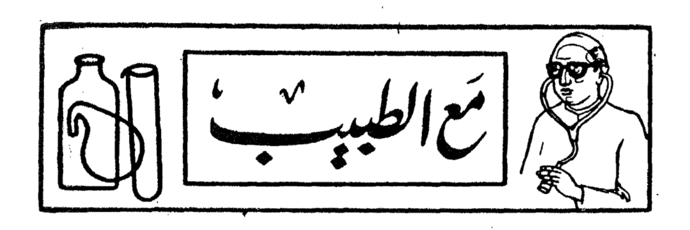
والثانى مع أجره على الاجتهاد معفو عنه ، والثالث فالله يغفر لنا وله ولسائر المؤمنين) ويقول ايضا : (لا أحب أن ينتصر من احد بسبب كذبه على ، أو ظلمه لى وعدوانه على ، فانى قداحللت كل مسلم ، وانا أحب الخير لكل المسلمين ، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أريده لنفسى ، والذين كذبوا وظلموا هم فى حل من جهتى) .

بل لقد سما ابن تيمية بنفسه لارفع المنازل ، فقد اراد السلطان الناصر بن قلاوون سلطان مصر ــ وكان صديقا للامام ، يعزه ويعظم مكانته ــ أن يأخذ له من أعدائه بعد أن عاد الى عرشه ، وكان قد سلب منه وانحاز بعض خصوم ابن تيمية الى أعداء الناصر ، فسأله عن العلماء والقضاة الذين آذوه ، فقال ابن تيمية : ان دماءهم حرام عليه ، وانه لا يحل انزال الاذى بهم ، فقال له السلطان : انهم قد آذوك وارادوا قتلك مرارا ، فقال له الامام : من آذانى فهو فى حل من جهتى ، ومن آذى الله ورسوله ، فالله ينتقم منه ، وانا لا انتصر لنفسى ، ثم قال للسلطان: انك اذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم .

وقد كان لهذا الموقف الكريم أثره فى نفوس هؤلاء القضاة والعلماء الذين ناصروا خصم السلطان عليه ، وتوقعوا قتلهم ، فلما نجوا قال ابن مخلوف قاضى المالكية بالديار المصرية ــ وكان أشد خصوم ابن تيمية عليه ــ ينطق على لسان سائر القضاة والعلماء من خصوم الامام : (ما رأينا مثل ابن تيمية، حرضنا عليه ، فلم نقدر ، وقدر علينا فصفح وحاج عنـــا) .

ولا شك أن هذا من أرفع ما عرف فى أخلاق الدعاة الى الله تعـــالى ، وهو خلق ربى عليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الطليعة من الرعيل الأول الذين سبقوا الى الاسلام ، واحتملوا الاذى فى سبيل عقيدتهم وايمانهم

المعلم الرابع ــ من معالم الامام ابن تيمية باعتباره نموذجا لافضل الدعاة الى الله تعالى : هو تجافيه عن الدنيا وتباعده عن طلبها تباعدا فرغ عقله وقلبه وجوارحه الى العلم والمعرفة ، والى العمل الايجابى فى تطبيقهما على أحوال المجتمع الاسلامى، فلم يعرف عنه أنه اشتغل بعمل من أعمال الدنيا ، ليكسب منه مالا ، أو يقتنى ضياعا ولا عرف عنه انه تولى عملا من أعمال الدولة ، يتقاضى عليه اجرا ، ولكنه أعطى حياته وجهده للدعوة الى الله تعالى ، من طـــريق العلم ، يقول صاحب الكواكب الدرية (ما خالط الناس فى بيع ولا شراء ، ولا معاملة ولا تجارة ، ولا مشاركة ولا مزارعة ولا عمارة ، ولا كان ناظرا لوقف او مباشرا لمـــال .. ولا كان مدخرا دينارا ولا درهما ، ولا طعاما ولا متاعا ، وانما كانت بضاعته مدة حياته وميراثه بعد وفاته ــ رضى الله عنه ــ العلم اقتداء بسيد المرسلين الذى قال (العلماء ورثة الأنبياء ، والأنبياء لم يورثوا دينـــارا ولا درهمـــا ، ولكن ورثوا العلم ، فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر) . والله ولى التوفيق .



بقلم طبيب

مر بالكويت حين من الدهر كان كل الاعتماد فيه على الدم المستورد . وكثيرا ما كانت تستهلك شحنة من الدم قبل أن تصل الشحنة التالية ، فتمر فترة من الحيرة والقلق ، وتترك المستشفيات كالجبهة المكشوفة ازاء كل حادث يحتاج فيه الى اجراء عملية نقل الدم ، ويروح الاطباء فى لهفة وعجلة يفتشون بين اقارب المرضى عمن يوافق دمه دم المريض أو المصاب ، بل ان من بين الاطباء ممن تطوع فعلا بدمه هو ليستنقذ حياة مريضه .

ولقد ظلت فكرة الاكتفاء الذاتى المحلى فيما يختص بالدم حبيسة الصدور فترة من الزمان . لأن الناس فى ظروف حياتهم اليومية كانوا فى شغل عن معرفة مدى الحاجة اليه . حتى مر بالكويت ظرف نحسبه لا يزال حيا فى ذاكرة كل مواطن ، وعرضت شدة كشفت عن روح البذل واصالة المعدن فى هذا الشعب .. ورب صفات وشمائل يسترها الرخاء ولا تبين عنها الا الشدائد . فلم يكد يشيع فى يوم من الايام منذ سنوات أن الكويت قد يضطر الى الدفاع عن الحدود والذود عن الحياض ، حتى سارع أهلوه لا الى حمل السلاح فحسب ، ولكن الى تلبية دعوة الجهات الصحية الى التبرع بالدم . وانشىء يومها فى المستشفى الاميرى بنك مؤقت للدم ، ازدحم بالمتبرعين من أبناء الكويت مواطنين وضيوفا ، واستبق الشيب والشباب ذكرانا واناثا الى التطوع بدمهم ، على نطاق دعا السلطات الصحية ان يصدروا نداء آخر يناشد المواطنين تأجيل التبرع بدمهم وحفظه فى عروقهم الى حين الحاجة اليه ، ومرت الأزمة بسلام والحمد لله .

ومرت الشدة وتركت وراءها حقيقتين . الحقيقة الاولى هى ان هذا الشعب لا تعوزه طاقة البذل وملكة العطاء كلما آنس أن الواجب يدعوه الى ذلك .

والحقيقة الثانية هي استبانة ان الحاجة الى التطوع بالدم ليست رهن شدة معينة او محنة طارئة ، بل ان حياة الكثيرين فى المستشفيات بالكويت فى كل ساعة من ليل او نهار وفي كل يوم من شدة او رخاء انما تتوقف على نقل الدم وعلى توفره فى اوان الحاجة اليه .

وكم من مصاب وكم من مريض وكم من والدة يدهمهم النزف فلا يحول بينهم وبين مصير الطير الذبيح الا أن ينصب في عروقهم دم بدلا من الدم الـذى نزفـوه ، فتستقيم الحياة وتنبض العروق مرة أخرى ويحدث الله من بعد عسر يسرا .

يحدث ذلك الآن وقبل الآن وفى كل آن . ويشهده كل مستشفى فى الكويت. ولهذا فان اقامة بنك للدم لم يجيء ترفا ولا بهرجا وانما صادف حاجة قائمة دائمة فى مجال حياة او موت .

واذا كان بنك الدم اليوم قد استوى عوده بما توفر لديه من المتطوعين ، فاننا نود ان ننوه لكل مواطن أن هؤلاء المتطوعين ليسوا طائفة بذاتها او صنفا خاصا من البشر . وأن الدعوة الى التطوع بشيء من الدم ليست دعوة خاصة لناس بذاتهم . بل هى دعوة عامة موجهة اليك كما هى موجهة الى غيرك . وهى دعوة حرية بأن يستجيب لها كل مؤمن بالخير ، وكل مؤمن بأنه ما استحق ان يولد من عاش لنفسه فقط ، وكل مؤمن بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وكل مؤمن بأن من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا .

ويخطيء من يظن بأن دعوته للتبرع بشيء من دمه هى دعوة الى تهلكة يلقى بيديه اليها ، أو الى شطط نود أن نحمله عليه . فأول خطوة يخطوها المتطوع هى أن يستوثق الطبيب بالفحص الطبى والتحليل المخبرى ، ان عملية بذل الدم لن يكون لها اى ضرر صغير أو كبير على المتطوع نفسه . لأن العرف الطبى المتفق عليه أن يضحى الرجل الكريم بشيء من دمه بشرط الا يضحى على الاطلاق بشيء من صحته قل أو كثر فى الحاضر أو فى المستقبل .

اما الخطوة التالية فهى ان يفحص المتطوع ويفحص دمه لضمان خلوه من اى مرض ينقله الى غيره .

ثم تعين بعد ذلك فصيلة دمه ، لأن دماء الناس تنتمى الى عدد من الفصائل ولا بد أن يكون الدم المحقون ودم المريض من فصيلة واحدة حتى لا تحدث مضاعفات قد تؤدى الى أوخم العواقب .

ثم يجمع الدم بطريقة معقمة ويحفظ تحت ظروف خاصة فى بنك الدم ، حتى يجد طريقه الى المحتاجين اليه حاملا اليهم الحياة .. وحاملا اليهم اهم من ذلك دليل صحة هده الحياة .. وهو أن الناس بخير لا نقول ما عاشـوا فحسب ، ولكن نقول ان الناس بخير ما تراحموا . وصدق من قالها .

والخلاصة اذن أن فى الكويتبنك دم . وانه بحاجة الى تدعيم مستمر ، وانه فى رسالته السامية الصامتة يطرق كل اذن بقول الله تعالى « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا » ..

فمنذا الذى لا يجيب ؟! ..

طبيب

من القصص الإسلامي





للأستاذ : حسين الطوخى

● انقضت خلافة ابى العباس عبد الله ــ السفاح اول خلفاء بنى العباس بما حفلت من خير وشر ، بوفاته فى شهر ذى الحجة من العــــام السادس والثلاثين بعد المائة الاولى للهجرة .

لم يكن هناك من أمر كان يشغل بال ((عبد الله السفاح)) طوال سنوات خلافته التى لم تدم غير أربعة أعوام ، الا مطاردة فلول بنى أميـــة فى شرق البلاد وغربها والقضاء على عصبيتهم ، ومصادرة أموالهم وضياعهم ، وتقويض نفوذهم بالرغم من أنها كانت خلافة عربية خالصة لم تمتزج دماؤها بدم غــير عــــربى نقى وأصــيل .

ولقد عــانى المسلمون الاهــوال والويلات فى اخريات أيام الدولــة الأموية وأوائل أيام الدولة العباسية ، فذلك سمة كل حكم تؤذن شمسه بالمغيب ليطلع من بعدها نــور فجــر جديد يحمل فى غلائل ضــــوئه تباشير تغيير شامل وملامح تبديل هــائل .

ثم يبايع ((أبو جعفر المنصور)) بخلافة المسلمين بعد موت اخيه السفاح ، وتنقضى أيام خلافته لينة على المسلمين ، ويرونه يتجاوز عن كثير من سيئات خصماء البيت العباسى ليكسبهم الى جانبه ويفيد من تجــاربهم وقدراتهم ، ويرونه كذلك يلتفت الى الجبهة الداخلية ليتحسس مواضع الصدع فى كيان الامبراطورية الاسلامية ، فيرأب خللها ، ويقوم معوجها ، حتى استقامت له امور العباد فى شتى الامصار والبلاد .

والحق الذى لا خلاف عليه أن ((**المنصــور**)) يعد المؤسس الحقيقى لدولة بنى العباس ، فقد ظل طوال خلافته التى امتدت اثنتين وعشرين سنة ، يرسى قواعد حكم رشيد بعد مغيب دولة استنامت فى أواخــر أيامها الى أحـــلام الترف ونعيم الحياة الزائف ، وأدارت ظهرها لما أمر به الدين الحنيف .. خير دين أنزل للناس .

ويوم أن اعتلى الخلافة ((**محمد المهدى**)) ولد المنصور ، كان ملك الدولة العباسية قد قويت دعائمه ، واشتد عوده ، فاستقرت أمور الدولة ، وهدأت من حولها الثائرات ، وامتد سلطان المسلمين حتى بات يتاخم حدود الصـــين شرقا وينفسح غربا حتى يلامس شطآن أسبانيا .

افتتح المهدى خلافته بالترفيه عن الناس بعد أن زالت ضرورات الشدة التى مارسها عمه السفاح وأبوه المنصور ، فأمر باطلاق من كان فى الحبس على أيام أبيـــه الا من كان معروفا بالسعى فى الارض فسادا وبين النـــاس تضـــليلا .

كان الرخـــاء ويسر العيش قد عم « بـــغـــداد » عاصمة العباسيين ، وانتقل منها الى جميع أقاليم الامبراطورية الاسلامية الشاســـــعة ، وكانت الاموال وخيرات الارض والبحر تتدفق عليها مدرارا من شرق ومن غـــرب ، ولم تكن هناك ايامئذ قيود مفروضة على الناس حين يغدون أو يروحون الا من كان يسعى فى الارض فسادا .

كذلك كان « المهـــدى » يجلس بنفسه للمظالم ليستمع الى الشـــاكى والى المشكو فى حقه وهما يقفان بين يديه على قدم سواء ، ثم يصدر حكمه بمعاونة قضاته وفقهاء الدين ليأخذ كل ذى حق حقه بالعدل والقسط .

ويوم أن بلغه تدخل عماله وقبولهم الرشا لتقديم هذا النفر واقصـــاء ذلك النفـــر من الشـاكين ، اتخذ قاعة لها شباك من حديد على الطريق العام تطرح فيه شكايات الناس مكتوبة ، ويدخل الخليفة وحده الى هذه القاعــة ، فيأخـــذ ما يقع بيده أولا فأولا وينظر فيه دون أن يقدم بعضها على بعض .

لم يكن يحكم على احد من الناس أيام المهدى بالحبس أو بأية عقـــوبة دون حجة دامغة ودلائل ثابتة . كما كانت عيون الخليفة وآذانه تتعقب المفسدين فى الارض ومن يسيئون استخدام ما بأيديهم من مركز وسلطان ، فيمسك بهم ويحاسبهم بالقسط ويقمع ظلمهم ويرد الحق لصاحبه دون التفات لوشيجـــة قربى ومصاهرة ، او أواصر صداقة ومسامرة .

ولم تكن فى بغداد او فى غيرها من عواصم الامصار الاســـلامية أيام الخليفة المهدى ضوائق عيش او أزمات تأخذ بتلابيب الناس وتمسك بخناقهم . ولم تكن هناك اسواق سوداء للغذاء والمأوى والكساء ، انما كانت ضرورات

الانسان مكفولة وحاجاته ميسورة وهى بعد موفورة للجميع وفقا لخطط مرسومة ونظـم محتومـة .

كان الخليفة « المهـدى » يستمد سعادة أيامه من سعادة المحكومين ، وكان يحس برخـاء الحياة ورغـد العيش من خلال ما ينعم به المسلمون من

رخـاء حياتهم ورغـد عيشهم ، فلا يستكبر ولا يستعلى ، ولا يكل امـور العباد الا لمن يثق فى طهارة ضميره وخشيته من الله ، وكان يسأل عن صغير الامور قبل كبيرها ، ولا يفتأ يذكر نفسه آنـاء الليل واطراف النهار بأن معظم النـار من مستصغر الشرر .

لكن « المهـدى » مع كل ما كان يشعر به من غبطة وسعادة كان يحس كذلك بوخز يؤلمه ويؤرقه بالليل وبالنهار .

انها ولاية ((**خراسـان**)) التى يأتيه بريدها بأنها تشق عصـا الطـاعة وتوشك ان تنقض بيعتها بخلافته وتطرد عمال الخلافة وتلتوى بمـا عليها من الخراج وتمتنع عن ادائه .

ويحدث « المهـدى » نفسه فى اخريات الليل وقد استبد به الارق والحزن:
— ترى هل اغتر اهل خـراسان بحلمى ، ووثقوا بعفوى ، فكسروا الخراج ، وطردوا عمال الخلافة وسألوا ما ليس لهم من الحق ؟

والحـق انه شـاع واثر عن المهـدى انه كان حليما بأهل خراسـان غاية الحلم ، واحتمل عنتهم ودالتهم ، واقال عثرتهم مرة تلو مرة ، واغتفر زلتهم تطولا بالفضل واتساعا بالعفو واخذا بالحجة ورفقا بالسياسة .
وتعاود الخليفة المهـدى احزانه وهمومه فى ليلة اخرى ويحدث نفسه من جديد : قد يكون لهم بعض العذر فيما يشتطون فيه ، فخراسان قد حملت لواء الدعوة لخلافة بنى العباس بقيادة ((**أبى مسلم الخراسانى**)) وقد قتل بتدبير من ابيه « المنصور » بعد أن ركبه الكبر والاستعلاء فظل اهلها يضمرون السوء حتى انتهت خلافة المنصور ثم طمعوا فى حلم المهدى فأرادوا ان يثأروا لمقتـل عميدهم بنكث البيعـة وطرد عمال الخلافة والامتناع عن أداء الخراج .

لكن المهدى يقهر احزانه ، ويطرد همومه وراء ظهـره ، ويهب كالليث الغضوب لمـا تبين له خطورة ما انتوى عليه اهل خراسان ، سرعان ما تبخرت من قلبه هوادته وانزاح عن نفسه اغضاؤه ومداهنته ، اثرة للحـق وقيـاما بالعدل واخذا بالحـزم .

والخليفـة المهـدى مع ما يملك من سـلطان وقوة ونفوذ ، لم يحب يوما ان يكون مستبدا برايه ، متفردا بالحكم على الامور ، انما الذى يحبـه المهـدى ، انه يدعو الى مجلس كبير يضم مستشاريه ونصحائه ، وفيهم نفر

من لحمته ووزرائه ، ليعلمهم الحال ويستنصحهم ما فيه صالح الرعيـــة وصوالح المســــلمين .

وينعقد المجلس الكبير ذات ليلة من العام الواحد والاربعين بعـــد المائة للهجرة بقصر الرصـــافة فى بغداد ويتذكر المهـــدى قول الرسول العظيم :

(لا نـــدم من استشـــار ولا خـــاب من اســـتخار) .
ثم يبعث المهـــدى الى ولديه ((**موسى الهادى**)) و ((**هارون الرشيد**)) ليحضرا مجلسه وليشاركا بالرأى ، وامر ((**محمد بن الليث**)) بحفظ مراجعـــة كل من يتحدث فى المجلس واثبات مقالاتهم فى كتاب يرجع اليه عند الحاجة .

افتتح المهـــدى الكلام فى المجلس الكبير بقوله :
ان المشاورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة لا يهلك عليهما راى ولا يفل معهما حـــزم فأشيروا برايكم ، وقولوا بما يحضركم فانى من ورائـــكم وتوفيق الله من وراء ذلك .

قال الربيع بن يونس حاجب الخلافة بعد أن حمد الله واثنى عليه :
ايهـــا المهـــدى : ان تصاريف وجوه الراى كثيرة ، وان الاشـــارة ببعض معاريض القول يسيرة ، ولكن « خراسان » أرض بعيدة المسافة ، متراخيـــة الشقة ، متفاوتة السبل ، ولكن الرأى لك ايها المهـــدى ــ وفقك الله ــ ان تصرف احالة النظر وتقليب الفكر فيما جمعتنا له واستشرتنا فيه من التدبـــير لحربهم والحيل فى أمرهم ، الى الطلب لرجل ذى دين فاضل وعقل كامـــل وورع واسع ليس موصوفا بهوى فى سواك ، ولا متهما فى اثرة عليك ، ثم تسند اليه أمورهم ، وتفوض اليه حربهم ، وتأمره فى عهدك ووصيتك اياه بلزوم امرك ما لزمه الحزم ، وان يواثب أمرهم من قريب ، ويسقط عنه ما يأتى من بعيد .

وسكت الربيع بن يونس بعد أن فرغ من ابداء مشورته ، فأشـــار الخليفة الى الفضل بن العباس ليدلى برأيه فقال الفضل :

أيها المهـــدى ان ولى الامور وسائس الحروب ربما نحى جنوده وفـــرق أمواله فى غير ما ضيق أمر حزبه ، ولا ضغطة حال اضطرته ، فيقعـــد عند الحاجة اليها وبعد التفرقة لها عديما منها ، فاقدا لها ، لا يثق بقوة ، ولا يصول بعدة ، ولا يفزع الى ثقة . فالراى لك ايها المهـــدى ــ وفقك الله ــ ان تعفى خزائنك من الانفاق للأموال ، وجنودك من مكابدة الاسفار ، ومقارعـــة الاخطار ، وتغوير القتال ، ولا تسرع للقوم فى الاجابة الى ما يطلبون ، والاعطاء لـــا يسألون ، فيفسد عليك ادبهم ، وتجرىء من رعيتك غيرهم ، ولكن اغـــزهم بالحيلة ، وقاتلهم بالمكيدة ، وصارعهم باللين ، وخاتلهم بالرفق ، وابـــرق لهم بالقول ، وارعد نحوهم بالفعل ، وابعث البعوث ، وجنـــد الجنـــود ، وكتب الكتائب ، واعقد الألوية ، وانصب الرايات ، واظهر انك موجه اليهم الجيوش مع احنق قوادك عليهم ، واسوئهم اثرا فيهم ، ثم ادسس الرسل ،

وابثث الكتب ، وضع بعضهم على طمع من وعدك ، وبعضا على خوف من وعيدك، فان مرام الظفر بالغيلة ، والقتال بالحيلة ، والمناصبة بالكتب ، والمكايدة بالرسل، والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل الى القلوب ، القوى الموقع من النفوس ، المعقودة بالحجج ، الموصول بالحيل ، المبنى على اللين ، الذى يستميل القلوب ، ويسترق العقول ، ويسبى الآراء ، ويستميل الاهواء ، ويستدعى المواتاه .. ذلك كله ، انفذ من القتال بظبات السيوف وأسنة الرماح . كما أن الوالى الذى يستنزل طاعة رعيته بالحيل ، ويفرق كلمة عدوه بالمكايدة ، احكم عملا والطف نظرا واحسن سياسة من الذى لا ينال ذلك الا بالقتال ، والتغرير والخطار والاتلاف للاموال . وليعلم المهدى — وفقه الله — أنه ان وجه لقتالهم رجلا ، لم يسر لقتالهم الا بجنود كثيفة تخرج على حال شديدة ، وتقدم على اسفار ضيقة ، واهوال متفرقة ، وقواد غششة ، ان ائتمنتم استنفدوا مالك ، وان استنصحتهم كانوا عليك لا لك .

قال المهدى : هذا رأى قد أسفر نوره ، وبرق ضوؤه ، وتمثل صوابه للعيون ، وتجسد حقه فى القلوب ، ولكن فوق كل ذى علم عليم .

ثم وجه المهدى الحديث الى ولده ((**موسى الهادى**)) **فقال** : ما ترى يا ابا محمد ؟

قال موسى الهادى ولد المهدى :

ايها المهدى : لا تسكن الى حلاوة ما يجرى من القول على السنتهم ، وانت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم ، والحال من القوم تنادى بمضمرة شر ، وخفية حقد . والرأى للمهدى — وفقه الله — الا يقيل عثرتهم ، ولا يقبل معذرتهم ، حتى تطأهم الجيوش ، وتأخذهم السيوف ، ويستحربهم القتل ، ويحدق بهم الموت ، ويحيط بهم البلاء ، ويطبق عليهم الذل ، فان فعل المهدى بهم ذلك ، كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم ، وهزيمة لكل بادرة شر منهم .

سكت الخليفة لحظة تأمل خلالها راى ولده موسى الهادى ، ثم اشار الى ولده « هارون » أن يدلى برايه فقال :

خلطت الشدة ايها المهدى باللين ، فصارت الشدة امر فطام لما تكره ، وعاد اللين اهدى قائد الى ما تحب ، ولكن أرى غير ذلك .

قال المهدى :

— لقد قلت قولا بديعا ، وخالفت به اهل بيتك جميعا . والمرء متهم بما قال، وظنين بما ادعى ، حتى يأتى ببينة عادلة ، وحجة ظاهرة ، فاخرج عما قلت .

قال هارون :

— ايها المهدى : ان الحرب خدعة ، والاعاجم قوم مكرة ، والطبيب

الرفيق بطبه ، البصير بأمره ، لا يتعجل بالدواء حتى يقع على معرفة الداء ، فالرأى للمهدى — وفقه الله — ان يسبر غورهم بمتابعة الكتب ، ومظاهرة الرسل ، وموالاة العيون حتى تهتك حجب غيوبهم ، وتكشف أغطية أمورهم . فان تبين للمهدى انهم يسألون أمورا بما لهم من دالة مناصحتهم ، وسابقة حمل لواء دعوتنا ، فالرأى للمهدى — وفقه الله — ان يتسع لهم بما طلبوا ، ويتجافى لهم عما كرهوا ، ويولى عليهم من أحبوا ، ويداوى بذلك مرض قلوبهم . ثم ان خراسان بخاصة ، لهم دالة محمودة ، وحقوق واجبة ، لانهم أيدى دولته ، وسيوف دعوته ، فليس من شأن المهدى المؤاخذة لهم ، ولا التوعر بهم ، ولا المكافأة باساءتهم .

قال المهدى :

— ارى ان تدعوا ما قد سبق موسى فيه أنه هو الرأى ، وثنى بعده هارون ، ولكن من لأعنة الخيل ، وسياسة الحرب ، وقيادة الناس ان أمعن بهم اللجاج ، وأفرطت بهم الدالة ؟

قال محمد بن الليث كاتب المجلس :

— اهل خراسان — أيها المهدى — قوم ذوو عزة ومنعة ، وشياطين خدعة ، الروية عنهم عازبة ، والعجلة فيهم حاضرة ، تسبق سيولهم مطرهم ، وسيوفهم عذلهم ، لانهم بين سفلة لا يعدو مبلغ عقولهم منظر عيونهم ، وبين رؤساء لا يلجمون الا بشدة ، ولا يفطمون الا بالقهر ، وان ولى المهدى عليهم وضيعا لم تنقد له العظماء ، وان ولى امرهم شريفا تحامل عليه الضعفاء . وليس المهدى — وفقه الله — فاطما عاداتهم ، ولا قارعا صفاتهم ، بمال احد رجلين لا ثالث لهما ، ولا عدل فى ذلك بهما : **احدهما** لسان ناطق موصول بسمعك ، ويد ممثلة لعينك ، نقى العرض نزيه النفس ، جليل الخطر ، فان تلدته امرهم ، وحملته ثقلهم ، فجعل العدل عليه وعليهم اميرا ، والانصاف بينه وبينهم حاكما ، وسلك المعدلة فأعطاهم مالهم واخذ منهما عليهم ، غرس لك فى الذى بين صدورهم ، واسكن لك فى السويداء داخل قلوبهم طاعة راسخة العروق ، باسقة الفروع . **وثانيهما** عود من غيضتك ، ونبعة من ارومتك ، فتى السن ، كهل الحلم ، راجح العقل ، محمود الصرامة ، يجرد فيهم سيفه ، ويبسط عليهم خيره بقدر ما يستحقون ، وعلى حسب ما يستوجبون .

سكت المهدى ساعة يقلب وجوه الرأى ، ويستصفى ما تحدث به كل من حضر مجلس المشاورة ، وفى النهاية قال :

— ولكن أين تركتم ولى العهد موسى ؟

قالوا : لم يمنعنا من ذكره الا كونه شبيه جده ، ونسيج وحده ، ومن الدين وأهله بحيث يقصر القول عن أدنى فضله ، فكرهنا شسوعه عن محلة

الملك ، ودار السلطان ، ومقر الامامة والولاية ، وموضع المدائن والخزائن وقلنا: ان وجه المهـــدى ولى عهده فحدث فى جيوشه وجنوده ما قد حدث بجنود الرسل من قبله ، لم يستطع المهـــدى أن يعقبه بغيره ، الا ان ينهض اليهم بنفســـه ، وهذا خطر عظيم ، وهول شديد . وان تنفست الأيام بمقامه ، واستدامت الحال بأيامه ، حتى يقع عرض مـــا ، أو يحدث أمر لا بد من حدوثه ، صار ما بعده مما هو أعظم هـــولاواجـــل خطرا ، له تبعا وبه متصلا .

قال المهـــدى بعد أن امعن التفكير فيما قالوا :

ـــ الخطب أيسر مما تذهبون اليه ، وعلى غير ما تصفون الامر عليه . نحن اهـــل البيت . نجرى من أسباب القضايا ومواقع الامور على سابق من العلم ، ومحتوم من الامر قد انبأت به الكتب ، وتتابعت عليه الرسل ، وقـــد تناهى ذلك بأجمعه الينا ، وتكامل بحذافيره عندنا ، فيه ندبر وعلى الله نتوكل: انه لا بد لولى عهدى ـــ وولى عهدى عقبى بعدى ـــ ان يقود الى خراســـان البعوث ، ويتوجه نحوها بالجنـــود .

ثم بعث المهـــدى الى ولى عهده موسى الهادى ليسمع آخر ما استقر عليه رأى المجلس ، وقال متوجها اليه بالحديث :

ـــ أى بنى : انك قد اصبحت بسمت العيون نصبا ، ولمثنى اعطـــاف الرعية غاية ، فعليك بتقوى الله وطاعته ، فاحتمل سخط الناس فيهما ، ولا تطلب رضاهم بخلافهما ، فان الله عز وجل كافيك من اسخطه، عليك ايثارك رضـاه ، وليس بكافيك من يسخطه عليك ايثارك رضا من سواه . ثم اعـــلم أن الله تعالى فى كل زمان عترة من رسله ، وبقايا من صفوة خلقه ، وخبـــايا لنصرة حقه ، يجدد حبـــل الاسلام بدعواهم ، ويشيد أركان الدين بنصرتهم ، ويتخذهم لأولياء دينه انصارا ، وعلى إقامة عدله اعوانا ، يسدون الخلـــل ، ويقيمون الميل ، ويدفعون عن الارض الفساد . واعلم ـــ بنى ـــ أن أهل خراسان اصبحوا أيدى دولتنا ، وسيوف دعوتنا الذين نستدفع المكاره بطاعتهم ، ونصرف نزول العظائم بمناصحتهم ، وقد مضت لهم وقائع صادقات ، ومواطن صالحات. فظاهر عليهم لباس كرامتك ، وانزلهم فى حدائق نعمتك ، ثم اعرف لهم حق طاعتهم ، ووسيلة دالتهم ، بالاحسان اليهم ، والتوسعة عليهم ، والاثابـــة لحسنهم ، والاقالة لمسيئهم . اى بنىَ : ثم عليك العامة ، فاستدع رضـــاها بالعدل عليها ، واستجلب مودتها بالانصاف لها ، وتحسن بذلك لربك ، وتزين به فى عين رعيتك ، واجعل عمال القدر وولاة الحجج ، مقدمة بين يدى عملك ، ونصفة منك لرعيتك ، وذلك ان تأمر قاضى كل بلد ، وخيار اهل كل مصر ، أن يختاروا لانفسهم رجلا توليه أمرهم ، وتجعل العدل حاكما بينه وبينهم ، فان احسن حمدت ، وان اساء عذرت . ولا تدع أن تختار لك من فقهاء البلدان وخيار الامصـــار ، أقواما يكونون جيرانك وسمارك ، واهل مشاورتك فيما تورد ، وأصحاب مناظرتك فيما تصدر . فسر على بركة الله اصحبك الله من عـــونه وتوفيقه دليلا يهدى الى الصواب قلبك ، وهاديا ينطق بالخير لسانك .

وقبل أن يطلع فجــر اليــوم الجديد ، كانت الرسل والبعوث التى تحمل كتب الخليفة ورسائل ولى عهده الى ائمة وزعماء خراسان ، قد تجهزت للرحيل، ووقف جميع من حضر المجلس الكبير يودعون الرجال ويوصونهم بتقوى الله فيما يصدر عنهم من أقوال وأفعال .

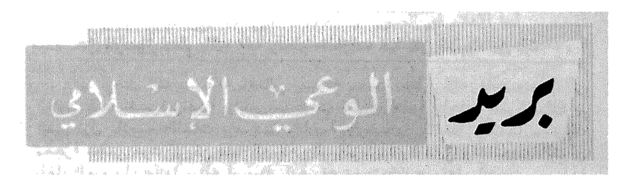
وان هى الا أيام قليلة حتى كان ((**موسى الهادى**)) قد نظم وعبأ جيشــا ترى العين أول صفوفه ولا تدرك نهايته الطويلة الممتدة وهو يقطع الطــريق من أطراف بغــداد الى خراســان .

وانقضى شهر وراء شهر والأنباء ترد الى المهــدى من خراســان ، تحمل استتباب الحال ، والعدول عن القتال ، وان « الهـــادى » يسير فى الناس أحسن سيرة ، على خير ما امربه الله ، وما أنزل فى كتابه الحكيم ، وكفى الله المؤمنين القتــال .



المراجــــع :

العقد الفريد لابن عبد ربه . عيون الاخبار لابن قتيبة . الاغانى للاصــفهانى . تاريخ الامم الاسلامية لمحمــد الخضرى .



القراءات المتواترة

أثناء الاستماع الى القرآن الكريم فى الصباح من اذاعة الكويت يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ صفر ١٣٩٢ ، وكان القارىء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد لفت نظرى أنه عندما قرأ الآية السادسة من سورة الحجرات قال : « ان جاءكم فاسق بنبأ فتثبتوا » .. وحسب حفظى لبعض آيات الكتاب الكريم ، ورغبة فى التأكد من صحة الآية رجعت الى المصحف فوجدت أن المكتوب بالمصحف « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » ..

فهل يجوز التغيير فى اللفظ حتى ولو كان بنفس المعنى ...؟

أرجو الا يكون المقرىء قد وقع فى خطأ لمكانته وحبنا جميعا لطريقة تلاوته للقرآن الكريم ..

حمدى الكفراوى ــ جامعة الكويت

. . . . .

ــ ان قراءة (فتثبتوا) قراءة مشهورة صحيحة متواترة قرأ بها كل من حمزة والكسائى وخلف وهؤلاء الثلاثة من العشرة الذين أجمع المسلمون على صحة قراءتهم ..

وتوجيه هذه القراءة كما ذكر العلماء أنها مشتقة من الثبت أو التثبت وقراءة باقى القراء العشرة (فتبينوا) أنها مشتقة من التبين .

وكلا القراءتين متقارب فى المعنى فالتثبت معناه التبين .

هذا وكون المصاحف التى رجع اليها الاستاذ غير موجود فيها هذه القراءة ، فهذا صحيح لأن المصاحف التى اطلع عليها منقوطة على رواية حفص ، ولو ان المصحف كتب على قراءة حمزة أو قراءة أحد ممن معه فى عصرنا هذا لنقط على ما يوافق قراءته وقد تكون هناك مصاحف مكتوبة بالفعل على هذه القراءة والعبرة بما صح سنده وتواتر وقد صحت هذه القراءة وتواترت .

ولو ان السائل الكريم تأمل قليلا لوجد ان الرسم يحتمل القراءتين معا . وان اختلف نقطهما وهذا سر من اسرار الرسم العثمانى للمصاحف حيث لم يكن بها نقط ولا شكل فى الصدر الاول عندما كتبت فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه .

عبد الرءوف محمد سالم

معجزات النبى صلى الله عليه وسلم

هل للرسول صلى الله عليه وسلم معجزات كما كان للانبياء من قبله .. ؟

— ارسل الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وأيده بمعجزات كثيرة اهمها واجلها القرآن الكريم الذى نزل بأفصح اللغات واصحها وأبلغها وأوضحها واثبتها وامتنها . وتلك معجزة عظمى حيث لم يكن عليه الصلاة والسلام كاتبا ولا قارئا وقد تحدى القرآن بلغاء العرب ان يأتوا بمثله او بمثل آية منه فعجزوا وهم أهل الفصاحة والبلاغة .. !!

واظن السائل يريد من سؤاله معرفة المعجزات الاخرى لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى كثيرة منها : الاسراء والمعراج ، وانشقاق القمر ، ونبع الماء من بين اصابعه الشريفة ، وبركاته فى الطعام وغير ذلك ..

روى أنس بن مالك رضى الله عنه : « بأن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين » وقال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه : « بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذ انفلق فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ..

ولقد ثبت أن حجرا كان يسلم على النبى صلى الله عليه وسلم قبل بعثته .. كما ان الجذع الذى كان يخطب عليه بكى عندما تركه النبى واتخذ منبرا غيره . فعن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسله : « انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علىّ قبل أن ابعث إنى لأعرفه الآن .. » .

أما عن نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه : « ان نبى الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بالزوراء (قال : والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد فيما ثمة) دعا بقدح فيه ماء فوضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ جميع اصحابه قال قلت : كم كانوا يا أبا حمزة ؟ قال : كانوا زهاء ثلاثمائة ؟ » .

كما ان هناك كثيرا من المعجزات والبركات للنبى صلى الله عليه وسلم منها انقياد الشجر له وبركاته فى الطعام وفى الماء والسمن واللبن . وما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه رأى النجاشى ملك الحبشة عند موته وأنه خرج الى المسجد وصلى عليه .

وغير ذلك الكثير مما رواه المؤرخون والمحدثون .

. . . . .

الافلام الفاضحة .. !!

هل عرض الافلام السينمائية ومشاهدتها حرام .. ؟

—ان الافلام التى تعرضها دور الخيالة او الاذاعة المرئية التى تحض على الفضيلة ومحاسن الاخلاق أو التى تصور حياة المصلحين أو المجاهدين أو تلك التى تدعو الى الدين وتوضح اهدافه كل تلك الافلام جائزة .

اما الافلام او الصور او اللافتات التى تصـــور حياة المجون وتحض على الفسق والفجور وتعرض صورا لممارسة الجنس او القبل او المواقف الآثمة ، التى تجرح الشعور وما شاكلها محرمة لانها تؤدى الى انهيار الاخلاق ، ونشر الفاحشة ، والعدو الاسرائيلي والاستعمار العالمى يستخدمان مثل هذه الافلام للقضاء على الاخلاق الفاضلة حتى تنهار قيم الشباب العربى فيقتنع بالخنـــوع والخضوع والذلة ، ويعيش تائها ضـــائعا لا تحده قيم ولا تحـــكمه مبادىء .. ولا أعتقد أن انسانا لديه حمية من دين أوخلق يرضى بذلك .

انا لنرى اليوم الكثير من الشـــــباب وقد تشبهوا بالنساء ، وأصـــبحنا لا نستطيع التمييز بين الفتى والفتـــاة ..!! وهـــذا عين ما تريده اسرائيـــل والاستعمار .. !!

اننا نتوجه الى أولى الأمر والى الرقباء والى الكتاب أن يراعوا حق الله ، وان يراعوا حق أمتهم وشبابهم وان يحافظوا على الاخلاق ما وسعهم الجهد :

وانمـــا الآمم الأخـــــلاق ما بقيت فان همو ذهبت اخلاقهـــم ذهبـــوا

الله الله يا سادة فى أخلاق أمتنا وشبابها الذى هو عدتها للنصر القريب باذن الله ..

أدعوه سبحانه جل علاه أن يحفظ أمتنا ويتم لها دينها ، ويحفظ لنا الاسلام دائما ظاهرا قاهرا انه سميع مجيب .

توفيق على وهبه

. . . . .

اتحاد الطلاب المسلمين فى لييج

مدينة لييج هى احدى كبرى المدن البلجيكية الناطقة باللغة الفرنسية ويبلغ تعداد سكانها حوالى (٧٠٠) الف من السكان وهى منطقة صـــناعية ضخمة (للصناعات الثقيلة) لذا يتوفر فيها عدد كبير من الاجانب الذين يســـعون للرزق وهناك عدد من المسلمين من جنسيات مختلفة وخاصة من المغرب العربى ومن تركيا وقد كان الطلاب يحافظون على صلاة الجمعة فى غرفة صغيرة من مبانى الجامعـــة حتى يسر الله لنا بمعونة السيد قنصل المغرب مبنا كبيرا تابعا لأحد المدارس ليصبح مسجدا للمسلمين فى لييج واصبحت الآن تقام فيه الصلوات وهناك ندوة اسبوعية فى تفسير القرآن الكريم وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم كما اقيمت فيه لأول مرة صلاة العيد وكنا فى السابق نضطر للصلاة فى احد كنائس المدينة . كما أن مدينة لييج قريبة من مدينة آخن الالمانية لذا فان هناك تبادلا للزيارات مع الاخوة فى مسجد بلال واننا لنرجو الله ان يوفقنا لما فيه خير ديننا ودنيانا . كذلك هناك لقاءات مع الاخوة فى المركز الاسلامى فى بروكسل .. وعسى ان يكون لنا معكم لقاءات عن طريق الكتب والمجلات ، ونحن الآن فى صدد اقامة محاضرة عن الاســـــلام فى الجامعة يلقيها احد الاخوة المسلمين الذى اعتنق الدين الاسلامى بعد ان وجد فيه ما وجد وهو من اصل بلجيكى .

المندوب الثقافى للاتحاد
عصام عناية

الفتاوى

خالة الزوجة

السؤال :

توفيت زوجتى ، ولى منها اولاد صغار ، ولها خالة ، فهل يحل لى شرعا تزوجها ؟

الاجابة :

يحل لك شرعا التزوج من خالة زوجتك بعد وفاتها ، أو طلاقها والمحرم شرعا هو الجمع بينهما ، أما تزوج كل منهما على انفراد الواحدة بعد الأخرى فلا مانع منه شرعا ، روى البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها .

دفن البهائيين

السؤال :

توفى احد البهائيين ، واراد بعض اصدقائه دفنه فى مقابر المسلمين ، ولكنه وجد معارضة شديدة بحجة انه لا يجوز شرعا دفنه مع المسلمين ووقع خلاف شديد ، فنرجو بيان حكم الشرع فى ذلك .

الاجابة :

صدرت فتاوى كثيرة فى ازمان مختلفة عن هيئات علمية اسلامية ، كلها تقضى بفساد معتقدات البهائيين وكفرهم ، وعدم صحة زواجهم ومنعهم من دفن موتاهم فى مقابر المسلمين .

ومن بين الفتاوى التى صدرت عن دار الافتاء بجمهورية مصر العربية فتوى فى هذا الموضوع ونصها :

ان هذه الطائفة ليست من المسلمين كما يعلم هذا من عرف معتقداتهم ، وقالت الفتوى :

من كان فى الأصل مسلما اصبح مرتدا عن الاسلام باعتناقه عقيدة البهائية وتجرى عليه أحكام المرتد ، واذا كانت هذه الطائفة ليست من المسلمين فانه لا يجوز شرعا دفن موتاهم فى مقابر المسلمين سواء من كان منهم فى الأصل مسلما ، ومن لم يكن كذلك . .

الرهن

السؤال :

طلب منى احد الأصدقاء مبلغا من المال على سبيل القرض ، وطلبت منه

رهنا يضمن لي المبلغ الذي أقرضته له ، فرهن عندي دارا واذن لي في سكناها، فهل يحل لي شرعا الانتفاع بهذه الدار .

الاجابة :

المحافظة على المال بالكتابة والاشهار عليه ، أو بالرهن امر مشروع قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه » وقال سبحانه : « وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة » وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى طعاما من يهودى بالمدينة ورهن عنده درعا ، فالرهن جائز في الحضر والسفر ، وهو للاستيثاق وضمان الدين ، وليس للانتفاع والاستثمار ، وكثير من الفقهاء يرى أن الانتفاع بالعين المرهونة غير جائز وان اذن بذلك المقترض لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل قرض جر نفعا فهو ربا » وهذا هو ما تطمئن اليه النفس ، ويقتضيه التراحم والتعاون بين الناس ..

بعث الحيوانات

السؤال :

هل تبعث الحيوانات وتحاسب يوم القيامة كما يبعث الانس والجن ويحاسبون في هذا اليوم .

الاجابة :

البعث والحساب للمكلف ، والمكلف هو الثقلان : الانس والجن ، من الحيوانات لا مسئولية عليه ، فلا حساب عليه قال الامام الالوسى في تفسيره : « ليس في هذا الباب يعني بعث الحيوانات نص من كتاب او سنة يعول عليه يدل على حشر غير الثقلين من الوحوش والطيور » ..

في الطلاق

السؤال :

طلقت زوجتي طلقة اولى رجعية ، وقبل ان اراجعها طلقتها في العدة طلقة ثانية ووقع الطلاق الثاني كما وقع الطلاق الأول فهل تحسب طلقتان او طلقة واحدة ..

الاجابة :

الطلاق يلحق الطلاق الرجعي والبائن بينونة صغرى ما دامت في العدة ، وبهذا يكون قد وقع على السائل طلقتان لا طلقة واحدة ، فاذا طلقها للمرة الثالثة لم تحل له حتى تنكح زوجا غيره .

في الميراث

السؤال :

توفيت امراة ، وتركت اخوين شقيقين واختا شقيقة ، واولاد اخ شقيق متوفى ، واولاد اخت شقيقة متوفاة فمن يرثها من هؤلاء وما نصيب كل وارث ؟ .

الاجابة :

تقسم التركة خمسة اسهم ، أربعة منها لشقيقيها مناصفة بينهما وسهم واحد لأختها الشقيقة ، ولا شيء لأولاد اخيها لحجبهم بالأخوة الأشقاء ولا لأولاد أختها لكونهم من ذوى الأرحام ..

بأقلام القراء

ذخيـــرة

للاستاذ / عبد الرحمن احمد شادي

كان من عادة العرب قديما أن يرسلوا أولادهم الى البادية فى فترة الطفولة ليشبوا على فصاحة أهلها ، وقد نشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه النشأة كما هو مدون فى كتب السيرة .

وبطول الزمن واختلاط العرب بغيرهم من الأمم فشت العجمة ، وابتعدت السنة أهل البادية عن العربية الفصحى .. ولا يتيسر لكثيـــر من العرب الـــذين يسكنون العواصم والحواضر والمدن والقـــرى أن يلتمسوا الفصاحة من اهـــل البوادى .. ولا يستطيعون ارسال أبنائهم اليها ليشبوا فيهـــا ... ويمكن ايجـــاد بادية صناعية تتمثل فى دور الحضانة ورياض الاطفال والمدارس التى يحفظ فيها التلميذ القرآن الكريم وقدرا من الأحاديث الشريفة الصحيحة ، وعيون الشعـــر العربى ، وأقوال الحكماء والحكمة ضالة المؤمن انى وجدها التقطها .

أليس هذا من العلاج لضعف النشء فى اللغة العربية .. وهم بذلك يبتعدون عن كتب التراث لأنهم لا يفهمونها ولا يعرفون ما فيهـــا ، وليس الأديب وحده هو الذى يحتاج هذه الذخيرة ، وانما يحتاج اليها العـــالم فى اى علم ايضا لابد له من البيان عما فى نفسه من العلم ، ولا بد له من ورثة وتلامذة وطلاب يعرفون علمه فكيف يؤدى عمله وينقل علمه اليهم أن لم تكن عنده هذه الذخيرة التى تعينه على نقل أفكاره بسهولة ، بالتعليم الشفوى او تأليف الكتب ... اليس من العجيب أن يكون التعبير بلغات أخرى أســـهل على بعض العلماء والادباء العرب الذين نشأوا فى بادية صناعية انجـــليزية أو فرنســـية من التعبير باللغة العربية ... والبادية الصناعية الانجليزية والفرنسية التى تتمثل فى مدرسة أو مربية أجنبية خطوة فى سبيل النهضة والتقدم والرقى أما البادية الصناعية العربية فهى خطوة الى الوراء ... فى نظر هؤلاء .

ان اللغة الام للاطفال العرب أحق بالحضانة من بقية اللغات حتى اذا شبع الطفل من لبنها فليأكل من بقية اللغات والعلوم ما شـــــاء .

جوارى القرن العشـــــرين

للاستاذ : محمد سيد احمد المسير

اذا كان العـــالم قد الغى الرق ومنع مزاولتـــه فأحرى بنا أن نحرر هؤلاء الجدد من رق الشـــهوة والدنس والابتذال ، ورق الجنس والمهـــانة والضياع ليعرفن معنى الحرية الشريفة والشرف الحر .. ولحســـاب من يزاولن هذا العمل ؟

ان عشاق جوارى المجتمع الحديث انما هم جراثيم البيئة من السادة المترفين أو النساء الساقطات أو الشباب المنحل ... وما بهؤلاء تنهض امة وما هؤلاء بالمتحملين تبعاتها ، انهم وباء يجب أن يحاصر ويحصر ، وعدوى يجب أن تطارد وتطرد .. واذا كنا نسمع بين الحين والحين صيحات تقييد الطلاق وتعدد الزوجات ، فان ارباب الفن الماجن هم الذين يسيئـــون الـــى المجتمع بنزواتهم الخبيثة ، فما من أحد منهم الا ونجد الزواج التاســـع او العاشر فى حياته ، ويعلم الله ما وراء ذلك وما أظن رجلا يكدح يومه يقضى ليلة مع هؤلاء الاماء ...

وما أظن جنديا يرابض على خط النار يســـتبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، ويسامرهن فى شعاع القمر ... وما أظن شبابا يعد للمستقبل وآماله يتغازل معهن والنجوم ساهرة ..

هذا وينبغى أن يفرق بين الفن الرخيص والفن الســـامى الذى يهذب الذوق ، ويزكى حاسة الجمال التى كثيرا ما استوقفنا القرآن عليها .. مثل قوله تعالى : « والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . » (سورة النحل) .

وقوله : « وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة » . سورة النمل ، وقوله : « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناهـــا وزيناها وما لها من فروج » . (ق) وان التصوير القرآنى لمشاهد الجنة واهلها ليفوق الوصف الجمالى بكل الوانه ففيها ـ كما ورد به الأثر ـ ما لاعين رات ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشـــــــر ...

فالفن بمدلوله الجـــمالى الشريف ومغزاه التثقيفى النبيل له احترامه وتأثيره المحمود ... وماذا علينا لو عمدنا الى غرس فكرة رشيدة أو محو عادة ســـيئة عن طريق تمثيلية هادفة بعيدة عن مشـــاهد الاثارة ومواقف المجون أو عن طريق فكاهة طريفة أو اغنية عذبة لاتكســـر فيها ولا تخنث

أما أن يتخذ الفن معول هدم للقيم ، وتفتيتا لبنـــــاء المجتمع بوســـائل الرقص الفاضح والغناء الماجن والصـــور العاريـــة والتمثيل المحموم فهذا ما لا يقره العقل الراشد فضلا عن الدين الخالد ....

قالت صحف العالم

ارادة القتال ... لا ارادة التعايش

ما زال العدو الصهيونى يسعى جاهدا ، على كل المستويات ، العلمية والنفسية ، والاعلامية ، ليوقع اليأس والشعور بخيبة الامل ، فى قلوب العرب والمسلمين عامة ، والفلسطينيين خاصة ، لتخويفهم واقناعهم بأن لا فائدة لهم من التصدى للأطماع الصهيونية ، ولا امل فى الانتصار على القوات الاسرائيلية ولا بد لهم من التخلى عن ارادة القتال والصمود ، وان الخير لهم فى القبول بالأمر الواقع والرضا بالتعايش مع الصهيونيين المحتلين .

ولقد سبق للأعداء ان استغلوا انتصاراتهم السهلة التى نالوها نتيجة ضعفنا وتخاذلنا وقصر نظرنا ، وهم اليوم يتابعون هذه الحرب النفسية الخطيرة ، مستغلين تضخيم ما يحصلون عليه من المساعدات العسكرية الامريكية ، من مدافع ومصانع وطائرات واموال : لايقاع المزيد من اليأس وخيبة الامل فى النفوس ، وللتمهيد من جديد ، لروح الاستسلام وآراء التخاذل والتنازل أن تتوطن فى النفوس ، ولدعم القائلين بالتخلى عن ارادة القتال ، والتحلى بارادة التعايش السلمى ، مهما كانت الحال ..

ولما كان العلم العسكرى ، يعتبر الانتصار الحاسم رهنا بالقضاء على ارادة القتال لدى الخصم ، فان أعداء العرب من صهيونيين ومستعمرين ، يعملون بدهاء لبلوغ هذا الهدف ، وهم يعلمون أن النصر فى معركة او اكثر ، لا يعنى النصر الكامل ما دام العرب متمسكين بحقوقهم وبلادهم ، ومصممين على الاستمرار فى القتال والفداء فى سبيل انتزاعها من أيدى الأعداء والحفاظ عليها.

ان الشعب الفلسطينى الذى قارع السياسة البريطانية والصهيونية العالمية بكل بسالة وشجاعة ، لن يتخلى عن حقوقه ، ولن يتراجع عن تصميمه على القتال ، وهذا الشعب الأبى المجاهد الذى رفض جميع المشاريع الاستعمارية وقاوم كل محاولات الترويض والخداع لكبح جماحه وتضليله ، وتصدى بحزم لكل عروض التخاذل والتنازل المزيفة بطلاء الاغراء والتمويه ، هو الذى ما زال

العقبة الكبرى فى طريق تصفية القضية الفلسطينية او تسويتها تسوية تحقق للصهيونيين أهدافهم وتنتزع منه اعترافا شرعيا بوجودهم العدوانى فى فلسطين
ذلك أن الشعب الفلسطينى الذى تمرس بالصعاب ، وعانى الكثير من التآمر الاستعمارى الصهيونى ، يدرك اكثر من غيره حقيقة الصراع المصيرى وخطورة المخططات الصهيونية ، وأن معركته مع اليهودية العالمية لا تقبل أى تسوية ، أو تعايش أو تنازلات اقليمية ، لأنهـا معركة مصير ووجـود فى هذه المنطقة الحساسة من العالم ، التى لا تتسع للحقوق العربية والاسلامية ، وللمطامع اليهودية والاحلام الصهيونية معا . . .

لقد حاول الأعداء كثيرا ، ارهـاب الشعب الفلسـطينى ، وبث الرعب فى نفوس ابنائه بوسائلهم الارهابية الوحشية ، واشـعاره باليأس وخيبة الأمل للقضاء على معنوياته ، وتحطيم مثله العليا ، واليوم يشيع الأعداء مختلف الأنباء عن المساعدات العسكرية والمالية الضخمة التى تنهـال عليهم ، وذلك لقصـد التأثير من جديد على نفوس الفلسطينيين وسـائر العرب ، ويلوحون لهم فى الوقت نفسه بمشاريع الحلول والتسويات ناصبين شراك المفاوضات والتنازلات فى محاولة جديدة لتحطيم ارادة النضال فى نفوس الفلسطينيين واخضـاعهم للامر الواقع ، لكن الفلسطينيين الذين أدركوا منذ بداية كفاحهم المجيد خطورة أهداف الصهيونية العدوانية واستيقنتها أنفسهم ، كما قدروا وفرة الامـكانات والوسـائل العربية والاسلامية واهميتها فى خوض معركة المصير ، وقفوا بكل قوة وتصميم فى وجه جميع المحاولات التى بذلت لانتزاع اعتراف منهم بشـرعية الوجود الصهيونى ، واختاروا طريق الجهاد والصمود ، وقاوموا كل الدعايات المضللة لأيهامهم بأن اليهود قوة لا تغلب ، واثبتوا بجهادهم المتواصل وثوراتهم المتوالية انهم قادرون على المحافظة على وطنهم وكرامتهم ، وما زالوا يؤملون فى أن يكون جهادهم وفداؤهم الوسيلة لايقاظ النائمين وتنبيه الغافلين ، وان يكون شهداؤهم الابرار القدوة الصالحة للمجاهدين من اخوانهم العرب والمسـلمين وهم فى ذلك مؤمنون بأن قضية فلسطين ليست لهم وحدهم بل هى ملك للعرب والمسلمين جميعا ، وان قضية فلسطين ليست قضية حدود ، تنقص أو تزيد ، بل هى قضية مصير ووجود ، وان وجوب التصدى للخطر الصهيونى ليس قاصرا على الفلسطينيين وحدهم ، ولا على الجيل الحاضر من العرب والمسلمين ، بل هو أمانة فى أعناق الأجيال المقبلة ايضا ، ولذلك لا يحق لأحد أن يتنازل عن شبر من أرض فلسطين ، ولا أن يقبل بأى نوع من انواع التعايش مع الأعداء المحتلين

وبعد فان القتال هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين عملا بالآية الشـريفة :

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أنتحبوا شيئا وهو شر لكم » .

« والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون »

عن مجلة (فلسطين)

اعـــداد : الأستاذ عبد المعطى بيومى

الكـــويت : ادلى سعادة رئيس مجلس الامة اثناء زيارته لـ (ج.م.ع) على رأس وفد برلمانى بحديث طالب فيه بضرورة عقد مؤتمر قمة عربى من اجل حشد الطاقات العربية لازالة آثار العدوان الاسرائيلى .

● يشترك سعادة وزير الاوقاف والشئون الاسلامية فى الوفد البرلمانى الذى يزور كـوريا الشمالية فى الشهر القادم تلبية لدعوة رسمية .

● تبرعت الكويت بنصف مليون دينار لاعادة تعمير المناطق التى هدمت نتيجـة العـــدوان الاسرائيلى على جنوب لبنان .

● وافق مجلس الامة على تخصيص عشرة ملايين دينار تدعيما لسوريا .

● تعاقدت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية مع بعض الشركات لتكييف ٤٧ مسجدا توفيرا لراحـة المصـلين .

● تعد ادارة شئون المساجد سجلا حافلا باسماء المساجد محلى بالصور .

● نظمت جمعية الاصلاح الاجتماعى بالاتفاق مع وزارة الاوقاف والتربية دروس تقوية مجـانا فى مـواد الشهادة المتوسطة والثانوية فى عدد من المساجد بالكويت .

● تجـرى امتحـانات الطلاب المنتسبين لدار القـرآن الكريم ، وكان عـدد المتقدمين ٤٥٠ طالبـــا .

● تعكف وزارة الاوقاف حاليا على اعداد كشف بالكتب الاسلامية المزمع توزيعهـا مجـانا باللغات المختلفة فى كافة انحـاء العـالم .

القـــاهرة : قام وفد اسلامى مصرى بزيارة أوغندا فى الشهر الماضى ضمن اطار التعاون الاسلامى والعلمى بين العرب وأوغندا .

● افتتحت مصر اذاعة بحرية موجهة الى الشعب الاسرائيلى كما وجهت اذاعة للعـرب فى الارض المحتلة .

● اوقفت الحكومة المصرية بتوجيه من الرئيس السادات عرض الافـــلام التى تتنـــافى مع الخلق ومنـــع استيرادها على الاطلاق .

● من المنتظر أن تحتفل القاهـرة فى سبتمبر القادم بالعيد الالفى للازهر بمرور الف عـام عليه ــ وسيحضر الاحتفال ملوك ورؤسـاء الدول الاســلامية وتجرى الاعدادات لهذا الحفل . وتقدر نفقات الاحتفال بربع مليون جنيه .

السعـــودية : استنكرت رابطة العالم الاسلامى موقف الهند من اسرى الحـرب الباكستانيين واهابت بالدول والشعوب الاسلامية أن تستنكر هذه المعاملة وان تقف صفا واحدا ازاء الاوضـــاع هنـــاك .

● صرح الامير فهـد بن عبد العزيز النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء انه قد آن للعرب أن يدركوا أن الصهيونية والاستعمار اليسارى واليمينى مظهران لجوهـــر واحد وان عليهم أن يجمعوا الجهود فى اطـار علمى للتضامن والاحترام المتبادل .

● تستمر فى الامانة الاسلامية العامة الاجتماعات لانشاء وكالة الانباء الاسلامية .

● اعلنت الحكومة السعودية انهـا ستعطى الطلاب اليمنيين تسهيلات فى جامعاتها بالقدر الذى تمطيه للطالب السعودى .

الأردن : طلبت اسرائيل من ٥٤٢ أسرة عربية فى القدس القديمة أن تخلى مساكنها ومنحتهم مـدة اقصاها شهر لتنفيذ القرار وذلك ضمن خطة التهويد للمدينة .

● نشر اتحاد الطلاب الاحرار فى لندن تقريرا أفاد فيه عن وجود عشرة آلاف فلسطينى فى سجون اسرائيل بدون محاكمة وقد سلم الاتحاد نسخة من التقرير الى السفارة الاسرائيلية فى لندن .

● تواصل اسرائيل اجراءاتها الوحشية ضد سكان قطاع غـزة لحملهم على الهجرة وتهويد القطاع وقد صرح موشى ديان فى الشهر الماضى بان قطاع غـزة خاضع لاجراءات تل أبيب .

العـراق : قدمت العراق ٥ مليون دولار مساهمة فى المجهود الحربى المصرى .

● بعثت الحكومة العراقية وفـدا الى أوغندا يحمل تاكيدا بمساندة العراق لأوغندا ودعمها لمواقفها من التسلل الصهيونى .

سـوريا : سـيقام قريبـا اسبوع الثقافة المصرية وقد بحث البلدان امكان تنسيق برامج التاليف والترجمـة والنشـر بين مصر وسوريا .

لبنـان : قام مفتى لبنان بزيارة الى ليبيـا استهدفت تدعيم العلاقات الاسلامية بين البلدين .

● تقـوم لجنة لبنانية بجولة فى السعودية والكويت وبعض امارات الخليج لجمع التبرعات لانشـاء جامـع الامـين فى بيروت .

ليبيـا : طلبت الحكومة الليبية من القائم بالاعمال الامريكى ابلاغ حكومته بقلق الحكومة الليبيـة من الاشتباكات التى جرت فى مسجد هارلم بنيويورك .

● انشات ليبيـا رابطة لنشر التعاليم الاسلامية تكون مهمتها الاشراف على تنفيـذ الشريعة الاسـلامية فى البـلاد ونشرهـا .

● عقد فى طرابلس المغرب فى مطلع شهر مايو ندوة اسلامية كان موضوعهـا (التشريع الاسلامى) وقد حضر النـدوة علمـاء من مختلف البلاد العربية والاسلامية .

تـونس : أجرى الرئيسان التونسى والجـزائرى عـدة مباحثات لاقامة المغـرب العربى وقـد بارك جهودهما الملك الحسن الثانى ملك المغرب .

الجـزائر : سيعقد فى مدينة الجزائر فى الفترة من ١٥ ـ ٢٥ يوليو القادم مؤتمر للتعرف على الفكر الاسلامى بالمغرب وسيحضره طلاب وطالبات من جامعات الجزائر وقسطنطينة ووهران وبعض طلاب المدارس الثانوية .

السـودان : اغلقت الحكومة المركـز الثاقى الالمانى الشرقى بالخرطوم لاسباب تتعلق بأمن البـلاد .

اوغنـدا : فتح الرئيس عيـدى امين طريقـا يربط بين حدود اوغندا والسودان ودعا الى تعاون مشترك بين البلدين .

● اقترح الرئيس عيـدى أمين تكوين حلف عسكرى على غـرار حلف وارسـو وحلف شمال الاطلسى بين الدول العربية والافريقية للوقوف فى وجـه الصهيونية والاستعمار .

اندونيسـيا : اقيم احتفال كبير فى الشهر الماضى بمناسبة اعتناق حوالى ٢٠٠٠ رجل من قبائل كادازان التى تسيطر على ولاية صباح ـ للدين الاسلامى .

● شن ديوان الدعوة الاسلامية باندونيسيا حملة لانشاء مشروع مستشفى ابن سـيناء الاسلامى فى اندونيسيا وهـو بحاجة الى التبرعات المالية .

باكسـتان : انتهت الاحكام العرفية واجرى العمل بالدستور المؤقت وانتخب الرئيس بوتـو رئيسا لباكستان وقد اعلن الرئيس الباكستانى انه لن يتساوم ولن يتنازل عن مبادئه .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	جمادى الأولى ١٣٩٢ هـ	يونيو ١٩٧٢ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاثنين	١	١٢	١ ٣	٤٧ ٤	٤٧ ١١	٢١ ٣	٤٧ ٦	٢٠ ٨	١٤ ٨	.. ١٠	.. ٥	٣٤ ٨	٣ ١
الثلاثاء	٢	١٣	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٧	٢٠	١٤	..	..	٣٤	٣
الاربعاء	٣	١٤	١	٤٧	٤٧	٢٢	٤٨	٢١	١٣	٥٩ ٩	..	٣٤	
الخميس	٤	١٥	١	٤٧	٤٧	٢٢	٤٨	٢١	١٣	٥٩	..		
الجمعة	٥	١٦	١	٤٧	٤٧	٢٢	٤٨	٢١	١٣	٥٩	..		
السبت	٦	١٧	١	٤٧	٤٧	٢٢	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٥٩ ٤		
الاحد	٧	١٨	١	٤٨	٤٧	٢٢	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٥٩		
الاثنين	٨	١٩	١	٤٨	٤٧	٢٢	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٥٩		
الثلاثاء	٩	٢٠	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩		
الاربعاء	١٠	٢١	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩		
الخميس	١١	٢٢	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٢
الجمعة	١٢	٢٣	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩		
السبت	١٣	٢٤	٢	٤٩	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	[illegible]		
الاحد	١٤	٢٥	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥٠	٢٣	١٢	٥٨			
الاثنين	١٥	٢٦	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥١	٢٤	١٢	٥٨	٥٩		
الثلاثاء	١٦	٢٧	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥١	٢٤	١٢	٥٨	٥٩		
الاربعاء	١٧	٢٨	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	. ٥		
الخميس	١٨	٢٩	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	[illegible]		
الجمعة	١٩	٣٠	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩			
السبت	٢٠	يوليو	٥	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤	١٤	.. ١٠			
الاحد	٢١	٢	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	..			٣٣
الاثنين	٢٢	٣	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	..		٣٥	٣٣
الثلاثاء	٢٣	٤	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الاربعاء	٢٤	٥	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الخميس	٢٥	٦	٧	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٦	٢	١	٣٦	٣٣
الجمعة	٢٦	٧	٨	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٧	٢	١	٣٦	٣٣
السبت	٢٦	٨	٨	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٣	١٨	٣	٢	٣٧	٣٢
الاحد	٢٨	٩	٩	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٢	١٩	٤	٢	٣٧	٣٢
الاثنين	٢٩	١٠	١٠	٥٥	٥٣	٢٧	٥٠	٢٢	٢٠	٥	٣	٣٧	٣٢
الثلاثاء	٣٠	١١	١١	٥٥	٥٣	٢٨	٥٠	٢٢	٢١	٥	٣	٣٨	٣٢

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعل الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الجديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

ـشــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

رطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

لأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

ـمـان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

ـابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

ـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

ونس : الشركة التونسية للتوزيع .

ـيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

الدوحـــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت